هذا هو العدد الثاني الذي تخصصه «المعرفة» لقضايا المسرح العربي المعاصر، وهي اذ تنشر في هذا العدد - ولأول مرة - طائفة من المسرحيات العربية الجديدة، فانما تبغي من ذلك فتح المجال أمام المسرح العربي الجديد فعلاً الذي ما فتئنا نعمل على ترسيخ جذوره، بوصفه تعبيراً حياً عن المجتمع العربي في تطلعاته. وكان وزير الثقافة الاستاذ سهيل الغزي قد أشار الى ذلك بوضوح حين افتتح ندوة دمشق المسرحية (نيسان - أبريل - ١٩٧٠) التي ناقشت موضوع (المسرح العربي والثورة)، والتي لخصناها في العدد السابق. في تلك الندوة قال الوزير:

وترددت كثيراً في أن أخوض معكم بالبحث ، لأنني لست من المسرحيين ولا من الناقدين ؛ ولكنني حسمت التردد لأدلي بدلوي معكم كمشاهد ، كمتفرج ، كشخص من هذا الجمهور الواسع الذي له مطالب وملاحظات وأمنيات ، فعلني أجد فيما سوف اقول أمامكم صدراً واسعاً .

فأنا ، كمواطن عربي ، يعيش في ظروف التجزئة والتخلف ، ويقبع جزء عزيز من أراضيه تحت وطأة أقذر احتلال عرفه التاريخ ، ويهدد مصير أمته ووجودها كل يوم أطماع التوسع الأمبريالي الصهيوني ، أنا ، هذا المواطن ، بهذه الظروف ، لا بد لي أن أتساءل : كيف ينبغي أن تكون الثقافة في هذا الوطن؟ وبالتالي كيف ينبغي أن يكون المسرح كجزء من تلك الثقافة ؟

من البداهة القول إن الثقافة تتولد من الشعب وتلد الشعب ؛ وهي مادامت كذلك فلا بد لها أن تخدم الشعب أمها وابنها ، وتضم في ساحتها نتاج نشاطاته كافة .



والثقافة بالتالي كفاح ، لأن العملية التي يخلق بها الشعب الثقافة هي عملية غزو داخلي . فمن خلالها يخلق الشعب ذاته وهي التي تحمل طابعها الذي يتميز به عما سواه . ولذلك كانت الثقافة هي المميز الأساسي لكل مجتمع انساني وكان المجتمع بدوره يتميز بها .

فاذا كانت الأمة العربية مثلا ، من خصائصها الكبرى ، تجددها الدائم وانتصارها على ذاتها دوماً ، فإن ثقافتها ينبغي أن تساير هذا التجدد وتعيد النظر في ذاتها لتؤكدها وتتجاوزها .

لكن هذا القول لا يعني بحال من الأحوال ، أن تستقل كل ثقافة عن غيرها من الثقافات ، فالتمازج أصل الحضارة الانسانية . الا أنه لا يجوز التساهل

بمحاولات مزج الثقافات المتعادية المتضادة ، فهي بطبيعتها لا تقبل المزج لأنها من روح الشعب ، الشعب الذي يلفظ الثقافات التي لا تعبر عن روحه .

سوف تبقى خالدة كلمات حكيم الهنـــد حين قال : « لتفتح نوافذ بيتي للهواء والشمس ، ولتهب عليّ ثقافات الأرض جميعاً ، ولكنني أرفض أن تقتلعني أي منها من جذوري » .

ونحن في هذا المفترق الكبير الحاسم نقول : لا يجوز أن تكون الثقافة خالية من الهدف والمضمون قط ، لأنها تصنعنا ، هي تبدع وتستهلك ، ومن خلالها يكون المجتمع الذي يبدعها كل عضو من أعضائه ، كل عضو يتمثل بعض عناصرها ويتلاءم معها ويسهم في تطويرها .

ان الثقافة تقيس درجة وجودنا وقدرتنا على الحياة ، فاذا كانت بدون هـــدف أصبح المواطن بدون هدف .

فبرأيي أنه لايجوز لمجتمع ينحو نحو الوحدة ، أي يصمم على تحطيم الواقع ، ولا لمجتمع يهدف الى القضاء على الاستغلال والتخلف ، أي الى الانتصار على النفس ، ولا لمجتمع يهدف الى طرد الغزاة والاستعمار ، أي الى حمـــل السلاح حتى النصر .. وبكلمة واحدة لا يجوز لمجتمع يتبنى الثورة بـ كل ما للكلمة من معان ، أن تكون له ثقافة تسمى ثقافة النخبة .

النخبة هي ثقافة الاقطاعيين والرأسماليين .. تلك الطبقة التي لم تكن منتجة ابداً للثقافة ، بل كانت ثقافة مستهلكة لها ، تلك الثقافة انما كرست لتخدم ( فضائل ) الحكام أكثر مما تخدم القيم الانسانية المشتركة . واذا كانت الرأسمالية التي حققت تقدماً عظيماً في الميدان التكنولوجي والثقافي فانها قد داست كثيراً من القيم الانسانية . فهي قد وسعت قاعـــدة الظلم والاستبداد ونظمت استغلال

الانسان للانسان بطريقة أشد بشاعة وظلماً . فالنظام الرأسمالي قلص فرص الاختصاص بالنسبة لأبناء الشعب الفقراء ، وسيطر على المسارح وعلى أجهزة السينما والتلفزيون وعلى الأندية الثقافية ، مما أدى الى تحويل وسائل الثقافة الى مصادر ربح مادي ، أي الى مؤسسات ذات طابع تجاري بحت لا تختلف عن مصادر الربح في المعامل والمزارع . ولقد وجه الرأسماليون الثقافة بما يتفق مع هذه الأرباح واستطاعوا تحويل أجهزة ثقافية ضخمة مثل السينما والتلفزيون الى اجهزة اعلانات او الى أجهزة افساد وتــدمير للأخلاق البشرية . وحتى في ميدان الفكر والفن ، بالرغم من الادعاء العريض بحرية الكلمة نرى الكاتب والفنان مضطرين ، كما قال سارتر ، الى المراوغة والتضحية بحريتها ليصلا الى جمهورهما . فمحتكرو النشر يستطيعون تجميد الكتاب الجيد ولهم صحافتهم وأقلامهم القادرة على تجميده ، اذا قدر له أن يخرج للناس . وهم يملكون حق رفع ثمن تذكرة المسرح فلا يدخله الا جمهور الأثرياء الذين يمكنهم أن يصفقوا للمسرحية التي تعجبهم ويشجبوا المسرحية التي تحارب جشعهم ، وبكلمة واحدة ان الامبريالية قد خططت ونفذت اعظم تدخل حصل في التاريخ .. وهو التدخل في الشؤون الثقافية ، لذا فقد اضحى من واجب شعوب العالم المناضل أن يفضحه وأن يسد الطريق في وجهه ويقاومه كما يقاوم المرض ، كما يقاوم الاستعمار ذاته وكل الشرور الانسانية .

إن ثورة شعبنا التي هي جزء لا يتجزأ من الثورة العالمية ضد الامبريالية مظاهرها كافة ، وإن شعبنا الذي يناضل ضــد جميع قوى الشر والطغيان في العالم ليرفض أن تكون ثقافته ثقافة نخبة .

إن الثقافة التي يريدها شعبنا العربي هي الثقافة للشعب .. من الشعب .. لكل الشعب ..

من هذه المبادىء ، ومن هذه الرؤية لمشكلتنا في الثقافة أستطيع أن أقول ، انه ينبغي لنا أن نعيد النظر بواقعنا في المسرح كأداة من أدوات الثقافة التي نريد ، وكسلاح فعّال في معركة الأمة . ان الفن للفن هدف لا يتلاءم مع مسيرة شعب واع معبأ للثورة . فلم تعد الغاية أبداً من خلق المسرح ارضاء الجمهور ، أو جمهور معيّن ، فهو أمر سهل ...

فليس أبسط من التلاؤم مع رغبات جمهور المشاهدين ومتطلباتهم التي غالباً ما تكون مجرد نزوات ، وليس أهون من أن يجد الانسان لنفسه من خلال التناقضات التي تبرز في مجتمع ما خلال فترة عارضة مكانة ممتازة ، وذلك بالتلاعب بالخيوط التي تدغدغ الميول السلبية لدى المشاهدين .

ان مثل هذا المسرح لا نرغب به في وطننا ، فهو أحد أشد الأشكال ضرراً لتنمية روح الانتهازية وإحلال عدم المسؤولية محل الواجب .

إن المسرح المناضل والملتزم لأهداف الشعب هو المسرح الوحيد الذي نريده لمجتمعنا . نريده مسرح التعبئة والتوعية لا مسرح اللهو والانحلال . المسرح الذي نريـد هو المسرح الثوري الذي يضطلع بالمهمة الثقافية التربوية الكبرى الملقاة على عاتقه . ونحن حين نؤكد على المهمة التربوية للمسرح فإننا نعني الكلمة بحدودها وأبعادها .

ينبغي للمسرح أن يترجم مشاغل الشعب الحقيقية ومطامحه العميقة . ينبغي له أن يحمل فكراً ديناميكياً وثورياً لكي يكون قادراً على التحريك والتعبئة ، فيعرض تناقضات المجتمع لأن التناقضات من صميم الحياة .

ينبغي أن ندرس أحسن الوسائل لتعميمه على الشعب صاحب المصلحة

بالثورة ، وأن نفتش عن أنجع السبل لخلق وعي مسرحي حقيقي بين جمهورنا ، ابتداء من تلميذ المدرسة الابتدائية وانتهاء بالشيخ الطاعن بالسن . يجب أن نحدد بصراحة وصدق وتجرد أسباب أزمة الكاتب المسرحي العربي وأن نجد الحلول الملائمة لها .

# محاكمة في نيسابور (١)

أو

## الذي رفض الحياة بالمجان والموت بالمجان

جلال العشري
— القاهرة

كما اتخـــذ أبو العلاء المعري من ابن القارح هادياً ومرشداً في « رسالة الغفران » ، وكما اتخذ دانتي البيجوري من فرجيل استاذاً ومعلماً في « الكوميديا الإلهية » ، كما فعل هذان الشاعران . . فعل عبد الوهاب البياتي في العصر الحاضر ، عندما اتخذ من الخيام موحياً وملهماً ، لا في دواوينه الشعرية فحسب ، بل وايضاً في مسرحيته النثرية . . « محاكمة في نيسابور » .

---

(١) انتهى الشاعر عبد الوهاب البياتي من كتابة هـــذه المسرحية عام ١٩٦٢ ، ونشرها على نطاق ضيق . وقد خص البياتي مجلة المعرفة بنشر مسرحيته ، قبل أن يصدرها مرة ثانية في كتاب . وتنشر ( المعرفة ) مع المسرحية هـــذه الدراسة التحليلية للكاتب المسرحي المصري جلال العشري ، يلقي فيها الأضواء على مضمون المسرحية والقضايا الفكرية التي تعالجها ، كما يربطها بتجربة البياتي الشعرية في دواوينه العديدة التي تظهر فيها دائماً ملامح من هذه القضية العميقة والخصبة التي طرحها الشاعر عـــبر شخصية « عمر الخيام » ومحاكمته : قضية رفض الحياة او الموت بالمجان .

وعلاقة الشاعر العربي المعاصر بالشاعر الفارسي القديم ، علاقـــة تاريخية ترجع الى أشعاره الباكرة التي كان ينادي فيهـــا غيره من الشعراء .. يبثهم شكوى الزمن ، وشكوى الحياة ، ويسألهم كيف السبيل الى الخلاص ؟ هكذا نادى ابا العلاء المعري ، وأبا الطيب المتنبي ، والحسين بن منصور الحـــلاج ؛ كما نادى لوركا وأراجون ، وبول إيلوار ، وناظم حكمت ؛ أما الشاعر الذي كانت مناداته له ، فهو عمر الخيام .. الشاعر الفارسي الشهير ، صاحب الرباعيات الأكثر شهرة ، والذي كانت حياته ثورة على اعداء الحيـاة ، ثورة على قراصنة المجتمع ، ثورة على سماسرة الدين ، ثورة على تجار الفكر ، ثورة على عشاق الكلام ، ولذلك قطع الخيام رحلة عمره .. النار قلبـه ، والماء دموعه ، والهواء حياتـه ، والتراب مثواه .. ولذلك ايضاً كان الخيام اكثر الشعراء القدامى والمحدثين استجابة لنـداء شاعرنا المعاصر ، منذ ناداه في ديوانه الباكر « أشعار في المنفى » ، واصفاً إياه « بالرجل الذي كان يغني » :

« على ابواب طهران رأيناه
رأيناه
يغني .
عمر الخيام ، يا أخت ، ظنناه
على جبهته جرح عميق ، فاغر فاه
يغني ، أحمر العينين
كالعجز ، بيمناه
رغيف
مصحف
قنبلة ، كانت بيمناه » .

ومن يومها كثر استحضار البياتي لعمر الخيـام ؛ وكثر حضور الشاعر الأخير ، وتأصلت مابين الشاعرين من علاقة ، كالصوت والصدى ، كالظل والوجود ،

كالاشارة والحركة، كالفعل ورد الفعل. فالشاعر الذي كان يغني على أبواب طهران .. هو الشاعر الذي عاد يغني على أبواب .. والشاعر الذي طرد من طهران هو الشاعر الذي عاد ليطرد من بغداد فكلاهما ناضل كأنبل ما يكون النضال، كل بطريقته ووفق الظروف التي أتاحها له عصره .. ناضل الزيف عندما يرتدي أجساد الرجال، ناضل الكذب عندما يعشش في الأفواه، ناضل الظلم عندما يعربد في الطرقات؛ ناضل الجبن عندما تشدو به ضفادع السلطان، وكلاهما ايضاً دفع ضريبة النضال .. أحرقت كتب الخيام، ودمر مرصده الفلكي، وألغي تقويمه التاريخي، وحوكم، وحكم عليه بالنفي أبداً .. وكذلك البياتي طورد في رزقه وطرد من بلاده، ومنعت أشعاره وصودرت دواوينه، وحتى المجلات التي كان يحرر فيها في عهد العراق البائد تعرضت هي الاخرى، كما تعرض له من صنوف الاضطهاد. ومع هذا جميعه، فقد آثر كلاهما أن يدفع ضريبة الحياة على أن يحيا بالمجان.

وكان كما يتفق وطبائع الاشياء، أن تتطور هذه العلاقة الحياتية الى علاقة فنية أكثر عمقاً وأشد أصالة. فقد استطاع البياتي من خلال علاقته بالخيام، أن يضع يده على اسلوبه الجديد في التعبير، والذي ظل يبحث عنه طويلا، وأعني به اسلوب التعبير من وراء قناع؛ ففي قصيدته الطويلة «ثورة الخيام» في ديوان «الذي يأتي ولا يأتي»، وفي قصيدته الأكثر طولاً عن «عائشة» في ديوان «الموت في الحياة»، باعتبارها «الوجه الآخر لتأملات الخيام في الوجود والعدم»، نراه يعرف كيف يختار الشخصية التاريخية التي يتحد بها اتحاداً حياتياً وفكرياً فلا نحس معها بأي انفصام شعري أو شعوري، كما نراه يعرف كيف يتخلص من مشكلة الذاتية في التعبير، ليعبر تعبيراً أصيلا ومعاصرا من خلال شخصية تاريخية تحمل كلمته الحاضرة، ثم نراه بعد هذا وذاك يوفق في خلق شخصية «البياتي ــ الخيام» تلك الشخصية الواحدية في اثنين او الثنائية في واحد.

وهكذا ، عبر حياة الخيام وثورته على واقع عصره ، حاول البياتي أن يقيم جسراً بيننا وبين تراثنا العربي القديم ، مستدعياً حياة الخيام الى وقتنا الحاضر ، مسقطاً عليها دلالة عصرية جديدة ، متناولاً إياها على مستوى المجاز تارة وعلى مستوى الحقيقة تارة اخرى. أما قصيدته الطويلة « الذي يأتي ولا يأتي » التي تقع في ثمانية عشر مقطعاً ، فقد استهلها الشاعر بافتتاحية أسطورية الجو ، وصف فيها العصر الذي عاش فيه الخيام ، محيلاً هذا الوصف الى عصرنا الحاضر ، محققاً الإحالة المتبادلة بين العصرين ، مستخدماً المأثور الشعبي « لا غالب إلا الله » كوسيلة من وسائل التستر الفني خلف قناع :

– مولاي ! قال النجم لي وقالت الأقدار
بأننا ممثلون فاشلون فوق هذا المسرح المنهار
وأن هذي النار
الشاهد الوحيد في محكمة الزمان
تصدع الايوان
واحترقت اوراقنا الخضرا ، في الحديقة المعطار
والعندليب طار
– مولاي : لا غالب الا الله
فآه ثم آه



في هذا الجو ولد الخيام ، ولد في نيسابور ، ولد كما يولد كل انسان ، ولكنه لم يعش كما يعيش أي انسان ، لم يعش بالمجان ، وانما كانت حياته صرخة احتجاج مادي وروحي على الظلم الاجتماعي ، والتفاوت الطبقي ، والامتهان لقضية الحرية ، مما ادى به الى الثورة على كل سلطة سواء كانت سلطة الدين او سلطة العلم او سلطة الدولة .

ولو أننا قرأنا هذه الأبيات في منظور جديد ، لو أننا قرأناها على أن الشاعر انما يتحدث عن نفسه لا عن الخيـــام ، لارتسمت أمامنا شخصية البياتي

بخصائصها الخاصة وظروفها المميزة . ومع ذلك فالشاعر لا يلبث طويلا حتى يبث الخيام شكواه ليؤكد هذا المعنى :

– أهذه الآلام ؟
وهذه السجون والأصفاد ؟
شهادة الميلاد ، ياخيام
في هذه الايام ؟

ولا تقف المزاوجة بين القديم والمعاصر عند هذا الحد ، بل تتعداه الى أن تصل الى المعنى التراجيدي للحياة ، أعني الى ما وراء الحياة الخيامية من ثورة ثم فشل ثم فرار ثم نفي واغتراب ، بحيث نشعر بأن مأساة الشاعر الفارسي القديم هي هي مأساة الشاعر العراقي المعاصر ، لأن المأساة لا تزال مستمرة وإن تخفت في ثوب عصري جديد :

وريث هذا العالم – الانسان
يحوم حول سوره عريان
فاكهة محرمة
ومدن بلا ربيع مظلمة
مفتوحة مستسلمة
تحيا على الفتات
مات المغني ، ماتت الغابات
والعندليب مات .



ولكن الشاعر بمقدار ما يعمق وعينا بالمأساة ، بمقدار ما يحاول إخراجنا منها الى رؤية أكثر شمولاً ونظرة أبعد مدى ، فالأمل لا قيمة له إن لم ينبثق من مقاومة الواقع الأليم ، ولا قيمة للتفاؤل إن لم يكن وليد نضال ومعاناة ؛ وعلى ذلك فالإنسان الثوري الشريف هو من يثور على مجانية الحياة ، لأن الحياة عنده وعي وإرادة ، وعلى ذلك أيضاً فإن الطلائع الثورية هم أولئك الذين :

يحترقون ليضيئوا : شرف الإنسان
أن لا يموت ضائعاً منسحقاً مهان

كالكلب تحت عجلات العار
وأن يعيش في خطوط النار
منتصراً، حتى وإن حاقت به الهزيمة

فالهزيمة في ذاتها لا تهم، وإنما المهم هو الوعي بالهزيمة من أجل أن يكتسب الإنسان عمقاً جديداً، ومن أجل أن ينطلق الإنسان نحو غاية أبعد مدى، نحو إعادة بناء الحياة، فالنصر بلا معاناة نصر ساذج ورخيص، أما النصر النابع من جوف المأساة فهو النصر الواعي العميق. ومع ذلك فالبطولة ليست في الهزيمة ولا في الانتصار، وإنما البطولة في التضحية والنضال.. في الثورة أبداً:

معجزة الإنسان أن يموت واقفاً، وعيناه الى النجوم
وأنفه مرفوع
إن مات - أو أودت به حرائق الأعداء
وأن يضيء الليل وهو يتلقى ضربات القدر الغشوم
وأن يكون سيد المصير

هذا هو الخيام في ديوان البياتي «الذي يأتي ولا يأتي». أما الخيام في ديوان «الموت في الحياة» فقد تناوله البياتي من خلال «عائشة» باعتبارها «الوجه الآخر لتأملات الخيام في الوجود والعدم». فعائشة هي الفتاة التي أحبها الخيام في صباه حباً عظيماً، ولكنها ماتت بالطاعون، ولم يتحدث عنها على الاطلاق في أشعاره، رغم ما كان لها من تأثير كبير في حياته.

وقد أضفى عليها البياتي طابعاً أسطورياً جاعلاً منها رمزاً للحب الأزلي الواحد الذي ينبعث فيضيء ما لا يتناهى من صور الوجود، كما أضفى عليها كذلك طابعاً ميتافيزيقياً جاعلاً منها الذات الواحدة التي تظهر فيما لا يتناهى من التعينات في كل آن؛ وأخيراً أضفى عليها طابعاً أونطولوجياً جعلها باقية على الدوام «على ما هي عليه».

على أن البياتي لا ينسج لنا من علاقة عائشة بالخيام حكاية عاطفية من حكايات الحب القاتل ، أو بالأسلوب البودليري : « الحكايات التي تؤدي إلى الحب في الموت أو الموت في الحب » كحكاية « باولو وفرانشسكا » مثلاً عند دانتي ، أو حكاية « روميو وجوليت » عند شكسبير ، أو حكاية « تريستان وإيزولده » عند فاجنر ، وهي الحكايات التي عمدت إلى تصوير قدرية العاطفة المطلقة أو عمى الإرادة الكونية ذلك التصوير الأليم الحاد ، ولكنه قدمها لنا باعتبارها ينبوعاً أصيلاً للأشياء ، ومصدراً أسمى للمعاني ، على نحو يذكرنا بالفيلسوف الصوفي الكبير ابن عربي في علاقته بالفتاة التي أحبها ، والتي كانت تسمى بالنظام وتلقب بعين الشمس ، فقد جعل ابن عربي من الأشياء والصور مسارح تتجلى فيها صفات الحق وأسماؤه ، ثم عاد فجعل من « النظام » عيناً لتلك الصفات والأسماء ، فكل صفة وجودية تدرك في الأشياء إنما هي تجل خاص من تجليات هذه الفتاة :



عائشة عادت الى بلادها البعيدة
قصيدة فوق ضريح ، حكمة قديمه
قافية يتيمه
صفصافة تبكي على الفرات
عارية الأوراق
تصنع من دموعها ، حارسة الأموات
تاجاً لحب مات .

وإذا عدنا إلى ثورة الخيام على واقع عصره ، وعلى معطيات الحياة من حوله ، على العناصر الأربعة ، وعلى الحواس الخمس ، وعلى الجهات الست ، وعلى الأفلاك السبعة ، بل وعلى العقل والدين جميعاً ، نجد أنه بعد أن فشلت الثورة ،

وفر الثائر ، أخذ الخيام يتلفت الى الماضي الضائع ، والمستقبل الضبابي ، يجتر الآلام ، ويتلمس العزلة ؛ يتدبر الأشياء ويؤثر الحب : « لا تحسب أني خليع سكير ، فأنا لا أشرب الخمر طلباً للنشاط أو الطرب ، ولا ابتغاء المروق على الدين أو الخروج على الأدب ، وإنما أشتهي الغفلة عن نفسي قليلاً » .

غير أنه لا يكاد يغفل عن نفسه حتى يجدها، ولا يكاد يغيب عن وجوده، حتى يعود إليه من جديد ، فالحب لا بد فيه من الآخر ، والآخر هو الذي يخلع على الأنا طابع الحضور :

في ذات يوم قال لي ... أوّاه
نسيت ، فالأموات
لا يسمعون هذه الصيحات
- لم يبق لي أحد
الكل ماتوا ، رحلوا ، حامقي الوداع !
كنا معاً ندرك سر الموت والحياة
كنا معاً ، فآه ...



على أنه إذا كانت عائشة قد ماتت في ديوان « الموت في الحياة » ، فلا يعني هذا أنها قد ماتت إلى الأبد ، وإنما يعني أن ولادة جديدة تنتظرها في زمان ما من التاريخ ، وفي مكان ما من العالم :

عائشة تشق بطن الحوت
ترفع في الموج يديها
تفتح التابوت
تزيح عن جبينها النقاب
تجتاز ألف باب
تنهض بعد الموت
عائدة للبيت
ها أنذا أسمعها ، تقول لي : لبيك

هذا هو الخيام كما تناوله البياتي الشاعر ، وكما اتخذ منه موضوعاً للقصيدة الشعرية ؛ وكان لا بد لنا من الإحاطة بهذا كله قبل أن ننتقل الى الكلام عن الخيام كما تناوله البياتي الكاتب المسرحي ، وكما اتخذ منه موضوعاً للكتابة المسرحية ؛ والواقع أنه لو قدر للبياتي أن يكتب عن الخيام نثراً ، لما وجد أمامه غير القالب المسرحي ، ففي المسرح كما في الشعر ، لا بد من التكثيف والتركيز ، تكثيف الفكرة ، وتركيز العبارة ، والابتعاد قدر الإمكان عن فتات الحياة اليومية ، من أجل الوصول الى جوهر الشخصية المسرحية ، وتصويرها بأسلوب التعبير الدرامي .

وإذا كان من الشعراء من يحاولون الخروج من الغنائية الى الدرامية ، عبر محاولة التأليف المسرحي ؛ فإن البياتي بالذات في أغلب قصائده الشعرية ، نراه يتصف بتلك الصفة الدرامية التي تعني الصراع بين الأشياء ، والجدل بين الأشخاص ، والتناقض بين الأحداث . من هنا كان انتقاله الى التعبير المسرحي هو في صحيحه انتقال الى « الدراما الشاعرية » ، فهذه المسرحية وإن لم ينظمها البياتي شعراً ، إلا أنه استطاع أن ينثرها شعراً إن صح هذا التعبير . أعني أنه لم ينظم مسرحية شعرية يضع فيها الشعر فوق المسرح ، وإنما كتب عملاً درامياً تتغلغل روح الشعر في ثناياه ، وإن خلا من الإيقاع المحكم والعروض الدقيق ؛ تماماً كما نجد عند الكاتب المسرحي موريس ميترلنك الذي خلت مسرحياته من الإيقاع العروضي ، ولكنها خرجت حافلة بشاعرية الأداء واللغة . فعند هذا الكاتب المسرح هو الهدف الأول ، وليس الشعر منظوماً أو مطلقاً أو حراً إلا وسيلة من وسائل التعبير .

وهكذا على امتداد المسرحية ، نجد أن روح الشعر تظل تسري في

جسدها حتى تجعل منها ذلك العمل الدرامي : « الحجر اللازوردي الساقط من السماء ، ورحيم وياسمين وأنا والطفولة ضائعون عبر ليل الخناجر وأنهار الصمت الموحلة » ... « بانيسابور ، لماذا ؟ القطط تأكل لحم يدي ، وها أنذا عار عري السماء ، وحزين حزن حصان غجري . استيقظوا يا باعة الكتب القديمة ، استيقظوا ! » .

وقد حرص البياتي في تناوله الدرامي لمأساة الخيام أن يسقط الكثير من تفاصيل حياته اليومية ، ومن ملامحه الخارجية ، لكي يحتفظ بأشد اللحظات كثافة وأكثرها دلالة ، ولكي يتمكن من تجسيم الحدث وتطوير الصراع . وهكذا لعبت الحركة الداخلية في أعماق الخيام أكبر الدور في تشكيل مأساة حياته ، ومأساة نفيه واغترابه . كما لعبت دوراً كبيراً في تحقيق مبدأ « الروح العالمي الشامل » الذي يجعلنا نحس وكأننا مع الخيام في قلب الحدث ، وكأن مأساته من الممكن أن تكون مأساة أي إنسان نبيل وشريف . اسمعه يقول في مناجاة شعرية تذكرنا بمناجاة أبطال المآسي التاريخية :

« إن نجم الثورة الحقيقية يلمع نوره وراء ألف باب من الانتظار الطويل ، ولكنه سيطل ذات يوم ... وسيذكر البعض أن الخيام مات جندياً في معركة خاسرة من معارك الحرية الاولى ، من أجل أن تنتصر الإنسانية في معركتها الأخيرة » .

وتركيز البياتي على الحركة الداخلية في نفس الخيام ، لم يمنعه من إبراز الحركة الخارجية عن طريق الأصوات الأخرى ، التي اتخذت مواقعها عند نهاية قوس الطيف المسرحي ، تحاور البطل ويحاورها ، ومن جوف الحوار تندلع

المأساة ، ومن خلال تلاحم الشخصيات يتجسد الحدث الدرامي . هكذا كان قاضي القضاة تعبيراً عن سلطة الدولة ، وكان استاذ الجامعة تعبيراً عن سلطة العلم ، وكان رجل الملة تعبيراً عن سلطة الدين ، ومن بعدهم جميعاً يظهر شبح الحسن الصباح ويختفي ، كما الشيطان الذي يحرض على الثورة .. أي ثورة ... « التدمير هو اللعبة الجهنمية الوحيدة التي تستطيع أن تشفى البشرية فيها من بؤسها . التدمير ! » .

وإلى جوار الأصوات المعارضة لكل معاني الخير في ضمير الخيام ، والأصوات المحرضة لكل نوازع الشر والتدمير ؛ تقف أصوات اخرى ، تستعذب كلمات الخيام ، وتستطعم ما في الكلمات من معاني الحق والخير والجمال ، فها هي ابنة الخراف التي تسقى الخمر في الحان ، وقد بدلت كلمات الخيام بشراً آخر ، تهتف من الأعماق : « ما أجمل أن أولد ثانية ، لأتعلم على يديك مثل هذا الكلام العذب ، وأغنيه لنفسي وللآخرين » .

وإذا كان البياتي لم يقدم لنا الخيام كما هو .. خيام الواقع والتاريخ ، بقدار ما قدمه لنا كما يراه .. خيام الدراما والفن ، خيام الصراع بين الحق والزيف ، بين الوجه والقناع ، بين الإنسان وكل ماهو معادي الانسان ، فقد حرص البياتي كذلك على أن يقدم لنا الوقائع الأساسية كما كانت ، على اعتبار أن الوقائع ملك التاريخ ، أما تأويلها كما يقول أرسطو فمن حق الشاعر . وفي اتساق مع هذا المفهوم ، وفي تعميق وإثراء له ، لم ينفرد البياتي بصوته بطلقه من خلال الخيام ، وإنما زاوج بين صوته وبين صوت الشاعر العظيم ، فاستدعى من جوف التاريخ بعض رباعياته المشهورة ، ليطعم بها الحوار ، ويدخلها في نسيج عمله المسرحي .

وإذا كانت المسرحية كما يقول إليوت تخاطب عدة مستويات من الوعي والإدراك ، لاشتمالها على اكثر من منظور واحد ، حيث العقدة لأبسط المشاهدين ، والشخصية لمن هم أميل الى الناحية الأدبية ، والإيقاع لمن هم أشد من سواهم إحساساً بالموسيقى ، ففي تقديري أن البياتي حاول جاهداً أن يوفر لعمله المسرحي ، هذه المنظورات الثلاثة مجتمعة ؛ فالمسرحية تنطوي على عقدة المحاكمة ، محاكمة الخيام وما تفضى اليه المحاكمة من احكام ؛ كما تنطوي على عنصر الشخصية ، شخصية الخيام الشهيرة ، وما أحاط بها من أقاويل وأساطير ، وما صادفته من الهوى في نفوس الكثرة على مر العصور ؛ وتنطوي اخيراً على عنصر الإيقاع الشاعري الجميل الذي تمثل في اسلوب البياتي من ناحية ، مطعماً برباعيات من شعر الخيام من ناحية اخرى .

من هـذه العناصر مجتمعة ، مضافاً اليها تلك الشريحة الحية من حياة الخيام ، التي وفق البياتي في التقاطها ، وتنقيتها ، وتخليصها من كل ما هو غير درامي ، وضم أشتات بعضها الى بعض في عمل تركيبي موحد ، والانتقال بها من موقف الى موقف انتقالاً تصعيدياً متطوراً ؛ من هذا كله خرجت شخصية الخيام، في ذلك القالب المسرحي .

ومواكبة للاتجاه البريختي الذي يجعل المسرحيات تتخذ شكل الإجراءات التي تدور في ساحة القضاء ، صب البياتي مسرحيته في قالب المحاكمة ، وجعلها « محاكمة في نيسابور » ، وأهمية هذا الاتجاه الذي اكده بريخت ، والذي حول فيه صالة المسرح الى قاعة محاكمة ، هو تعويد الناس على مواجهة القضايا ، وتعليمهم كيف يصدرون الأحكام ؛ فبعد أن كانت غاية المأساة تطهير النفس

بإثارة انفعالي الخوف والشفقة ، أصبحت غايتها حمل المشاهد على اتخاذ قرارات بعد أن تعرى الواقع امامه ورآه على حقيقته ، ولذلك لم يقدم لنا البياتي بطله الخيام على أنه شخصية دموية تحيا على المسرح حياة حقيقية ، بمقدار ما قدمه لنا قضية ذهنية تدعو المشاهد الى أن يتخذ منها موقفاً ويصدر فيها قراراً . ولذلك لم يهتم كثيراً بعملية الإيهام ، التي توهم المتفرج أن مايراه على المسرح قطعة صادقة من واقع الحياة ، بمقدار ما اهتم بطرح الفكرة ، وإثارة القضية ، وإبلاغ الهدف ، ومن هنا كانت العبارات ذات الطابع الخطابي المباشر ، كما في قول الخيام : إن البشرية تعرف طريق مسارها الطويل ، وستنتزع حقوقها بالعلم والمحبة والعمل الدائب . وإذا اقتضاها الأمر فستحمل السلاح . لا لتدمر العالم وإنما لتعيد بناءه » .

على أن اختيار البياتي لقضية الخيام بالذات موضوعاً لمسرحيته ، واختيار شكل المحاكمة أيضاً قالباً تصب فيه المسرحية ، يدرج هذه المسرحية في مقولة المسرحيات الكبرى التي تناولت شخصيات مماثلة من صفحات التاريخ ، محاكمة سقراط ، محاكمة جاليليو ، محاكمة جان دارك ، محاكمة توماس بيكيت ، محاكمة الحلاج . وغيرها من المحاكمات المشهورة في تاريخ التأليف المسرحي .

واذا كانت الحياة ، حياة كل كائن حي ، تمر في تطورها بمراحل ثلاث ، الميلاد والحياة والموت ، أو بالمصطلح النقدي البداية والوسط والنهاية ؛ وهو قانون كل حياة عضوية وغير عضوية ، بل هو قانون الحضارات ذاتها في رأي بعض المؤرخين ، وهو القانون الذي استعاره كتاب المسرح العظام وأخضعوا لهم إبداعاتهم المسرحية ، سواء وقعت المسرحية في ثلاث فصول أو أكثر أو أقل ، المهم أن يقع الحدث نفسه في ثلاث مراحل ؛ فهناك أيضاً أخضع البياتي حدثه

المسرحي أو شخصيته المسرحية ، لهذا القانون التقليدي بمراحله الثلاث ؛ إذ يقدم لنا الخيام وهو يعاني مخاض الحياة في قاعة المحكمة ، ثم وهو يصاوع ماصدر عليه من أحكام ، وذلك في قلب الحان ، وأخيراً وهو ينحدر أو هو يحتضر مع القافلة وخارج الأسوار ، وذلك في نهاية المسرحية .

يبدأ الفصل الأول في هذه المسرحية الثلاثية الفصول عنيفاً صاخباً حيث الخيام في قاعة المحكمة ، يرتدي البياض حداداً على ملك شاه السلطان الشاب ، الذي لم يتجاوز التاسعة والثلاثين من عمره ، أما قضاة الخيام فكثيرة ، أبرزهم رجل الملة الذي يمثل سلطة الدين ، وأستاذ الجامعة الذي يمثل سلطة العلم ، وقاضي القضاة الذي يمثل سلطة الدولة ، والغريب أننا نجد من بين قضاة الخيام .. الغزالي .. أي سلطة يمثل ؟ الدين ، أم العلم ، أم العقل ؟ ربما هذه السلطات جميعاً !

فالباقي وإن حدد لنا مكان المسرحية « نيسابور » إلا أنه لم يحدد لنا زمانها أو الزمن الذي دارت فيه الأحداث ، ووقعت فيه المحاكمة ، عموماً كان عصراً يؤثر الإيمان على الفهم ، والنقل على العقل ، والشريعة على الحقيقة ، الأمر الذي أدى إلى ظهور اتجاهات متباينة بعضها كالغزالي مثلاً ينادي بالتصوف والإيمان ، والبعض الآخر كابن رشد يؤثر العقل والمنطق ، والبعض الثالث كابن طفيل يحاول التوفيق بين العقل والدين في سبيل الوصول إلى الله .

هذا من الناحية الفكرية ، أما من الناحية الروحية ، فقد نظروا بوجه عام إلى حياة الأرض على أنها حياة زائلة ، ومرحلة للحياة الآخرة السعيدة ، وعلى ذلك أعوزتهم الشجاعة في تذوق جمال الطبيعة ، وأعوزتهم الإرادة لمعانقة مباهج الحياة ، ولم يسخروا العلم في سبيل الحياة المادية ، فعاشوا على الكفاف ، وأحسوا

بالنجوم والسخط ، وكان من جراء هذا كله ، أن ساورت نفوس أهل العصر الحيرة والقلق ، مع التطلع إلى بناء عالم جديد .

وكان الخيام وسط هؤلاء جميعاً رجلاً استطاع أن يفلسف حياته ويحيا فلسفته ، وهي الحياة التي جمع فيها الخمر إلى الرغيف ، والمرأة إلى الشعر ، والعلم إلى الدين ، وعاشها جميعاً بعقله وحواسه ، وجماع ما فيه من إرادة . لهذا كان لابد وأن يضعه أهل عصره بين قوسين ، وأن يضعوا بعد اسمه أكثر من علامة من علامات الاستفهام .

ونعود إلى قاعة المحكمة في نيسابور لنستمع إلى التهمة الموجهة إلى الخيام ، فنجدها كما جاء في قرار الاتهام : « إن كتب الخيام ، الفلكي السابق للملك الراحل يجب أن يحكم عليها أولاً ، ما دامت قد أدخلت على المدارس في ربوع الإسلام ، وألفت طبقاً لتعاليم الإغريق الكفار . ولأن مؤلفها ملحد ومهرطق لأسباب عدة » .



ويعدد رجل الملة هذه الأسباب فيحصرها في تأثير الخيام على السلطان الراحل الذي ترك التقويم الصحيح للإسلام ، وراح يقيس الزمن وفقاً لتقويم الخيام ثم تدنس الخيام لحرمة الموتى بتسلله بين القبور واتخاذها مكاناً للعمل ، وأخيراً اعتراضه على كلمة الله بقوله إن الأرض ليست مركز الكون . وهي كما نرى أسباب واهية حتى بمقاييس عصرها ، لأنها إن دلت على شيء ، فإنما تدل على الجمود في العقيدة ، والتخلف في الفكر ، فضلاً عما تدل عليه من قصر في النظر وعمى في البصيرة . ألا تذكرنا بالأسباب التي أخذ بها سقراط ، وأخذ بها جاليليو ، وأخذ بها الحلاج ، وأخذ بها كل شهيد فكري عظيم ؟ .

لهذا كان من الطبيعي أن يلوذ الخيام بالصمت ، وأن يغوص إلى ذاته بعد أن فقد علاقته بعالم الأشياء ؛ لقد فقدت الأشياء بكارتها ، وتحول الواقع الى عاهر بلا قلب ، فماذا يقول الخيام لقضاته وهو يرى ، خلل عيونهم الحاقدة التي يعلوها القذى ، ليل عصور طويلة من البربرية .

وحتى صمته يأخذونه عليه ، ويتخذون منه شاهد إثبات على ماوجه إليه من اتهام : « إن صمته لدليل آخر على استخفافه وسخريته من كل شيء » ، وهكذا لايبقى أمام القضاة إلا أن يستمعوا إلى شهادة الشهود ، الشهود الذين ينتظرون على باب المحكمة .

ويصدر الحكم ، الحكم الذي كان جاهزاً من قبل أن يجهز ؛ يصدر قبل المداولة او بدون مداولة ، يصدر الحكم بحرق كتب الخيام ، ومصادرة مرصده الفلكي ، وطرده من مدينة نيسابور ؛ ولم يكن هذا كله بالغريب على الخيام ، الذي يتلقى هـذه الأحكام بالصمت ، واللامبالاة ، والإحساس باللاجدوى : « الموت بالمجان لعبة نيسابور الجديدة إذن ! حسناً أيها السادة المتحون ذوو الوجوه الرمادية ، استمروا في لعبتكم ، ولكن عليكم أن تعلموا أن هذه اللعبة ستنتهي حتماً » ..

ولكن الخيام الذي رفض الحياة بالمجان ، يرفض كذلك الموت بالمجان ؛ فاذا كانوا قد احرقوا كتبه ، ودمروا مرصده ، ونفوه من البلاد ، فستبقى كلماته تسري في الأبدان سريان النار في الهشيم ، فهناك شمس لاتغيب في قلب كلمات الخيام .

وانطلاقاً من هذا اليقين يرفض الخيام دعوى الحسن الصباح ، عندما

يظهر له شبحه يدعوة الى الثورة ، والثورة الغاشمة التي تدمر كل شيء ، ولا تبقي على شيء ؛ والتي تنشر بذور الفساد انتظاراً للربيع الاسود ،والحصاد الدامي.

وعلى الرغم من رابطة الصداقة التي كانت تربط مابين نظام الملك والحسن الصباح والخيام ، فقد رفض الخيام دعوته ، لأنها الدعوة التي تتخذ من الارهاب وسيلة للاصلاح ، والتي تنادي بهدم العالم لإعادة بنائه من جديد . وهذا ماعبر عنه الصباح بقوله في المسرحية : « ننشر بذور الفساد انتظاراً لحصاد إنساني مقبل ، انتظاراً لربيع اسود لايموت فيه الناس بالمجان » .

وتلك هي دعوة فرقة الصباحية أو « الحشاشين » التي تزعمها الحسن الصباح ، وأقامها في قلعة آلموت ولبثت تزاول نشاطها ، وتلقي الرعب في قلوب حكام المسلمين حتى قضى عليها هولاكو ، حين غزا المغول قلعة آلموت قبل دخولهم بغداد .

وهكذا يسدل ستار الفصل الأول على رفض الخيام لأي بناء يقوم على الهدم ، وأي اصلاح يقوم على التدمير ، فالثورة تغيير وليست تدميراً ، وهذا ماعبر عنه الخيام بقوله : « لقد كنت جندياً في معركة خاسرة ، ولكن معارك الانسانية المقبلة مع أعدائها سوف لاتنتهي » .

وعلى مشهد الحان يفتح ستار الفصل الثاني ، فالحان هو الوجه الآخر للمحكمة ، وكلاهما وجهان لشيء واحد ! واذا كان الخيام قد شهد ضياعه في المحكمة ، فما الذى يعصمه من الضياع في الحان ، بل ما الذي يمنعه من تحقيق ذاته في الحان ؟!

المهم أننا في الحان نلتقي بالخيام بين خزاف فاتنة الدنيا ولم يفهم منها شيئاً ،

وفتاة مقبلة على الدنيا وتريد أن تعرف فيها كل شيء . الخزاف هو مساء الخمر ، والفتاة هي صوت الموسيقي ، ومن الأول يتناول الخيام الكأس ، ومن الأخرى يتعاطى اللحن . فقد طلق الخيام الدين والعلم ، واتخذ من الخمر عروساً ومن الحان بيتاً .

ويسألها الخيام أن تغني فتسأله الفتاة ماذا تغني ، وتعجب الفتاة لأن الخيام لايطلب منها ما عرفته من الأغاني ، لايطلب منها تلك الاغنيات الرخيصة المبتذلة ، التي تخاطب الحواس دون القلب ، وتهز الغرائز دون المشاعر ، وتخاطب السمع دون أن ترتفع الى الوظائف العليا في الدماغ . لايطلب منها شيئاً من هذا كله ، وانما يسألها نوعاً من الشعر العالي الرفيع الذي اعتاده هو ، والذي نظمه هو ، وهكذا يأخذ الخيام موقع الفتاة من الغناء لينشدها شيئـــاً من رباعياته ! وترتاع الفتاة لهذا الشعر الذي ينزل عليها كالوحي ، ويحدث تغييراً حقيقيـاً في أعماقها حتى كأنها ولدت من جديد « ما أجمل أن أولد ثانية ، لأتعلم على يديك مثل هذا الكلام العذب ، وأغنيه لنفسي وللآخرين » .

وفي هذه الليلة تعلمت الفتاة أشياء كثيرة ، وفي هذه الليلة أيضاً فقد الخيام أشياء كثيرة ! فقد مصباحه الذي كان يضيء به طريق الآخرين ، ومضى في الطريق وحيداً بلا مصباح ، ولا يهم أن يمضي هو بلا مصباح ، فهو يعرف الطريق ، ولكن ماذا يفعل الآخرون ؟ تلك هي المشكلة التي واجهت الخيام في الحـــان وبعد المحاكمة ، ماذا يفعل الآخرون ؟ وماذا يستطيع هو أن يفعل من أجل الآخرين ؟ ويصرخ الخيام بأعلى صوته إجابة على هذه التساؤلات : « إن محاكمتي لم تبدأ أمس ، ولم تنته اليوم ، لقد بدأت منذ أن مات رحـــيم بضربة سيف ، وماتت ياسمين بالطاعون ، وسوف لن تنتهي إلا بموتي » .

وهنا تتعرف عليه الفتاة ، وتعرف في شخصه الخيام ؛ «إنه أنت إذن!» أجل ، إنه الخيام !

وتدخل عائشة جارية الخيام وعشيقته ، ويدخل معها اسحاق خادمه الأمين . لقد ظلا يبحثان عنه طويلا ، حتى وجداه ؛ ولقد وجداه ليخبرانه بتنفيذ الاحكام التي صدرت ضده ، وبأنه أصبح أضحوكة في بلاد السلطان الجديد ، الذي ألغى تقويمه ، وأعاد العمل بالشهور القمرية . أما عائشة فلا يهمها من هذا كله ، إلا أنها أصبحت هي الأخرى أضحوكة بين النساء ، لا هوادج ولا عبيد ولا شيء على الاطلاق ، إلا حصان واحد ! إن عائشة لم تعد هي عائشة ، لم تعد المرأة الخالدة ، التي ترمز للحب الأزلي الواحد ، الذي ينبعث فيضه مالا يتناهى من صور الوجود ، ولم تعد المرأة الاسطورية التي ترمز للذات الواحدة ، التي تفكر فيما لا يتناهى من التمنيات في كل آن . لم تعد شيئاً من هذا أو ذاك ، فقد بدلتها المحنة امرأة عادية ، امرأة يومية إمرأة ككل النساء . إنها ورقة من الأوراق الساقطـــة من شجرة حواء وسيان أن تكون الورقة الأولى او الورقة الأخيرة ، فستجد على حد تعبير الخيام : « من يلتقطها من الأرض ويضعها في قصره » .

وهكذا يسكت الخيام عواء المرأة ويهبهـــا كل ماله عندها من ذهب وفضـــة ، ويسأل الخزاف أن يذهب ويشهد بذلك أمام مفتي نيسابور . وهنا يتعرف عليه الخزاف ، ويعرف في شخصه الخيام ؛ « أنت إذن هو ! » أجل ، هو الخيام !

وينفض الجميع ، ليبقى الخيام وحده ، يمسك بخيط مصيره ، ويسهر مع

قمر الدموع ، ويبكي . ولكنه لايبكي أي بكاء ، ولا يسكب أي دموع ، وإنما هو « بكاء المقاتل المهزوم الذي فجر انتصار الانسانية من خلال ليل هزيمته ».

وعلى هذه الكلمات المأساوية الجليلة والجميلة معاً يسدل ستار الفصل الثاني، وعلى مشهد القافلة المسافرة الى حلب ، والتي يرحل معها الخيام ، يفتح ستار الفصل الثالث والأخير . أما المشهد فيمثل عمر الخيام ، جالساً عند مدخل خان ، يقلب النار بيديه ، وقد مد قدميه العاريتين ، انه يفكر في البعيد ، والبعيد جداً ، في عمره الذي قضاه ثائراً ضد الظلم ، ثائراً ضد القهر ، ثائراً ضد الزيف ، ثائراً ضد كل ماهو مضاد للانسان . واليوم يهيم بين البلاد ، يغير بلداً ببلد . اكثر بما يغير حذاء بحذاء ، على حد تعبير بريخت . وهو يعلم أن كراهة الانحطاط تشوه معالم الوجه ، وان السخط على الظلم يبح الصوت ، ولكنه يعلم أيضاً أن اليأس يكاد يقتله حين يرى الظلم أمامه ، ولايرى أحداً يثور عليه !

ويكشف هذا الفصل عن بعد جديد من أبعاد الخيام ، فهاهو يؤثر الموت في الحياة ، على كل معاني المهادنة أو المصالحة ؛ فرغم كل شيء ، يرفض الخيام دعوة خليفة القاهرة ، يرفض أن يكون ضفدعاًمن ضفادع السلطان ، أوطاووساً يتبختر في حديقة قصره ينتزع لقمته من أفواه الجائعين ، ويشرب كأسه ممن يعانون الظمأ ؛ ويضع يده في يد الحسن الصباح الذي راح يرتع في بلاط القاهرة .

إنه يؤثر أن يعمل حارساً للقافلة ، على أن يكون ورقة أخيرة تسقط من شجرة آدم ، لتجد من يلتقطها من الأرض ويضعها في قصره !

ويعاوده شبح الحسن الصباح مرة أخرى ، ليدور بينهما حوار من أنضج

ما جاء في هذه المسرحية . انه حوار ما بين العقل والمادة ، بين الصورة والهيولي بين الفكرة والفعل ، بين الكلمة التي تكون في البدء والحركة التي تكون في الختام . فالشبح يحاوره ، يعده بالكثير ، ويحرضه على الكثير ، يعيب عليه أن يرفض الولادة من أجل العالم ، ويرضى أن يكون حارساً لقافلة أحد التجار . ويعرض عليه أن يتقاسما الفرصة الأخيرة ، ويضمن له عرش العالم .

ولكن الخيام يعي تماماً أن طريقه يختلف عن طريق الصباح ، وأنهما إنما يسيران في خطين متوازيين لا يلتقيان أبداً . فالصباح يقول لصاحبه وهو يحاوره « أنا أقتل من أجل أن لا يقتل الآخرون » ، فيرد عليه الخيام : « إن القتلة ، قالوا مثل هذا الكلام أيضاً عندما أحرقوا بيتي وكتبي » . فالثورة عند الخيام مقدمة ، ولا بد للمقدمات أن تكون صحيحة حتى تؤدي الى نتائج صحيحة . فالحمل الكاذب يؤدي الى مخاض كاذب ، والهرة السوداء لا تلد سوى قط أسود .

ويعود الصباح يحاور صاحبه وهو يسائله : « وما العمل ، اذا كانت الظروف غير مهيأة للثورة الحقيقية ؟ » . فيرد عليه الخيام : « علينا أن ننتظر ، إن الثوري الحقيقي لا يجازف برأسه وبرؤوس الآخرين من أجل لا شيء » . وهذا معناه أن الثورة ليست فعلاً رومانتيكياً أجوف ، وإنما هي تبعة ومسئولية والتزام ، الثورة إعداد وتعبئة وانتظار . الثورة ليست أنا ، وانما الثورة نحن ؛ وهنا خطر الثورة وخطورتها معاً ، لأن فشل الثورة لا يطيح برأس صاحبها ، وإنما هو يودي برؤوس الجميع .

ولا يعني هذا أن الخيام يهاب الثورة ، أو أن إرادة الثورة قد خمدت في أعماقه ، فآثر سراديب الصمت . وأقبية الأمان ؛ فكما أن هناك شمساً لا تغيب

في قلب كلماته ، هناك أيضاً جمر لا يخمد في قلب ضميره ؛ فهو يهتف من أعماقه وهو يحتضر : « الثورة ! لو ولدت من جديد لوهبت نفسي لها » .

ذلك أن الصراع بين الشاعر والحكيم ، بين الثائر والفيلسوف لم ينطفىء في أعماقه أبداً ، رغم ما يعرفه عن الهوة التي تفصل بين النظرية والتطبيق ، وتبعد الشعر عن الواقع . ويموت الخيام ، وآخر كلماته عـن الثورة ، ، الثورة التي في فكره ، والثورة التي في ضميره : « إن نجم الثورة الحقيقية وراء الف باب من الانتظار الطويل ، ولكنه سيهل ذات يوم .. » .

أجل يا خيام ، سيهل ذات يوم ؛ وسيذكر « أن الخيام مات جندياً في معركة خاسرة من معارك الحرية الأولى ، من أجل أن تنتصر الإنسانية في معركتها الأخيرة » .

وسيذكر أيضاً أن الخيام مات ووجهه نحو الشمس التي تنضج الثمار ، نحو الثورة من جديد ، نحو الثورة أبداً .

وسيذكر أخيراً أن الخيام كان رجلاً .. لأنه رفض الحياة بالمجان ، ورفض أيضاً الموت بالمجان » .

# محاكمة في نيسابور

عبد الوهاب البياتي

## أشخاص المسرحية

الخيام
شيخ الحسن الصباح
كبير القضاة
رجل الملة
استاذ جامعة
الغزالي
خزاف
فتاة
عائشة
اسحق
شاهد
فارس
تاجر
صاحب خان

( يرفع الستار في سكون ، عمر يدخل الى قاعــة المحكمة وهو يرتدي البياض حداداً على ملك شاه السلطان الشاب الذي لم يتجاوز عمره تسعة وثلاثين ربيعاً عند موتـــه . رجال الجامعة يتخذون مجلسهم على المقاعد التي صفت حول القاعة ومعهم رؤساء أقسام الفلسفة والديانات ، وقبالتهم يجلس القضاة بعمائمهم البيضاء وبينهم الغزالي والمفتي )

الخيام : ( مخاطبا نفسه ) منذ آلاف السنين ، وهذا الحجر اللازوردي الساقط من السماء يندفع في الفراغ . كان بودي أن ألتقطه وأقذف به زجاج نوافذالمدينة لأحطمها، ولكن فات الوقت، فها هو ذا يسقط فوق رأسي . المسرح خال والنجوم تضيء في السماء ، وهذا الشاهد الماكر يطمس الى الأبد حقيقة أننا كنا على الأرض .

ضحكات أطفال نيسابور ، باعة الكتب ، الحبر في الدواة والريشة ترتجف في مهب الريح .

يانيسابور ، لماذا ؟ القطط تأكل لحم يدي ، وها أنذا عار عري السماء ، وحزين حزن حصان غجري .

استيقظوا يا باعة الكتب القديمة ، استيقظوا !

كبير القضاة : بسم الله الرحمن الرحيم

الخيام : ( مستمراً في مخاطبة نفسه ، غير ملتفت لأحد ) طوال الليل وأنا

أسمع طنين هذه الذبابة الحجرية في العتمة، وأربت على اكتاف أمواتي الواحد بعد الآخر . الحقد ، هـذا الحقد الذي يطل من عيون هؤلاء المساكين الذين نصبوا من أنفسهم قضـاة وجلادين وقتلة سيغرق نيسابور بالدم .

واني لأرى خلل عيونهم الحاقدة التي يعلوها القذى ، ليل عصور طويلة من البربرية .

رجل الملة : ( يتلو الاتهام الموجه الى الخيام ) إن كتب الخيام ، الفلكي السابق ، للملك الراحل يجب ان يحكم عليها أولاً ، مادام أن هذه الكتب قد أدخلت على المدارس في ربوع الاسلام، وانها ألفت طبقاً لتعاليم الأغريق الكفار . وأن مؤلفها ملحـد ومهرطق لأسباب عدة ، منها : أنه اثر على السلطان الراحل فجعله يترك التقويم الصحيح للاسلام ليقيس الزمن من جديد على أساس من النظريات الالحادية . ثم أنه أقام مكان عمله قرب إحدى المقابر، ليستطيع أن يتسلل بين القبور، ويدنس حرمة الموتى ، و كذلك اعترض على كلمة الله ، فقال إن الأرض ليست مركز الكون، وان النجوم ثابتة . في الحقيقة إن هـذا الملحد وهو يردد هذه الألفاظ بذاتها ، يقيم سبباً كافياً للمحاكمة .

كبير القضاة : ( يلتفت الى الخيام ) أعندك شيء تقوله يا ابن ابراهيم ؟

الخيام : ( غير ملق باله الى سؤال كبير القضاة » الطفولة؟ هل تعرفون شيئاً عن الطفولة ، أيها النسخ المكرورة من كتاب اصفر .

في نيسابور كنت أعدو في سوق الوراقين والى جانبي« رحيم» رفيق صباي وأخي في الرضاعة ، يتشح بثوب ذي لونين : أحمر وأسود . ويوم ان اشترى رحيم كتاباً مصوراً حظيت ياسمين من أبيها بائع الكتب بقطعة من الحلوى ، والحلوى نعمة نادرة في حياة الفقراء .

الحق ان رحيماً كان على استعداد لدفع أي ثمن مقابـــل الصورة التي على غـلاف الكتاب ، صورة سلطان على صهوة جواد يُعمل سيفه في جسد أحد الكفار .

رجل الملة : ( بلهجة حقودة متهافتة ) يا حضرات العلماء والسادة: ان صمته لدليل آخر على استخفافه وسخريتـه من كل شيء ، الشهود ينتظرون . وما علينا الا أن نفتح أفواههم لنجعلهم يتكلمون. إن المسألة الوحيدة التي تنتظر الفصل من المجلس هي — أي عقاب يمكن انزاله بكتب الخيام — ومؤلف هذه الكتب ؟

شاهد : أنا رأيته يحدث الموتى والنجوم

شاهد آخر : وأنا رأيته يصطاد الفراشات في حديقة قصره .

شاهد آخر : وأنا رأيته يحرق بعض الرسائل السرية .

الخيام : ( مستغرقاً في تأملاته ) الحجر اللازوردي الساقط من السماء ورحيم وياسمين وأنا والطفولة ضائعون عبر ليل الخناجر وانهـــار الصمت الموحلة .

رحيم مات بضربة سيف وابتلعته أمواه نهر الليل ، وياسمين ماتت بالطاعون ووضعت جواهر العرس على جسدها ولف

صدرها بالنقاب . ولكن ، لا ياسمين لم تمت فها هي ذي لا تزال في الثانية عشرة من عمرها تكنس حانوت أبيها وتدله على مايضل عنه بصره الضعيف ، وتذرع مابين الحانوت والبيت عدواً في قضاء حاجاته ، وها هي تجلس في استرخاء توشي منديلا او تداعب هرتها السوداء ، متخذة لها مجلساً تستطيع منه ان ترى كل ما يجري في سوق الوراقين .

رجل الملة : ( عتداً وضارباً الأرض بعصاه ) قل كلمة . ان صمتك ليخيم فوق رؤوسنا كما تخيم سحابة سوداء مسحورة خانقة .

الخيام : ورحيم لم يمت ايضاً ، فالموت ليس بمثل هذه القسوة : انه الضفة الثانية لنهر الحياة ، وها أنذا بالرغم من عواء هذه الذئاب المسعورة ، وبالرغم من الضباب وبعد الضفة الثانية ، أرى رحيماً يضع يده على كتف ياسمين ويمسح دموع عينيها . أنا أراهما الآن واناديهما بأعلى صوتي ، وهما يريانني ويناديانني بأعلى صوتيهما ايضاً ، ولكني لا اسمعهما وهما لايسمعانني . . إن السبيل الى اللقاء هو أن يعبر أحدنا الضفة للقاء الآخر ، أيتها الطفولة الضائعة . يا قطرات المطر البنفسجية المتساقطة فوق أسواق ومساجد نيسابور ، إن الموت وجه الحياة الآخر ، موتنا يضطجع على الضفة الأخرى مدخناً لفافته بعيون دامعة . أما موتهم ، موت الآخرين فهو ينشر رائحته في جو هذه القاعة ويكدس جثثه المنتفخة في بساتين نيسابور ويطلق غربانه لتنعب عبر ليل البربرية المخيم فوق هذا النصف المظلم من العالم . انني

لأرى يداً غجرية جرباء تمتد الى كتاب اقليدس ذي الغلاف الملون الموضوع على رف مكتبتي ، أنتزع بعض صفحاته.
الصفحة العشرون تأكل النار أطرافها، النجدة ! ان انساناً يحترق.

**كبير القضاة** : اذا كان الخيام لايريد ان يتكلم ، فليتكلم الآخرون . تباً لهذا الصمت الأسود . كأن المحاكمة لاتريد ان تنتهي.

**استاذ الجامعة** : ( وهويمسك كرشه المتداعي ) ليس كل مايعرف يقال . أنا عندي اشياء كثيرة ضد المتهم ، لكني لا استطيع البوح بها خشية وقوع فتنـــة في صفوف الامة ، ولذا سأكتفي بالقول ان الحقائق التي بسطت لاتحتاج الى تدليل وان بد عمر فضلاً عن هذا ، قد ارتكبت جرماً آخر ليس معروفاً كمثلها للجميع ، فان الخيام كان يكتب بين الحين والآخر رباعيات لم تجمع في كتاب ولكنها رويت في كل مكان فعرفها المتصوفون على وجه الخصوص ورددها العصاة تحدياً للقرآن وتعاليم الاسلام ، وانا بصفتي خادماً متواضعاً للعلم قد جمعت الكثير من هـذه الرباعيات مكتوبة بخطوط مختلفة في بلاد فارس ولكنها جميعاً من نظم الخيام . فاذا سمح الاساتذة والقضاة المتفقهون فأنا مستعد لأن أسمعهم هذا الشعر الفاجر مستغفراً اياكم لترديد ألفاظه بمعانيها الفاجرة .

« تحدث ضجة كبيرة في القاعة »

**كبير القضاة** : أقرأ ولا تخش شيئاً !

| | |
|---|---|
| استاذ الجامعة | : لقد قلت أن ليس كل ما يعرف يقال، ولكن هاكم رباعية واحدة فيها كفر واضح : |
| | « أنت يامن نصيح بك<br>نلتمس العفو<br>قل لي ، أين تستطيع أنت أن تجد العفو ». |
| الخيام | : « ينظر بدهشة الى استاذ الجامعة ويفتح فمه ليتكلم لأول مرة » . انني لم أكتب هذه الرباعية . |
| الغزالي | : « يقف متجنباً عيني عمر ويخرج من أقرب الأبواب متمتماً دون أن يسمعه أحد » |
| | لقد سمعت كيف انك خرجت على تعاليم نظام الملك - رحمة الله عليه - وكيف أنك مارست السحر في أصفهان على طريقة الكفار . |
| الخيام | : « يقف وكأنما سري عنه اذ وقف » |
| | آخر ضيف يرحل . لقد كان الشاهد الوحيد ولكن صمت الصحراء ناداه ، فرحل . |
| كبير القضاة | : أتريد أن تتحدث أمامنا يا عمر الخيام . |
| الخيام | : نعم . هذا الشعر الأخير ليس لي ، ولكن هناك رباعية لم تتل عليكم وهي : |
| | « اذا كنا في فجر يوم الحساب سنبعث مع ما يجاورنا في القبور فلتضعوا الى جواري ابريقاً من خمر شيراز وحسناء ضحوكاً » |
| كبير القضاة | : تبارك الله ! |
| الخيام | : ان هـــذا الشعر لم يكتب وانما وقع في نفسي كشيء ملائم للمناسبة . |

درويش : في الموت ملجأ حصين .

درويش آخر : أيها الكافر !

« تحدث ضجة في القاعة »

كبير القضاة : سماعاً يرحمكم الله !

أستاذ الجامعة : لم يبق في قاموس الكفر الا أن تقول له ، قم يا ابن ابراهيم لنعص جبار السموات .

كبير القضاة : سماعاً يرحمكم الله ! « ثم يلتفت الى عمر » أعنـــدك شيء آخر تضيفه ؟

الخيام : ؟

استاذ الجامعة : انه لم يدافع عن نفسه بكلمة واحدة ياسيدي ، وتحصيل الحاصل : ان الخيام غارق حتى اذنيه في الكفر والفجور ، وانه لم يجرؤ على دفع الحجة بالحجة .

الخيام : « غير ملتفت الى استاذ الجامعة » ليس عندي شيء آخر أضيفه .

كبير القضاة : اذهب اذن وانتظر حكم القضاء .

الخيام : « يقف في زاوية المسرح ، غارقاً في تأملاته » ان الآخرين يحاولون موتهم معهم ، وهم يستطيعون بسهولة أن يحشوا فمه بالحلوى ، وأن يقيموا له الولائم . الموت بالمجان لعبة نيسابور الجديدة اذن ! حسناً أيهـــا السادة الملتحون ذوو الوجوه الرمادية ، استمروا في لعبتكم ولكن عليكم أن تعلموا ان هـذه اللعبة ستنتهي حتماً .

أيها البذور الميتة لعالم من الفوضى والبربرية ودمار القيم الانسانية ،

انتم بمثاون فاشلون مقدماً لهذا العالم ، لأن الانسانية في مسارها الطويل في مخاضة الدم والألم والاستشهاد ، ستجد عشبها ونارها في نهاية المسار ، انني لأرى خلل ليل نيسابور الذي يقطر دماً ، كتاب اقليدس ذا الغـــلاف الملون وغيره من الكتب ، التي تلعبون الليلة لعبتكم الأخيرة على ضوء نارها ، تعاد كتابتها بحروف جديدة .

كبير القضاة : « متضجراً » لقد قضي بأن كل كتبك مخالفـــة للشرع لكونها من عمل كافر ، وسوف يحظّر ادخالها في المدارس ، وسيحرق ما هو هنا منها ، وسيصادر بيت النجوم ويؤول من الآن الى مجلس نيسابور . وأنت ممنوع من أن تضع قدميك فيه ، أو تتحدث الى الناس في دائرة مدينة نيسابور .



الخيام : سمعت هذا ولكن ماذا عن شخصي ؟

كبير القضاة : « وهو يعبث بلحيته » لقد قال بعض القضاة انك مجنون ، ابتلاك الله ، هذا ما لا علم لي به .
أنت حر ، ولكن عليك أن ترحـــل عن نيسابور وعن الجامعات الاسلامية .

الخيام : الى أي مدى ؟

كبير القضاة : الى الأبد .

الخيام : « ينسحب الجميع من المسرح ويبقى هو وحده » لم أعد أنا ابن ابراهيم ولم أعد الخواجة عمر مولى السلطان ومانع الاحسان ،

لطالما استمعت الى المناقشات هنا في صحن هذا المسجد الذي تلقيت فيه العلم على أيدي العلماء ، أما الآن فما أنا بعمر . ما أنا الا شبح هالك منفي الى الأبد .

منذ خمسة وعشرين عاماً حين كنت انتظر ياسمين بجـــانب النبـع ، كنت أنا وحدي الحقيقة ، أما الآن فهم الحقيقة ، وأنا مجرد شبح يروح ويغدو في غير ما غاية .

ان القنوط الذي يعتريني الآن ، هو ليس قنوط الآخرين العقيم ، انه قنوط موسيقى السماء الوحشية ورماد انساني حار ينهال فوق الجسور وزجاج نوافذ البيوت الملوّن وفوق رؤوس المعذبين والمصابين الذين رفضوا أن يموتوا بالمجان .

القمر في فم الحوت والليل فوق نيسابور ، ايتهـــا الحرائق الليلية ، أيها اليأس الانساني الذي يبني هـــذه الليلة ، ألف جناح ، أنا ممدد تحت السماء الفارغة وقطرات المطر الحزينة تغسل جراحي الحقية .

**شبح الحسن الصباح:** « يتسلل الى المسرح وهو يمتطي ظهر حيوان خرافي مجنح » ما جدوى علمك يا ابن ابراهيم ، انه لم يهبك عرش العالم ، فها انت ذا شبح هالك مسكين ، منفي ، حتى عن مدينتك التي وهبتها نور عقلك وعصارة شبابك ، لقد وهبتهم كل شيء ، وسلبوك هم كل شيء . ان السبيل الوحيد للقضاء على الشجرة المنخوبة هو قلعها من جذورها والقاؤها طعاماً للنار ، كما هو

السبيل مع السلطة الزمنية المستبدة الغاشمة التي يجب أن تدك وتدمر من الأساس .

التدمير هو اللعبة الجهنمية الوحيدة التي تستطيع ان تشفى البشرية فيها من بؤسها . التدمير ! الجرائم . الاغتيالات . نشر بذور الفساد انتظاراً لحصاد انساني مقبل ، انتظاراً لربيع أسود لايموت فيه الناس بالمجان . ضع يدك فوق يدي وأنا أضمن لك عرش العالم ، واضمن للبشرية التي تحبها العدالة والحرية والخبز . أنت الرأس المدبر وأنا اليد الضاربة . ضع يدك في يدي وتعال معي والا فاتتك وفاتت البشرية التي تحبها . قافلة بناة العالم الجديد .

الخيام : مَنْ يزرع العاصفة يحصد العاصفة ، اذهب الى الجحيم أيها الارهابي الصغير ، فأنت تفكر وتتحدث على شاكلة هؤلاء اللصوص والقتلة والأفاكين الذين تنوي اغتيالهم وسلب السلطة منهم . ان البشرية تعرف طريق مسارها الطويل وستنتزع حقوقها بالعلم والمحبة والعمل الدائب ، واذا اقتضاها الأمر فستحمل السلاح ، لا لتدمر العالم وانما لتعيد بناءه . واني لارى بعين الغيب نجماً ، هناك في السماء الفارغــة سيطول انتظار الانسانية له ، ولكنه سيهل ذات يوم وتملؤ أنواره الأرض ، واني لأصلي من أعماق نفسي لذلك اليوم ، لا من أجل نفسي أنا ، فما أنا إلا شبح منفي هالك ، وانما من أجل هؤلاء المعذبين الذين طال انتظارهم دون جدوى .

لقد كنت جندياً في معركة خاسرة ، ولكن معارك الانسانية المقبلة مع اعدائها سوف لن تنتهي .

ستار

## الفصل الثاني

( رحى خزاف عليها طين جاف في حانوت وعلى الارض سجادة وابريقان ، المكان يفوح برائحة الخمر في جرار مصفوفة الى جوار الحائط ، فتاة تبتسم لرجل يلعب على أوتار قيثارة )

عمر الخيام : كن حريصاً لكيلا تريقها

الخزاف : « يمسك بابريق بين ذراعيه وكأنه يعانقه ، وهو يصب الخمر منه في كأس »

ماشاء الله ، هل ضل صاحب السيادة طريقه ؟



الخيام : « ينظر الى ثوبه وقد عفره التراب والرماد ، وهو يفرغ كأسه متنهداً »

اليوم طلقت الدين والعلم واتخذت من ابنة الكرم عروساً :

الفتاة : « ضاحكة »

ما اغرب اسماء عرائسك

الخيام : « ناظراً الى الفتاة بجمود »

غني !

« ثم يلتفت الى الخزاف »

وأنت يا فاغر الفم ، داعب اوتارك ، فمثل هذا الطلاق لايحدث ابداً .

الفتاة : وماذا أغني ؟

الخيام : غني أغنية الحجر اللازوردي الساقط من السماء هكذا « يقف على قدميه » تصوري نفسك واقفة على أطراف الصحراء وأنت تشربين خمراً بقبة السماء الزرقاء !

« الفتاة تنظر الى الخزاف وكأنها تشير اليه أن لا يقدم مزيداً من الخمر »

الخزاف : « غير ملتفت الى اشارة الفتاة » لدينا من الاقداح مايكفي والحمد لله ، فلا داعي للشرب بقبة السماء الزرقاء .

الخيام : « مستمراً في تهويماته » بداية الاغاني السعيدة تتحدث عادة عن الطفولة .

تصوري نفسك وأنت تمسكين بخيط ، وفي نهاية هذا الخيط طيارة ورقية ملونة تهتز وترتجف فوق سماء نيسابور . نافورة تنتحب في بستان ورد ، وفراشة تحتضر ، انها نهاية سيئة لأغنية رديئة .



الفتاة : « بنفاد صبر » طيارة ورقية . نافورة تنتحب . فراشة تحتضر . ولكني لا أعرف اغنيات تتحدث عن أشيائك هذه .

الخيام : « يمسك بابريق الخمر »

« ماذا لو كان هذا الابريق وهو من طين، عاشقاً مدلهاً مثلي . شفتاه على شفتي الحبيبة الجميلة وذراعاه حول نحرها . »

الخزاف : « وهو يغالب النعاس » من يدري !

الفتاة : ما أعذب هذا الشعر !

الخيام : الكلمات العاهرة تخونني وأنا أصعد جبل مشنقتها ، والثلج

يتساقط فوق رأسي . كنت احس بعذوبة الشعر الذي اكتبه عندما كان لي بيت وأسرة ، واليوم لم يبق لي الا الكلمات ، هذه الفقاعات الملونة التي ابعثرها في الهواء خشية الاختناق .

الفتاة : عدنا الى الكلمات والتاج والمشانق ، من أين لي ان افهم معنى هذا الكلام ، وانا فتاة بسيطة حشي رأسها بالكلمات الميتة . ما أجمل ان اولد ثانية ، لأتعلم على يديك مثل هذا الكلام العذب ، وأغنيه لنفسي وللآخرين .

الخزاف : « يفتح عيونه المثقلة بالنعاس » كفى حديثاً ياسيدي ، فان المؤذن يدعو للصلاة من فوق المئذنة »

الخيام : لاتلق بالاً اليه ، فهو انما يدعوك الى هاوية مخبوءة في مئذنته ، فاحذره !

الخزاف : اصغ ياسيدي ، ودع الشعر لأهل الشعر ، فلكم مر بحانوتي هذا من مدعي الشعر ومنتحليه ومردديه ،وجئت اليوم انت ، لتزيد الطين بلة .

« صوت المؤذن ينبعث من بعيد »
« حي على الصلاة ! »
« حي على الفلاح ! »

الخيام : « يهتف بالمؤذن » في الفجر نادى مناد بباب الحان
ايها الحمقى والبلهاء عليكم بكأس اخرى
هبوا وتعالوا قبل ان يملأ القدر
كؤوسكم ، وتنتهي ايام عمرايكم

الفتاة : في هذه الليلة تعلمت منك أشياء كثيرة ياسيدي !

الخيام : وانا فقدت اشياء كثيرة . ما اشد وحشة الليل عندما يتحطم المصباح . انا استطيع ، مثلاً ، ان اسير هكذا في الظلمة فالمسألة لا تعنيني شخصياً ، ولكن ماذا عن هؤلاء الذين لايستطيعون أن يخطوا خطوة من دون نور هذا المصباح الذي تحطم . الوحشة الحقيقية عندما يلتفت الانسان ويرى ان خبز الآخرين قد أكلته الذئاب .

الفتاة : انا اخاف عليك من هذا الكلام الذي يندلع منه نذير فاجعة . ما أحلى شعرك الذي تحدثت فيه عن الابريق والبلهاء والحمقى الذين ناداهم مناد بباب الحان . فعد اليه من اجل هذه الليلة !



الخيام : أعود اليه من أجل هذه الليلة ؟ وماذا سيكون شأن الليالي المقبلة ، التي سيزحف دود الضجر علي فيها . لست محسناً لأتصدق على أحد بهذه الليلة وكل الليالي القادمة . أنا حر منذ اليوم ، هذه الليلة وكل الليالي ، ستكون ملكاً لي أنا وحدي ، سأمسكها هكذا بيدي وأضغط على عنق ساعاتها الضائعة ، لأحطمها .

ان محاكمتي لم تبدأ امس ، ولم تنته اليوم ، لقد بدأت منذ ان مات رحيم بضربـــة سيف ومات ياسمين بالطاعون ، ولن تنتهي الا بموتي . لقد كان لي بيت النجوم ولكن القتلة اشعلوا النار فيه . انا بأم عيني رأيت اثنين منهم يتجاذبان الستار الذي عليه رسم التنين ، ويتجادلان فيما اذا كان يستحق ان

يؤخذ الى السوق ليباع كل كتبي وأوراقي: جداول النجوم ، وكتابي عن اقليدس الذي لم انته منه بعد ، كدسوها جميعاً جميعاً هناك ، وكانت طعاماً للنار .

**الفتاة** : « تنظر الى الخيام بهلع » انه انت اذن !

**الخزاف** : « يفتح عيونه المطبقة » ماذا جرى ؟ ومـا الذي كان طعاماً للنار ؟

**الخيام** : « غير ناظر اليها » ديك مخصي بثياب رجل ، كان يمتطي حصاناً أبيض فارهاً : انه المعزي شاعر الملك . وكان احـد القتلة ، يقول له : هل ستنظمون قصيدة في وصف الحريق .

**الفتاة** : « ذاهلة » انه أنت إذن !

**الخزاف** : « وهو يحدج الفتاة بنظرات شزر » اسرعي أيتها الحمقاء، وقدمي له قدحاً آخر ، بل ابريقـاً فلم يبق الا أن نتحمل ثرثرة المجانين والمشبوهين .

« الفتاة تقف مشدوهة غير مصغية الى الخزاف . الخزاف يـذهب بنفسه ويملؤها قدحاً ، ثم يلتفت الى الفتاة » أيتها الحمقاء ستدفعين أنت ثمن جنونك !

« ثم يلتفت الى الخيام بسخرية وغضب » تفضل ياصاحب السعادة !

**الخيام** : « يتناول القدح ويرمي به ارضاً » رائحة الدم تثـير عطش كلاب الصيد ، أيهـا المسخ الكريه ، اذهب الى سيدك الملك والعق أقدامه وسوّد ما شئت من تـلال الصفحات في حمـده فأنا لا أكرهك لأن الكراهية صنو الحب ، وانما أنا احتقرك .

**الخزاف** : « بخوف غريزي » كفى ياصاحب السعادة حديثـاً عن الملك

وعن شاعره ، فأنا رجل يخاف الله ، ولا اريد لحانوتي ان يكون وكراً للمشبوهين .

« تدخل عائشة وأسحق من باب جانبي »

عائشة : أي جنون جديد هذا ؟ ألا تعلم بأننا نبحث عنك منذ اسابيع . اي والله ! ألا يكفي انهم أحرقوا بيت النجوم ، وان مقرضي النقود في السوق قد استولوا على بيتنا في المدينة نظير ديونهم ؟

الخيام : ان النار اصبحت اليوم رماداً هامداً . فما لقيصر لقيصر وما لله لله .

عائشة : لقد اصبح اسمك اضحوكة في بلاد السلطان الجديد الذي ألغى تقويمك ، وأعاد العمل بالشهور القمرية الشرعية .

الخيام : تقويمي ؟

عائشة : « باستخفاف » نعم لقد استغنوا عنه . ألا يكفي ان النساء يشرن الي بالحمّام قائلات : انظري جارية عمر الخيام ، وان بغايا المعزى يركبن في الهوادج وحولهن العبيـد يخلون لهن الطريق ، في حين لا أملك أنا الا حصاناً واحداً واسحق . وأنت غارق هنا مع ابنة الخزاف في الخمر .

الفتاة : « بغضب » اينها . . .

الخيام : « مشيراً الى ابنة الخزاف بالصمت ثم يلتفت الى عائشة » انه لكاف يا عائشة . أعدك بأن النساء لن يعيرنك مرة اخرى باسم عمر الخيام ، وان طواويس المعزى لن يكون لها ريش أفخر من ريشك بعد اليوم .

« ثم يلتفت الى اسحق »

يا اسحق أليس تحت يدك مخزون من الفضة ؟

عائشة : الله وحده يعرف مقدارها

الخيام : ثم ان لدى عائشة صندوق الذهب وأشياء أخرى

« عائشة تتبادل النظر مع اسحق فقد علمت من قديم ان الخيام يستطيع ان يقرأ ما يدور في خلدها »

اسحق : ان لديها الجواهر ثم صندوق العملات.

الخيام : اذن فاشهد ايها الخزاف ، انني اهب كل ما املك لجاريتي التي هنا ولخادمي ، فاذهب واشهد امام مفتي نيسابور بهذا .

الخزاف : « ينظر بدهشة الى عمر »

انت اذن هو ! لقد ظننتك ، يا سيدي ، بادىء ذي بدء ، جاسوساً من جواسيس الملك ، يتظاهر بالسكر والجنون ليخرب حانوتي. أنا شخصياً لا احب الشعراء ، ولكني أحب تقويمك الشمسي .

اسحق : ولكن يا مولاي ، ماذا سيكون شأنك ؟

الخيام : « هامساً » لقد حُرمت كتبي على المدارس واحرقت سجلاتي ، ونُسي تقويمي ، ونُفيت عن نيسابور الى الأبد .

ان وراء الحجب كأساً خفياً

ما من أحد الا وهو شاربه

فلا تفرق عندما يجيء دورك وتتناوله

بل اشربه في غبطة وابتهاج

هذا ما أعرفه

« اسحق يغمز الخزاف ثم يشير بيده اشارة ذات معنى . عمر مسنطرداً »

قُل لذلك المفتي ايضاً انني راحل مع القافلة المسافرة الى حلب . والآن اذهبوا الى نيسابور جميعاً .

اسحق : « ينظر الى عائشة بدهشة » ماذا دهاك ايتها المرأة ؟

عائشة : لست ادري ، ولكن هل سيكون الصندوقان لي حقاً ؟

اسحق : قطعاً : لقد قالها السيد .

« تخرج عائشة واسحق والخزاف ، ويغلقون الباب ورائهم ويبقى عمر والفتاة ».

الخيام : الورقة الأخيرة من شجرة داهمتها العاصفة سقطت على الأرض وحملتها الريح الى نيسابور ، وهناك ستجد من يلتقطها من الأرض ويضعها في قصره . عائشة هي هذه الورقة الأخيرة . لقد استردت نفسها . كانت أرنباً صغيراً عندما إلتقطتها أنا نفسي أيضاً من السوق ، ونقدت ثمنها ذهباً .

في حديقـــة قصري كانت تقف الى جانب النافورة كل ليلة تراقص الظلال الخفية والفراشات النائة وتنتظر فارساً مجهولاً ملثماً يأتي من وراء الأفق ، ليزيح نقاب الدموع عن عينيها ، وكنت أنا ذلك الفارس الذي يأتيها كل ليلة . وها هي ذي تذهب الى الأبد .

الفتاة : « تضع إبريقاً جديداً أمام عمر » ان الكارثة التي حلت بك كفيلة بأن تهد جبلاً .

الخيام : أنا أمسكت بخيط مصيري هكذا وجذبته ، وها أنذا أسهر مع قمر الدموع لأبكي ، بكاء المقاتل المهزوم الذي فجر إنتصار الإنسانية من خلال ليل هزيمته .

الفتاة : وماذا كان ثمن هذا كله ؟

الخيام : انني لا أطلب ثمناً ، فلقد كانت حياتي هي الثمن ، وهــذا يكفيني !

الفتاة : « توقد الفانوس » أنا مسحورة من هذا الليل الذي يهبط ثانية ، وأن قلبي لخائف !

أيسمح لي ، سيدي ، ان أذهب لأنام ؟

الخيام : ان ركب هذه الحياة آخذ في طريقه المجهول فيا أيها الساقي ناولني الكأس ، كأس السرور مادام الليل ممتداً . ولاتفكر في أمر الفجر الجديد .

الفتاة : « وهي خارجة » اكتب ، ياسيدي ، اكتب مزيـداً من الشعر ، فهو يعدل نعمة الدموع عندك .

الخيام : « متمتماً وهو شبه نائم » ليس هذا بلبل أطلق في حديقة القمر .. انها إمرأة تغني في ليل لا آخر له .

**ستار**

## الفصل الثالث

( في مدخل خان يقع على مسيرة يومـين في طريق خراسان ،

جلس عمر يقلب النار ، وقد تدلى من كتفيه ثوب خلق من وبر الجمل ، ومد قدميه العاريتين .

يسمع وقع حوافر حصان على أرض الطريق الوعرة . فارس منفرد يقبل نحو النار ) .

**الفارس** : أيها الحارس ، أهذه هي القافلة المتجهة الى حلب ؟

**الخيام** : نعم !

« الفارس يترجل ويمد ساقيه المتعبتين من ركوب السرج . ويتثائب عمر مستطرداً » :

نعم ! انها القافلة المتجهة الى حلب .

**الفارس** : يالله انها لمسافة طويلة من نيسابور . أيوجد من يسمى الخواجة عمر الخيام مع هذه القافلة ؟

« عمر يلقي بعض الحطب في النار ويفكر . صاحب الخان يخرج من مخبئه وراء الباب ويجلس بجوار الفارس »



**صاحب الخان** : لايوجد إلا تاجر واحد هنا ، وهو ليس خواجة ولا خياماً .

**الخيام** : « بعد لحظة »

أنا هو !

« ينظر اليه الرجلان ويضحكان »

**الفارس** : يا لله أأدفع بكتاب الخليفة الى حارس مشعث اللحية ؟ انه خليفة القاهرة يكتب الى عمر الخيام يطلب منه الحضور ليقرأ له طالعه ، وأنا مكلف بأن أصحبه مكرماً الى بلاط القاهرة .

**صاحب الخان** : ماشاء الله ، أهذا حق ؟

**الفارس** : « يخرج من منطقته كتاباً مطوياً مختوماً »

أنظر !

الخيام : أو ليس حقاً كذلك ان الحسن الصباح في بلاط القاهرة مقرب الى مولاك الخليفة ؟

الفارس : ومن أنت حتى تعرف هذا ؟ نعم انه هناك كما تقول ولكن ماذا ؟

الخيام : « يلتفت الى صاحب الخان الذي راح ينظر اليه مشدوهاً »
ايتني بقلم ومداد
« ثم يتناول الكتاب ويلقيه بين أصابعه ثم يقفل عينيه ويروحيزنه بين أصابعه » .
اني أرى بعين خيالي البيادق الجديدة والملك : اللعبة الجديدة في القاهرة ، وهو ينتظر الضربة الأخيرة هكذا ...
« يقف الخيام »
هكذا كما يحدث كل يوم : الشاه مات .

صاحب الخان : القلم !
« ثم يلتفت صاحب الخان الى الرسول هامساً »
إذا استطاع ان يكتب ، فانه لايمكن ان يكون مجرد حارس .

الخيام : « يميل صوب النار ويكتب على ظهر الكتاب بصوت مسموع »
ان الخيام الذي انفق حياته في الدرس قد انقطع خيط حياته ، حرمته يد القدر عامدة أو خاطئة ، فتهيأ للبيع يصيح به الدلال :
« من يشتري عبداً طروباً ؟ »
« ثم يناوله الفارس »

الفارس : ولكنك لم تقرأ الكتاب !

الخيام : اني اعرف ما فيه « الفارس يغادر الخان مرتبكاً ويخرج معه صاحب الخان »

« الخيام مستمراً في حديثه »

نعم ، اني اعرف ما فيه ، كما اعرف برودة هـذا الفجر الرمادي الشاحب .

ها أنا آخر الامر وحيد بلا صديق او وطن . ماذا قالت ياسمين عن تلك الساعة ؟ ما اقسى عذاب المحب الذي يرى نفسه وحيداً عند مغيب النجوم ... ورحيم هذا الذي غاض دمه في التراب ولن يجري مرة اخرى ... مالي والتفكير في هذا ، انهما لن يعودا ابداً . لن يقبلا كما أقبل ذلك الفارس على طريق خراسان الكبير .

« يقوم الخيام مترنحاً ، ويجري الى الطبل بجوار النائمين ، ويقرعه بقبضته ، فتردد جدران الخان صدى صوته ، ثم يعود ليوقظ رجال القافلة واحداً بعد الآخر من رقادهم »

صاحب الخان : « وهو يعد نقوده » ولكنني رأيته يكتب شعراً على ظهر كتاب الخليفة !

التاجر : نعم ، لقد ابتلاه الله ، ومع هذا فانه لا ينام ابداً حتى مشرق الشمس ، واسمعوا الآن ... « يعتلي التاجر صهوة حصانه ، وينادي » : ايها الحارس ! الى اين تسير القافلة ؟

الخيام : ممسكاً بزمام الجمل الذي يقود القافلة وينظر ، فيرى النهار قد تطلع وأشرقت الشمس من خلال الغبار الذي أثير في جو الخان ، وهو يقول » :

تسير القافلة الى حيث ذهب الليل !
ولكن علينا ان نسرع

التاجر : « وهو يبتسم » الى اين ذهب هذا ؟

الخيام : « يمر بيده متعباً فوق عينيه » الى غير ما مكان

شيخ الحسن الصباح: « يظهر على شكل سحابة تظلل الخيام الذي سبق القافلة التي يقودها كثيراً » ها قد منحت الفرصة لتولد من جديد ، وها انت ذا ترفضها ، ان مبدأك لعجيب . انت ترفض الولادة من أجل العالم ، ولكنك ترضى ان تكون حارساً لتاجر يضع خدماته تحت تصرف السلطة الزمنية الغاشمة . انك بعملك هذا لم ترفض شيئاً ، ولكنك اخترت ! وماذا اخترت ؟ الولادة المجانية من جديد . تعال ! لنتقاسم الفرصة الممنوحة ، وانا اضمن لك عرش العالم .



الخيام : الولادة المجانية . عرش العالم . الرفض : لقد فقدت هذه الكلمات معناها في نفسي . العبث بالألفاظ لن يغير المصير . قصارى ما هنالك انك تريد ان تنزع الأقنعة عن بعض وجوه القتلة واللصوص ، لتضعها على وجوه آخرين مثلهم .
ان طريقي ليختلف عن طريقك ، وان عقلي ليرفض ان يكون مطية لمآربك القذرة الشريرة .

شيخ الحسن الصباح: البحيرة الراكدة بحاجة الى حجر كبير ، ليوقظ أعماقها الآسنة . كل الأحجار السابقة التي ألقيت فيها صنعت دوائر وامواجاً لم تلبث ان اضمحلت وماتت .

وكيف يمكنك ان تلقي بالأحجار الكبيرة دون ان تتلوث يدك بالدم .

حسناً ! ان يدي ملوثة بالدم ، وماذا بعد هذا ؟ انا أقتل من اجل ان لا يقتل الآخرون .

الخيام : « يلتفت ، فيرى انه قد إبتعد كثيراً عن القافلة »

ان القتلة ، قالوا مثل هـــذا الكلام ايضاً عندما أحرقوا بيتي وكتبي .

شيخ الحسن الصباح : انهم يقتلون ويحرقون من أجـل ان يزداد لمعان ذهب امثال قاضي قضاة نيسابور والمعزى وكل ذباب موائدهم ، ونحن نقتل من أجل العدالة .

الخيام : الثمار لم تنضج بعد ، اين الشمس ؟ ان الشمس كفيلة بانضاج كل شيء .

شيخ الحسن الصباح : علينا بانضاج الثمار بأي ثمن ... حتى ولو كان ذلك على نار الحرائق .

الخيام : ومن أجل هذا انت تقتل ؟

شيخ الحسن الصباح : انا لا أقتل فقط ، وإنما أهب النور للأجنة التي في بطون امهاتها . لقد رأيت بعينيك ، كيف كان اتباعي في قلعة عش النسور يقبلون الأرض بـــين يدي ، ويتصايحون : « القديس الحسن الصباح ! »

الخيام : انهم كانوا يرونك قديساً من خلال بخار الحشيش الذي كنت تطعمهم به .

وكل سيد يطعم الحشيش لاتباعه حسب طريقته ، فقاضي قضاة نيسابور كان يطعم الملة ما هو أخطر من الحشيش ، أحاديث لا تنتهي عن الجنة والنار . وآخر هو انت ، لا يقل عن قاضي القضاة مكراً ولؤماً ، وكان يحشو رؤوسهم بكلمات عن عدالة وهمية لا وجود لها .

العمى والفوضى والدمار والموت بالمجان يتقيأ ويتثاءب طوال الطريق من نيسابور الى حلب وأنت واضرابك مسؤولون عن انكفاء العقل في هذه الارض التي تبدو فوق جبالها وعد عقيم .

شيخ الحسن الصباح: وهذا أوان الحصاد !

الخيام : الحصاد على نار الحرائق وسرقة عيون الموتى وتبديد طاقات البشر في اعمال فوضوية لا نهاية لها .

شيخ الحسن الصباح: وما العمل اذا كانت الظروف غير مهيأة للثورة الحقيقية

الخيام : علينا أن ننتظر . ان الثوري لا يجازف برأسه وبرؤوس الآخرين من أجل لا شيء ، الثورة تتطلب الإعداد والتعبئة والانتظار .. انتظار اللحظة الحاسمة .. والانقضاض هكذا .. الثورة لو وُلدت من جديد لوهبت نفسي لها .

« يسقط عمر على الارض من شدة الانهاك والعطش والعناء النفسي »

شيخ الحسن الصباح: إذا كانت الظروف غير مهيأة للثورة ، فلنجهضها ! فلنجهضها ولنلطخ بالدم وجوه هذه التماثيل الحجرية العمياء المنتصبة في حقول الرماد . الوقت قد حان لأن اركب ظهر خليفة القاهرة لأصل الى أهدافي ، ومن يدري ربما سأغمد سيفي بعد ذلك ، هكذا ، في قلبه .

**الخيام** : ان نجم الثورة الحقيقية يلمع نوره وراء الف باب من الانتظار الطويل ، ولكنه سيهل ذات يوم .. وسيذكر البعض ان الخيام مات جندياً في معركة خاسرة من معارك الحرية الأولى ، من أجل أن تنتصر الانسانية في معركتها الأخيرة .

« السحابة تذوب في السماء ، وترتفع أصوات رجال القافلة الذين اصبحوا على مدى البصر من عمر » .

**التاجر** : انه لا يتحرك !

**رجل** : طوال النهار وهو يحث جمله على السير كأنه كان يطارد شبحاً خفياً .

**رجل آخر** : كانت هناك سحابة تلازمه ، ولكنها ذابت في السماء فجأة .

**التاجر** : لا حول ولا قوة إلا بالله . انه ميت !

« يقلب احد رجال القافلة عمراً على ظهره ، التاجر متابعاً قوله »

لقد ابتلاه الله ، فقد كان لا ينام ابداً .

**رجل آخر** : علينا أن نواريه الارض !

**التاجر** : غفر الله ذنوبي ، فانا لم ادفع اجرته ، عندما سأصل حلب سأوزع ما كان يستحقه من اجرة على الفقراء .

ختام

# الدراويش يبحثون عن الحقيقة (١)

مسرحية في ثلاثة مشاهد

مصطفى الحلاج

أشخاص المسرحية:

درويش

زينة : زوجته

أحمد عيسى ، رباح ، فاطمة : أولاده

سبيحة : زوجة الآخر

القاضي

المحقق الأول

المحقق الثاني

الرجل الثالث

الحارس

---

(١) المسرحية التي فازت بالجائزة الأولى في (مسابقة المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية) للمسرحية الطويلة.

المكان :

( في منتصف المسرح زنزانة ضيقة ، الى اليسار عند أعلى الحائط في الصدر كوة صغيرة مربعة مشبكة بقضبان الحديد هي الطاقة الوحيدة المفتوحة على العالم الخارجي . على الأرض فراش من القش وغطاء من الصوف والى جانبه طبق وقدح وملعقـــة ... الزنزانة تبدو في بعض المشاهد عارية تماماً .

يسار ويمين المسرح على جانبي الزنزانة فارغ مظلم . يستخدم جانبـــا المسرح عندما يقتضي الموقف بتسليط الضوء عليها .

باب الزنزانة الحديدي في الصدر ) .

## المشهد الاول

( دائرة النور في الزنزانة تشمل وسط المسرح ...

درويش قاعد في مواجهة النظارة ... عينـــاه مطبقتان وهو يحول رأسه في عصبية يمنة ويسرة .

ينفجر صوت موسيقى راقصة صاخبة ، مختلطة بغناء ، بضحكات ، بمشاهـــد تمثيلية الخ ... يثب درويش من مكانه عند انطلاق صوت المسجل في الخارج ) .

**درويش** : ( يتنصت لحظة .. تتوقف الموسيقى .. يخرج تنهدة ارتياح )
آه .... في الوقت متسع .. آه ياموسيقى الليل تصدحين على غفلة ومـــا يزال في الوقت متسع ! ( يتسع على جـــدار الزنزانة الداخلي ) .. تمهلي ياموسيقى الليل وترفقي ! ... ( يخبط باب الزنزانة الحديدي ) أنا هنا .. ( يهز رأسه في حركة تعجب ) على الرأس والعين ايها الحارس الصديق .. أنا هنا وما بي حاجة أريد قضاءها ... ( يتوجه بالخطاب الى شخص الحارس غير المنظور ) قل للموسيقى أن تتمهل .. اذا لم أحدهم بتحريك قرص الآلة فقل له « في الوقت متسع » ... ( يخبط باب الزنزانة مرتين )ما بي حاجة إلا أن تقول للرجل القاعد هناك وعينه على الآلة «مايزال في الوقت متسع » ... ترفق ايها الحارس ياذا الخطو الدؤوب والق في أذن الرجل كلمتين صغيرتين .. « مايزال في الوقت متسع ... » .

( يفتح الحارس طاقة الباب الحديدي ويتطلع في الغرفة فلا يبصر درويش الملتصق بالجدار ) .

**الحارس** : ( من الخارج ) : هيه .. أنت !

**درويش** : ( من مكانه قرب الجدار ) : نعم ياسيدي الحارس .

**الحارس** : تعال هنا ... أمامي !

**درويش** : ( يتقدم ) : نعم ياسيدي الحارس

**الحارس** : ماذا تفعل هناك خلف الباب ؟

**درويش** : أقف ..

**الحارس** : ولماذا تقف هناك ؟ .. ماذا في الأمر ؟

**درويش** : لاشيء ياسيدي الحارس .. أقسم لك .. أنا أقف هناك ليس غير ..

**الحارس** : ( محتدا ) : عليك اللعنة .. أعرف أنك تقف ولكني أسألك ماذا كنت تفعل في وقفتك هناك ؟

**درويش** : ( مرتبكا ) : ماذا أفعل !

**الحارس** : بلى ... ماذا تفعل !

**درويش** : لا أدري ياسيدي الحارس .. انما أنا .. ( لايتم عبارته )

**الحارس** : ( صارخاً ) : ماذا !

**درويش** : كنت .. كنت أظن أن أحداً ما أدار الموسيقى .

**الحارس** : أدارها أحدهم ؟ فماذا تعني ؟

**درويش** : أتنصت !

**الحارس** : ( يخبط قدمه على الأرض ) .. تتنصت ! ... أم أن في الأمر اشارات ؟

**درويش** : يعلم الله ياسيدي لم يكن في الأمر اشارات .. كل ماحدث أن أحدهم أدار قرص الآلة ولم يكن الوقت وقتها وهكذا ( يلوح بذراعيـــه متحيراً ) وهكذا وجدتني هناك خلف الباب !...

**الحارس** : ( يتأمله ملياً ) : تعـــال ... ( درويش يقترب ) اقترب .. أكثر ... أكثر ... ( درويش يقترب في حذر ) ماذا دهاك ! .. أتظن أني سآكل شيئاً منك .

**درويش** : ( يقترب ) : لاياسيدي .. لن تأكل مني شيئاً !

**الحارس** : آه .. آه .. هل سمع أحدكم بشيء مثل هذا ؟... أتحسب حقيقة أني لن أفعل !...

**درويش** : (يهز رأسه نفياً )

**الحارس** : هل أنت مخبول ؟

**درويش** : لا ياسيدي ...

**الحارس** : بلى .. مخبول أو أحمق ! ...

**درويش** : لا ياسيدي ..

**الحارس** : ( محتداً ) : بل أنت مخبول وأحمق معاً !

**درويش** : ( يهم بالجواب ثم يتراجع )

**الحارس** : حسناً .. الآن أنبئني جلية الأمر .. كنت ترسل اشارات ..



**درويش** : صدقني ياسيدي ..!!.. أنا لا أعرف ماذا تقصد من هذه الاشارات .. ولكني لم أفعلها بالتأكيد ..!.. تلك الموسيقى ... ( يقـــول همساً ) : تلك الموسيقى جعلتني أثب من مكاني وأحتمي بالجدار ... ( يتطلع فيه ملتمساً في وجهه ماينبىء بتصديقه ) .. تصدقني !!..

**الحارس** : ( يتأمله .. وترق نظراته ) : حسناً .. ولكن حاذر أن تفعل مثل ذلك في المستقبل .. ( درويش يهز رأسه مستجيباً لتحذيره ) خبطت الباب مرتين ولم ألق رداً ...

**درويش** : نعم .. ولكني لم أكن أستشعر حاجة !..

**الحارس** : لا ؟..

**درويش** : ( يتأمله حاذراً أن يثير غضبه من جديد .. في صوت خفيـــض ) : لا ياسيدي ...

**الحارس** : ( بياداه الهمس ) : أتعلم ؟ .. لو لم أكن متيقناً من حماقتك ... لظننت بك أمراً آخر ...

**درويش** : ( مستسلماً ) : أوافقك ياسيدي .. فأنا أحمق ! .. يخيل إلي أني أحمق حقيقة !...

**الحارس** : .. اذا لم تكن بك حاجة .. أما كنت تداري أمرك وتخرج فتملأ رئتيك بالهواء ؟...

**درويش** : ( يضرب رأسه كأنما هو يدرك الحقيقة بعد فوات الوقت ) آه ... آه ...

**الحارس** : .. يفسر الموضوع كله أنك لست سوى أحمق ...

**درويش** : آه .. لم يخطر في بالي شيء مثل هذا وحق الله ...

**الحارس** : ألا تفعل الآن ؟...

**درويش** : بلى اذا أذنت لي ..

**الحارس** : ( يصرخ في شخص ما خارجاً ) : هيه .. انتظر أنت ... لم يأت دورك. ( الى درويش ) ألا ترى كيف يخطون الباب مرة ومرة وقد سنحت لهم الفرصة ..! مابالك أنت ؟.. نزيل قديم أم جديد ؟...



**درويش** : ... ( يلتفت بوجهه ويتحدث الى نفسه ) : ماذا يجب علي أن أقول ؟. قديم أم جديد .. ربما كان وراء هذا السؤال فخ .. أليس من المستحسن أن أسأله ماذا يعني !...

**الحارس** : ( متضايقاً ) : بماذا تشاور نفسك !... ألا تعرف اذا كنت جديداً هنا أم كنت قديماً ؟....

**درويش** : ( يلتفت اليه ) : اذا شئت جلية الأمر ياسيدي فأنا لا أعرف .. ربما لو شرحت الموضوع .

**الحارس** : ... ( ينتابه الضيق ) : أيحتاج مثل هذا السؤال الى شرح ؟...

**درويش** : لاتغضب ياسيدي .. انما كنت أحاول أن أتبين قصدك تماماً .. حتى لاتستأمني !..

**الحارس** : .. اسمع .. ( يتكلم في صوت هامس ) : لست أدري ما الذي يجعلني أطيل وقوفي عندك .. أنا لست محققاً !.. تكلم ولا تخش أمراً ..(يتطلع فيه ) : شيء ما في وجهك .. في تصرفك على هذا الشكل يثير فضولي .. ربما .. ربما كان ذلك أكثر من الفضول .. تكلم ..
( يهم درويش بالكلام ) .. بل انتظر .. سوف ألقي نظرة ..
(يمضي الحارس لحظة ثم يعود) .. لاترفع صوتك الا عندما أشير اليه..!
قل .. ماذا أتى بك هنا ؟..

**درويش** : . ( تنفرج أساريره وقد لقي شخصاً يسر اليه بعض مافي نفسه .. يخرج تنهدة ) أتسمح لي أن أخاطبك كصديق .. حسنا .. ان ذلك سيجعل الأمر هيناً علي .. الحقيقة .. الحقيقة .. انهم جاؤوا بي هنا لسبب ما ..

**الحارس** : .. في صميم الموضوع .. تكلم في صميم الموضوع .. لاتجعل من نفسك أحمق مرة أخرى ..

**درويش** : ( يهز رأسه ) : سأتكلم في صميم الموضوع .. الكل يطلبون الي أن أتكلم في صميم الموضوع ... جاؤوا بي هنا لسبب ما .. لابد أن يكون الأمر كذلك ... ولكن .. ( يتوقف ويتملى الحارس ) .. لاتظن بي الحماقة اذا قلت الحقيقة في كلمتين .. فأنا لا أدري لماذا جاؤوا بي هنا !..



**الحارس** : ( ينتظر أن يوضح له درويش شيئاً .. ولكن درويش يستمر في النظر اليـــه دون أن يحير قولا .. بل يبدو كما لو أنه نطق بالحقيقة كلها ) ... لست تدري ؟..

**درويش** : لا أدري .. وعندما بدؤوا باستجوابي .. بادرت الى سؤالهم ..

**الحارس** : ( وقد وجد في ذلك تفكهة ) : أنت سألتهم ؟..

**درويش** : نعم ياصديقي الحارس .. كانوا قد طرحوا علي عديداً من الأسئلة، وكنت أفكر في ذات نفسي وهم يطرحون السؤال خلف السؤال أنهـــم انما يوجهون الخطاب الى شخص ما .. شخص بعينه .. لست أنا بالتأكيد .. فهم يعرفون والله أشياء كثيرة عن ذلك الشخص .. وربمـــا أكثر مما ينبغي .. اسمه .. عائلته ... عمله .. خصوصياته .. كل الدقائق الحقية عن حياة رجل ما .. كما لو أنهم كانوا يجرون خلفه حيثما ولى وجهه ، وحيثما

ساقته قدمـاه ! ثم ... ثم اني بعد أن تيقنت تماماً أن الشخص المطلوب ليس هو أنا .. طلبت الاذن بالسؤال ..

**الحارس** : ( مايزال يستشعر جو الفكاهة في حديثه مع السجين ) .. أخذت تسألهم كما كانوا يسألون !..

**درويش** : هو كذلك ...

**الحارس** : ( مردداً في صوت ساخر ) : هكذا ببساطة ... هو كذلك ؟..

**درويش** : ( لاينتبه الى لهجة الحارس الساخرة ) قلت ياسيدي الرئيس .. لقد جئتم بي هنا لأمر ما !.. ليس من ريب في أنكم جئتم بي هنا لأمر ما .. ألا تترفق بي ياسيدي الرئيس وتقول لي ما هو الأمر ؟..

**الحارس** : ... قلت ذلك ..؟

**درويش** : نعم ..

**الحارس** : ماذا كان جواب الرئيس ؟

**درويش** : الرئيس لم يقل شيئاً ، ولكن شخصاً آخر كان من عادته أن يذرع الغرفة جيئة وذهاباً وهم يطرحون الاسئلة .. مال الي فجأة وصفعني على وجهي ..

**الحارس** : تستحق ..

**درويش** : .. فكرت في ذات نفسي .. ربما كانت طريقتي في السؤال لم تعجبهم .. وقلت جرب يا درويش أن تستوضح جلية الأمر بطريقة أخرى .. ولكن شيئاً من ذلك لم يجد فقد سدوا علي المنافذ .. كلما حاولت أن أستوضح أمراً تلقيت ...

**الحارس** : صفعة .. ! ... ( في صوت خافت ) : صفعة فحسب ؟..

**درويش** : آه ... آه ... بل ... ( بتأسك ) : لا أستطيع أن أخوض في هذا الموضوع ..

**الحارس** : لماذا ؟

**درويش** : آه ياصديقي ... أنا لاأستطيع الخوض في هذا الموضوع وكفى ...

الحارس : ( يهز رأسه متفهما ) : حسنا .. فهمت .. ماذا بعد ؟ ... ماذا بعد طرح الأسئلة وال .. ( يشير بيديه الى الصفحات )

درويش : ... لاشيء على وجه التحديد ! ...

الحارس : ( في استغراب ) : لا ...

درويش : لا ...

الحارس : ماتزالون تتطارحون الأسئلة ؟ ...

درويش : .. ليس الأمر هكذا ... لقد ذهبنا – بمضي الوقت – نستخلص النتائج ...

الحارس : تسألون وتجيبون ؟؟ ..

درويش : ... بصعوبة ياصديقي الحارس .. فأنا لم أكن أفهم، ايمنون من كل شيء .. وكان لابد لنا من التوصل الى أجوبة شافية ! .. وكنت قد بدأت أعلق في الموضوع شيئا فشيئا ... كنا ندون القضية فقرة ثم نصححها، ثم نعود اليها مرة أخرى .... أعني أننا كنا نقلب الرأي طويلا حتى نجد أن القضية أصبحت منطقية، مقبولة في مرحلة ما .. فننتقل الى فقرة أخرى ... وهكذا ...



الحارس : .. لتحل علي لعنة الله اذا كنت قد فهمت من القضية شيئا ...

درويش : ( يسترضيه ) : لا تغضب أيها الصديق .. فقد ظل حالي هكذا زمنا .. ثم ...

الحارس : ( متعجلا ) : ثم ! ...

درويش : .. ثم بدأت أتلمس طريقي، ... كانوا يعرفون من دقائق حياته مايذهل ... وكنت أحاول أن أتبين ما يعجبهم من الوقائع والتفسيرات متجنبا ما ينصبون حولي من مزالق ... ! ... في بعض الأحيان كنت أحاول أن أتماسك ولكن ... ( بتردد ) أنت تعرف ... كل ما كان بيني وبين الرجل هو الاسم ... لم نكن نتشابه في شيء .. هذا اذا كنت قد عرفت من نفسي ما يجب أن أعرف... كنا نقيضين ... رجلين يحملان اسما واحدا ولكن مابينهما من بعد هو ما بين السماء العالية والأرض التي

نقف عليها ! ... بالنسبة لي كان الموضوع واضحا .. بسيطا .. أما بالنسبة لهم ! ...

**الحارس** : معقدا جدا ؟ ...

**درويش** : ذلك هو الأمر .. ! ...

**الحارس** : ... وبعد ... ألم يتبينوا الحقيقة ؟

**درويش** : ... الحقيقة !! .. آه ياصديقي الحارس .. كان كل منا يجري خلف الحقيقة في اتجاه معاكس ليس بينها لقاء ...

**الحارس** : ... أما قلت منذ هنية أنك بدأت تتعرف على القضية وتتلمس الطريق ؟ ...

**درويش** : ... حصل ياسيدي ... اصبر علي قليلا لأتم شرح الموضوع ...او كنت..

**الحارس** : ( مقاطعا ) : انتظر .. سأمضي لحظة أستطلع الممر ... ( يغلق الطاقة ويذهب )

**درويش** : ( يستمر وحده ) ... حتى لا استثير غضبهم بدأت أتلمس طريقي . . وهكذا انزلقت رجلك يا درويش وشرعت تدور في قرار لا نهاية له ... كأنما كنت تبني بيتاً ... تضع حجراً فوق حجر ... والبيت والأحجار معلقة في فراغ ! ... ولكنك كنت قد انزلقت وانتهى الأمر ... ابن بيتنا وعلقه في فراغ .. لايهم ... المهم أن تصف الاحجار بعضها فوق البعض الآخر ... انس الأساس يا درويش وامض قدما ...
( يعود الحارس ويفتح الطاقة دون ان ينتبه درويش ) ... وقد وجدت الأمر – كلما مضيت فيه أبعد وأبعد – أكثر سهولة ... بدأت الأسئلة تمسك بخناق بعضها البعض .. وصار عقلك يفتعل القصص والحوادث وبدا كل شيء مريحاً وقد خف حمل المصيبة ... اوقفت الآلات واسترحت . . . حسناً ... اذا سألك أحدهم أما كان الأمر على هذا النحو ... ؟ تظاهرت بالتفكير مليا وأجبت ... أوه ... ربما ... ولكن دعني أتذكر . . . بل ان الأمر جرى كيت وكيت ... ... تعديلات من هنا واضافات من هناك ... فاذا البيت كاملا ... شامخاً ولكنه محمول على فراغ ... ... المهم توقيف الآلات ... ، ... الى متى ... الى أين يا درويش ؟ الى أين كنت

ماضياً ! ! ... الاسئلة تحدث على اجابات ... دونت الحقائق في الدفتر ... خيل اليك أن الموضوع قد سوي تماماً وأغلقت المحاضر . . ثم فجأة . . انبثق شيء ما في صدرك .. تسلل الى صدرك كما يتسلل لص مــاهر على رؤوس أصابعه .. أليست الأفكار لصوصاً ماهرة همها ان تسرق راحتك وطمأنينتك !... خلصت من مأزق يا درويش ووقعت في مأزق ...

**الحارس** : ... خلصت من عثرتك ثم وقعت !...

**درويش** : ( يلتفت اليه ) : أغلقت دفاترهم .. وفتح هنا في صدري ( يضرب على صدره ) دفتر جديد . . . أتراك حسبت أن الأمر سوف يمضي هينــا هكذا ؟ ...

**الحارس** : أما دونوا الحقيقة وانتهى الموضوع ...؟

**درويش** : هنا ... ( يضرب صدره ) هنا بدأ موضوع جديد ... هنا ( يضرب على رأسه ) ... الآخر دخل هنا .. فرغت من همي وجاءهم الآخر ... تسلل متلصصا وأراد أن يبقى ...

**الحارس** : ( يتملاه متشككا مرة أخرى في سلامة عقله ... ) الآخر؟؟...

**درويش** : نعم الآخر .. درويش الآخر صاحب القضية . . . ! أفلت من أيديهم وعلقت أنا ... كانوا يريدونه هو ... فعلقت أنا بين أيديهم وصرت هو...

**الحارس** : ... بعد كل هذه الأسئلة والأجوبة ... بعد كل ما جرى ... لم تفلح في أن تثبت لهم من أنت وأنك لست هو ؟؟

**درويش** : ... قلت ولم يصدقوني ...

**الحارس** : يعني انك لم تستطع ان تثبت هويتك الحقيقية ؟ ..

**درويش** : كلا ...

**الحارس** : انك أنت هو انت !! ...

**درويش** : اني أنا هو أنا ...

**الحارس** : ... ( يضرب وجهه ) : يا رب السموات ! ...

**درويش** : ... الحقيقة ... هذه هي الحقيقة ...

**الحارس:** ثم ماذا بعد ؟ ..

**درويش :** ... يا صديقي ... يا صديقي ( يقترب منه ويمسك بقضبان الطاقة الحديدية ) قبلت ان أصير هو وأنسى أنا ...

**الحارس :** ( مرتداً ) ... يا أحمق ! .. يا أحمق ! ...

**درويش :** .. هذا ما جرى .. صدقني .. قبلت أن أقحم نفسي فيه واصير هو ... حسبت ان الأمر قد سوي .. ثم تسلل الهم الاسود الى قلبي . . . بدأت نفسي تحدث نفسي « درويش ... درويش ماذا تراك فعلت بنفسك . . نزلت عنها .. بعتها .. قايضت بها نفسا أخرى يا درويش ... الآن . . . تحمل أيها المسكين هما ليس همك .. وروحا ليست روحك ، وجلدا ليس جلدك ... سر بها بين الناس ... كن كما لم تكن .. وصر الى مالاتعرف..! آه يا صديقي الحارس .. هكذا صارت تحدثني نفسي .. دهمني الخوف ، غالبت الخوف فغلبني وقضي الأمر ...

**الحارس :** على أي شكل قضي الأمر يا درويش ؟ ...

**درويش :** ( يلوح بذراعه دلالة على اليأس ) : أنكرت ...



**الحارس :** مرة ثانية ؟ ؟

**درويش :** مرة ثانية ..

**الحارس :** ( يستطلع الممر في الخارج ثم يعود فيتحدث في صوت خفيض ) : سوف يمزقونك اربا اربا ...

**درويش :** ( يهز رأسه ) : أعرف .. أعرف ..

**الحارس :** وما تزال مصراً على الانكار ؟ ؟ ..

**درويش :** ماذا في وسعي أن أفعل !... قلت لهم ... افعلوا بي ما تشاؤون فأنا لن استطيع أن أصير الآخر وهكذا تشبثت بنفسي ...

**الحارس :** ( يتأمله مليا وعلى وجهه علامات الشك والشبهة ) : درويش ..

**درويش :** نعم يا صديقي الحارس .

**الحارس** : ألا تظن يا درويش أنك ربما كنت أكثر من أحمق ... ربما كنت مخبولا???

**درويش** : آه يا صديقي .. آه وآه وآه .. يا ليتني كنت ! ...

**الحارس** : هل يعقل يا درويش أن يختلط الأمر على هذا الشكل فيتوهم الناس أن امرءاً بعينه ليس هو ذاته ? ...

**درويش** : ( يلوح بذراعيه مستسلماً ) : لا يعقل .. لكنه حدث ..

**الحارس** : ( يحاول التخلص ) : استمع الى نصحي يا درويش .. عد الى نفسك ..

**درويش** : أية نفس ?

**الحارس** : ( مبتعدا عن الكوة ) عد الى نفسك !

**درويش** : نفسي أنا أم نفسه هو ? ...

**الحارس** : ( يحاول أن يغلق الكوة ) : سيأتي الرقيب بعد قليل .. وداعا .

**درويش** : ( يتشبث به ) : تمهل يا صديقي الحارس اكراما لله ..

**الحارس** : أنت تعلم يا درويش فالحديث الى السجناء ممنوع ... يجب أن أذهب ...

**درويش** : أنت لا تصدقني .. تظن بي الخبل ... حسنا اذا كنت أنت الآخر لا تصدقني فكيف أصدق أنا نفسي انني امرؤ ثان ... قلبي يحدث عقلي .. أنت مخبول يا درويش كيف يمكنك أن تعتقد أنك شيء آخر خلاف ما أنت ... وعقلي يجيب سأصير هو وأستريح ويرد قلبي على عقلي.صر أنت كما تبغي .. أما أنا فليس في وسعي أن أفعل .... عقلي يقول اقبل هذه المبادلة يا درويش واسترح ، ويدق قلبي ويدق ويرتفع وجيبه حتى يصم أذني .. كل دقة تقول : لا .. لا .. لا ..

( يختفي الحارس ويغلق الكوة ودرويش مستمر في مناجاة نفسه ) :تعال يا صديقي . تعال واستمع بنفسك الى وجيبه الصخاب .. استمع كيف يقول لا ... ( ينتبه الى غياب الحارس ) يا صديقي الحارس يا أيها الرجل الطيب ( يلوح بيده يائسا ويروح ويزرع الزنزانة في كل اتجاه ... ) الوقت الوقت ... لم يتبق متسع من الوقت ...

( يتوقف في مواجهة الطاقة المفتوحة في أعلى الجدار ويتطلع الى رقعة السماء ) .

يا نجمة الليل المتلألئة .. اغمزي بطرف عينك.. يا نجمة الليل وأنت تصعدين متمهلة قبة السماء ... اصعدي قدما ولا تراعي أيتها النجمة. فاذا استويت في منتصف هذه القضبان وتوهجت عينك النيرة ، علمت علم اليقين أن الوقت قد حان ... خطوة .. خطوة يانجمة الليل في مسارك البنفسجي.. عما قليل سيتهادى في جنبات القلعة صوت قارىء الحظوظ ... واحد .. اثنان ... ثلاثـة ... أربعة ... خمسة ( يتعالى فجأة صوت جهوري يتلو الأرقام ) .

**الصوت من الخارج** : رقم ١١٧ ... رقم ٢٢٨ ... رقم ٣١ ... رقم ٧١ ... (١١٣) ١٢٣ ... (٣٣) ... (٣٨) ... (٧٥) ...

**درويش** : ( يردد لنفسه ) : ١١٣ ... (١١٣) ... (١١٣) ... (الصوت يستمر في قراءة الأرقام في الخارج ودرويش يردد ) : ١١٣ .. «١١٣» ...

**الصوت** : ١١٣ ...

**درويش** : ( يثب في مكانه ) ١١٣ حاضر ... «١١٣» حاضر ... «١١٣» حاضر ... افتحوا مصاريع الابواب الحديدية وانطلقوا ياساكني الكهوف . . ( صوت أبواب ثقيلة تفتح وتغلق ) الباب الأول الى اليسار .. الثالث الى اليسار .. الرابع الى اليمين .. آه .. آه .. آه ( يهرع الى فراشــه فيتفقده ويتجه الى النظارة ) تصبر ياقلبي المسكين .. تصبر .. يضع يده على قلبه ) .. جلدي لاطاقة له على الاحتمال .. سأقول الحقيقــة ياقلبي .. فأنا لاشأن لي بهمومك الصغيرة البائسة .. تشقق الجلـد مني ودونت مادونت في الدفاتر .. الحقيقة وحدها مدونة في الدفاتر .. الحقيقة وحدها .. أما أنت ياقلبي فاصبر .. أنت لم تلدغك السياط وتشويك .. أنت في منأى من لدغ السياط .. مختبىء تحت جلدي في أعماق قفصك .. ! لماذا يتسارع وجيبك وتكاد تنفطر هماً ومرارة .. أنت لم تؤذ ياقلبي المسكين فقد شال القفص عنك الوجع .. اطو همومك في ثنايا نبضك وعش على هواك .. لاشأن لك بما كنت وماصرت عليه .. كن كما تهوى أيها القلب المتمرد واطو جناحك على أسرارك الغالية كما تطوي أعماق البحور صدورها على الكنوز .. خذ كنوزك ودعني وشأني .. سألتك الله .. سألتك الله ياقلبي العاق ان تدعني وشأني .. ( تتفجر الموسيقى

المختلطة بالغناء والحوار والصخب والضحك .. تقترب في نفس الوقت أقدام ثقيلة وتتمهل عند الباب ) دعني وشأني . . ( يتسارع صوته ) دعني وشأني .. ( ينفتح باب الزنزانة وينبثق من العتمة خيال رجل ثم آخر يأخذان مكانيهما الى جانبي درويش ويظل ثالث على الخط الفاصل بين ضوء الغرفة المتركز حول درويش والرجلين والعتمة من حولهم.. يخطو الرجل الثالث خطوة فيسقط الضوء على قدميه وسوط يتدلى من يده اليمنى . .

( يخفت صوت الموسيقى أثناء الحوار ولكنه لاينقطع تماماً . . . يعلو أحياناً تبعاً لتوتر الموقف )

**المحقق الاول:** ( يقف الى يسار ) : مساء الخير يادرويش . .

**المحقق الثاني:** ( يقف الى يمين . يخبط الأرض برجله خبطات منتظمة ) .

**درويش :** ( يرفع وجهه ويتطلع الى الرجلين ) .. ليس بعد .. لو أعطني لي فرصة .. فرصة صغيرة أسوي بها أمري ..

**المحقق الثاني:** مساء الخير يادرويش . .

**درويش :** ( يخاطبه ) أرجوك أنت ياسيدي ..

**المحقق الأول:** .. جئنا نلقي تحية المساء أيها الصديق ..

**درويش :** اعطوني فرصة صغيرة اسوي بها امري.. أرجوكم .. أنا مازال انا منذ البارحة ..

**المحقق الاول:** .. نعم .. نعم .. نحن نعرف يقيناً أنك أنت هو منذ البارحة ..وماقبلها أيضاً !..

**درويش :** ( متلعثماً ) : أعني .. أعني أنا وليس هو الآخر ..

**المحقق الثاني:** لماذا لاتكون أنت هو وليس الآخر ( الى زميله ) لماذا .. أجب أيها الزميل لماذا لايصير هذا الرجل هو .. هو ..؟

**درويش :** ( ينقل نظراته بين الاثنين ) : افهم يا سيدي .. افهم .. تريدون التحقق

مما أنا عليه حقيقة .. أنبئاني اذن ماذا علي أن أفعل !.. أقول الصدق.. لقد صدقتكم القول ..

**المحقق الأول:** أي قول ?.. أمس أو ما قبل أمس ?..

**درويش :** أعطني فرصة .. فرصة صغيرة ..

**المحقق الثاني :** ( الى زميله ) .. أعطه فرصة أيها الزميل .. ربما تهيأ لصديقنا أن يصير شخصاً ثالثاً وسطا بين الاثنين .. يازميلي العزيز .. ترى هل عرفت في حياتك رجلاً مولعاً بتبديل الأسماء والهيئات ولعَ هذا الرجل ??..

**درويش :** ... بل أنا أعرف نفسي اذا سمحت لي أن اعرف اسمي ... لقد حملته فوق كتفي وسعيت به بين الناس ثلاثين عاماً بطولها .. أنا أعرف اسمي ياسيدي ما تركته وما تركني !.. كيف يترك المرء اسمه .. أستحلفكم بالله كيف يمكن لواحد أن يترك اسمه وينتحل اسما غيره ??..

**المحقق الاول:** ... نسيت مثلا ...

**المحقق الثاني:** ... بلى .. نسيت .. ألايريد الرجل أن ينسى من هو في بعض الأحيان.. قل ألا يريد ?? ...



**درويش :** ... لا أفهم يا سيدي ... ما الذي يدعو الرجل أن يريد شيئا غريبا كهذا !..

**المحقق الثاني:** ... سأوضح لك اذن ... قد يثقل على أحدنا شيء ما .. خطيئة .. ذنب كبير .. حادثة مؤسفة .. لنقل عندما يقع أحدنا في مأزق !!.. أما حدث لك أن وقعت مرة في مأزق ...

**درويش :** ( يحاول أن يتودد اليه بالمسايرة ) ... مأزق .. ربما ياسيدي .. أنا الآن في مأزق ...

**المحقق الثاني:** تماما ( يفرك يديه ) ... أصبت كبد الحقيقة .. أنت الآن في مأزق ، يجعل من حمل اسمك الحقيقي ثقلا .. بل نوعا من الاثم .. وهكذا فأنت تريد التخلص منه ...

**درويش :** ... أنا لست مسؤولا عن اسمي .. عرفت نفسي هكذا .. جاء لي اسمي من أبوي.. ولم أختره بنفسي .. فلماذا يجعلني احمل هذا الاسم آثما !!..

**المحقق الاول :** . . . واذن . . . فهذا الاسم الذي تحمله جرك الى البلوى . . درويش عز الدين التاجر الصغير . . المتواضع . . صاحب الشقة ١٤ في حي الحدادين . . الرجل الذي يعمل في السياسة ، المتكتم . . القابع في الظل . .

**المحقق الثاني :** . . . درويش عز الدين هذا . . ارتكب حادثة ما . . حادثة معينة ذات خطر يقوده صاحبه الى الهلاك . . هذه الحادثة – وقد كشفت – أخذت تقض مضجعه . . ولما كان لايستطيع أن يحذفها من حياته ويتبرأ منها . . فقد قرر فجأة أن يحذف اسمه ويتخلص تماماً . . . الاسم بعينه ارتكب الحادثة الخطيرة ، فلنطو الاسم ونطو الحادثة معاً وينتهي الموضوع . . .

**درويش :** . . . أية حادثة يا سيدي ؟ . . أقسم . .

**المحقق الاول :** ( يقعد بجانبه ) ياصديقي العزيز . . في الحقيقة أنا أريد أن أصدقك و . . .

**درويش :** ( متهللا . . لا يدعه يتم عبارته ) . . دعني اشرح لك اذن . . أرجوك . . كن صبوراً واستمع الي . . أنا احاول أن اتذكر كل دقيقة وثانية . . أحاول أن استعيد سجل حياتي على قدر ما اذكر . . !! . . أنا في الحقيقة لا احقد عليكم بعد أن فعلتم بي مافعلتم . . الذنب ليس ذنبكم . . بل هو ذنب الآخر . . لا بد أن خطأ ما قد وقع . . كلا . . صدقني أنا لا اسمح لنفسي بأن اعتبر أياً منكم مسؤولاً عما وقع . . لا بد أن رجلا ما قد ارتكب اثماً كبيراً كهذا الاسم ( العالم حافل بمثل هذه الآثام اللعينة . . ولكن . . ولكن اذا اصغيتم الي هنيهة . . هنيهة ليس غير فسوف تتكشف لكم الحقائق . . خذ مثلا قضية الاولاد . . أنا اعرف اولادي تماماً . . هل من الممكن أن يداخلني الوهم في هذا . . قل لي بربك يا سيدي . . هل يمكن أن يخلط أب بين اولاده فلا يتبين اسماءهم او عددهم . . اولادي الاربعة . . انهم اربعة يا سيدي وليس ثلاثة . . بالتأكيد هم أربعة وأنا . . دعني اعترف لك بذلك . . أحب الصغيرة بينهم اعظم الحب . . فكيف يمكن بالله . .

**المحقق الاول :** ( يقاطعه ) : الصغيرة ؟؟.. ( في لهجة استغراب ) أية صغيرة هـذه يا درويش ؟ قلت لك الساعة اني اصدقك ولكنك تعود ثانية الى خبثك القديم وتقول اربعة .. ثم .. هذه الصغيرة من اين جئت بها ؟؟.. من اين ؟..

**درويش :** .. ابنتي ياسيدي !..

**المحقق الاول :** آه .. لقد انتهينا من هذه اللعبة .. قلنـا أنك كنت تتمنى ذلك .. تتمنى أن يرزقك الله بطفلة صغيرة تؤنس وحشة بيتـك .. البنات الصغيرات دمثات محببات.. اكثر حنواً ولطفاً من الصبية،وهكذا فقد كنا طوينا تلك الصفحة .. ( في نبرة مفاجئة تحمل التهديد ) امـا كنا طوينا تلك الصفحة ؟؟..

**درويش :** ( مستسلماً ومحـاولاً في يأس المرة الاخيرة ) : حـدث ياسيدي .. ولكن .. ولكن الصغيرة ..

**المحقق الاول :** ياصديقي درويش .. ألم تدرك بعد أن ذلك الامل كان وهماً لم يتحقق!..

**درويش :** اؤكد لك انه حقيقي .

**المحقق الثاني :** ( يدفعه برجله ) : ما هو الحقيقي يا درويش ؟!

**المحقق الاول :** ( الى زميله ) .. لنترو قليلا .. هيا .. لا تـدع الغضب يأخذ منك .. ( الى درويش ) أنا احاول ان افهمك ايها الصديق .. انما يخيل لأحدنا مرات أنه يكاد يطبق على الامل بكفي يديه .. ومع ذلك فان الامل يبقى هو الأمل .. شيء كالسراب احياناً ..

**المحقق الثاني :** .. ربما كان ذلك حقيقة .. كاد الحلم أن يغدو حقيقة لكثرة ما اجلته في رأسك .. الآن دعنا نتناسى موضوع الصغيرة ..

**درويش :** ( يلتفت بين الرجلين .. محيراً متهزماً ) نعم .. نعم لنفعل .. ( كأنما يحدث نفسه ) اربعة .. ( يعد على اصابعه ويتمتم شيئاً غير مسموع )

**المحقق الاول :** لنقل اذن انهم ثلاثة .. تأمل .. ثلاثة من الاطفال الأعزاء .. يكتشفون فجأة أن أباهم قـد فقد .. ذهب ولم يعد .. الاطفـال الاعزاء ما يزالون

منذ تلك الساعة في حيرة من أمرهم.. يروحون ويجيئون في جنبات البيت.. مستطلعين حيارى .. يلتمسون أيام الغالي فلا يجدوه ..

**المحقق الثاني:** .. فاذا انقلبوا الى امهم وسألها كل واحد بدوره .. ماما .. أين هو بابا؟؟.. أشاحت الأم البائسة بوجهها وقد احتبست الدموع الحارة في عينيها ...

**المحقق الأول:** ... الأطفال الأعزاء يتطلعون في وجهها الأسيان وتمتلىء قلوبهم غماً وحسرة ..

**المحقق الثاني:** ... تأمل ما حدث يادرويش .. أتحسب أن شيئاً ما على وجه هذه الأرض يمكن أن يملأ الفراغ الذي يتركه ضياع أب حنون .. وبخاصة اذا كان يحمل قلباً كبيراً مثل قلبك !!..

**درويش** : ( يفرك صدره ويديه .. ملتاعاً .. متحسراً ) آه يا أطفالي الأعزاء .. آه كيف أنتم يا أولادي !!..

**المحقق الثاني:** ( في نبرة مؤكدة .. مقررة ) .. الكبير في السابعة .. شاكر ..(يؤكد على النطق ) شاكر .. أليس اسمه شاكر ياصديقي ؟

**درويش** : ( مخبلا ) شاكر ..



**المحقق الأول:** صبي صغير آخر .. صلاح .. ( يحاول أن يتذكر ) بل صالح .. نعم هو صالح بالتأكيد ...

**درويش** : ( يتابعه بآلية ) صالح !..

**المحقق الثاني:** ... ولكن الأصغر سناً .. الأكثر معزة لايمكن نسيانه أبداً فهو أحب الأولاد الى القلب .. الصغير محمد ...

**درويش** : ( يخبط على رأسه ) رباه .. رباه .. ليسوا كذلك ...

**المحقق الاول:** ( متوعداً ) ليسوا كذلك ؟؟؟

( يحرك الرجل الثالث السوط ويخبط به على حذائه العالي )

**درويش** : ( ينتبه الى حركة السوط ) قلت .. قلت ...

**المحقق الاول:** ماذا ؟...

**المحقق الثاني** : ( محذراً ) درويش .. درويش ..

**المحقق الأول** : اذن ...

**درويش** : ( عيناه على السوط ) ثلاثة ..

**المحقق الأول** : هذا حسن ...

**المحقق الثاني** : شاكر وصالح و ...

**درويش** : ( يتوسل اليه ) ... دعوا لي واحداً .. واحداً فقط .. أتوسل اليكم...

**المحقق الأول** : حاذر يا درويش .. أنت تلعب الآن لعبة قذرة ...

**درويش** : ( يوجه اليه الخطاب ) : دعني أشرح لك .. أرجوك .. فليكونوا ثلاثة .... فليكونوا كما تشاؤون تماماً .. أريد واحداً حقيقياً حتى يمكن لرأسي أن يثبت في مكانه .. هنا ( يمسك بعنقه ) هنا على جسدي .. أنا أحاول أن أوضح لكم الحقيقة .. فقط دعوني أبقى متوازناً فوق جسدي .. ( يقترب الرجل صاحب السوط وهو يقرع به على ساقه .. يلتبه درويش ) تريدون مني أن أبقى متوازناً ..!! كيف يمكن أن يتحقق لي ذلك اذا قطعتم كل خيوطي .. دعوا لي واحداً أتماسك به .. ( يقترب الرجل الثالث أكثر ) .. نعم .. نعم .. ثلاثة . ( يقترب حتى يصبح بحذائه تماماً وتبقى عينا درويش معلقتين بحركات السوط ) أنا درويش عز الدين التاجر .. بيتي .. بيتي أين هو .. رباه .. نعم هو في شارع الحدادين رقم ١٤ .. لم أعمل يوماً في السياسة .. ( منتبهاً ) بل عملت مرة .. لا بد أن شيئاً مثل هذا قد حدث .. غمست يدي البائستين في وحل السياسة وما عدت أستطيع تخليصها ..! لقد نسيت هذا الجانب من حياتي ولكني أتذكره الآن .. كان دوري في المؤامرة محدوداً ولكنه كان دوراً خطراً .. ( يتوقف ولكن حركة السوط تستمر ) .. بالتأكيد كان دوراً خطراً .. لا بد أن أحداً قد دفعني دفعـــاً .. هو صديقي القديم .. زميلي في المدرسة .... ( يحاول أن يتذكر ) صبري .. نعم انه صبري ... صبري ماذا ؟

**المحقق الأول** : الفقير ..

**درويش** : هو ذاته صبري الفقير .. لقد حملني على أن أزج بنفسي في هذا المأزق... حدد لي دوري .. وكان دوراً خطراً .. كنت كاتم الأسرار في المجموعة كلها ... ماذا كان الهدف ؟.. نعم .. نعم .. الهدف هو الاطاحة بالحكم .. مجموعة يسارية ثورية تريد أن تقلب العالم رأساً على عقب .. تريد أن تضع السادة في مكان العبيد .. والعبيد في مكان السادة ...

**المحقق الأول** : .. بل تريد أن تنقض ما جعله الله منذ الأزل صالحاً وخيراً وفاضلاً!!.

**درويش** : ( ما يزال يتابع بعينيه حركات السوط ) هو كذلك يا سيدي .. هو كذلك ... مجموعة من الفتيان الأشرار ائتمروا لقلب نظام العالم .. الله ذاته جعل الدنيا حظوظاً وأقداراً ... السيد سيد لأن الله أراده كذلك .. والعبد عبد .. ولكن الفتيان الأشرار دخل في روعهم أنه من الممكن أن يدمر نظام العالم فيصير السادة غير السادة ويقفز من هو تحت الى فوق ويسقط من هو فوق الى تحت .. أنا .. أنا انزلقت لسبب ما فتوسطت عقد المؤامرة ..

**المحقق الثاني** : .. كنت واسطة العقد ومكمن الأسرار وخازناً للشر ..

**درويش** : بلى .. بلى .. اختاروني لسبب ما ... ( يلتفت اليه ) .. أي سبب ... أنقذني اكراماً لله .. لأي سبب .



**المحقق الثاني** : تسألني أنا ؟.

**درويش** : أنت تعرف القصة من أولها الى آخرها يا سيدي .

**المحقق الثاني** : ... ( يتوعده ) : تعدون العدة لتدمير بلدنا ودفع الرعاع الى السلطة ثم أنت لا تدري لأي سبب أودع لديك المتآمرون أسرارهم !.

**درويش** : لست أدري وحق الله .

**المحقق الأول** : ( متوعداً ) درويش .

**المحقق الثاني** : حسبت – وقد اختبأت وراء مشاغلك الدنيوية الصغيرة – أن عين السلطة الساهرة ستعجز عن فضح أمرك .

**درويش** : صحيح يا سيدي .. كنت مشغولاً بهذا الذي تقول .. عملي وبيتي .. أنت تعرف من القضية فوق ما أعرف يا سيدي .

**المحقق الثاني** : درويش .. أيها الماكر .. افتضح أمرك وانكشف الغطاء .. درويش دعك من العمل والبيت .. ودعنا نمضي فيما هو أجدى وأخطر .

**درويش** : .... طيب .. طيب يا سيدي .. سنمضي فيما هو أهم .. ساعدوني فقط على أن يظل رأسي موضوعاً فوق جسدي .. دعوني أبقى متوازناً .

**المحقق الأول** : ( ينهض ) .. لننته الآن مرة واحدة من موضوع الاتزان هذا .
( الى الرجل الثالث ) هيا .. اجعل من هذا الرجل الباحث عن الاتزان كائناً معقولاً .. رأسه فوق جسده .. هيا ( يصرخ ) دعه يسكن جلده الحقيقي القذر مرة ثانية .

**الرجل الثالث** : ( يضرب بالسوط على كفه ) .. نعم يا سيدي .. سوف نرى الآن .

**درويش** : ( يتكوم على نفسه .. محاذراً صاحب السوط ) .. اعرف .. اعرف علي أن أدخل في جلد ما .. سأدخل .. سأدخل .

**المحقق الثاني** : ستدخل في جلدك أنت ...

**درويش** : سأدخل .. سأدخل ياسيدي .. سأتزل لهم عن ادميتي .. للآخر وزوجه وأطفاله .. سأصير كما تشاؤون .. كائناً من خشب .. شكلاً ممسوخاً فارغاً من المعنى .. أصير شبحاً .. ظلاً .. ولكن .. أستحلفكم بالله .. اذا سألتني نفسي ... انظر يادرويش اذا كنت قد قبلت ما قبلت .. فهل سوف يقدر لك أن تجعل عيون الصغار الغرباء تشتعل جذلاً لمرآك ، ثم أن تجعل الزوجة الغريبة الوالهة تقبل نحوك مشرعة الذراعين تحضنك وتشد بأصابعها على سطح ظهرك المرتعش ... اذا قبلت ماقبلت فهل يتنزل لك الغير عن نفوسهم وقلوبهم كما تزلت .
أتريدون مني ياسيدي .. أن أقف في الباب المشرع وأصرخ بهم .. أنتم ايها الأطفال الأعزاء يا أبناء بلا أب .. وأنت ايتها الزوجة الصالحة .. يا امرأة بلا زوج .. تريدون لكم أباً وزوجاً .. اليكم هـــذا الغريب الواقف في الوصيد ... اجعلوا منه أباً لكم ايها الاطفال .. اقفزوا من حوله .. وأنت يا امرأة .. اقبلي ومرغي وجهه بالقبلات .. اهتفوا له .. اصرخوا باسمه .. دلوه على مواقع قبلات الأب المفقود فوق خدودكم .. دلوا يديه الغريبتين كيف تعبث في شعوركم .. دلوه كيف يحملكم عـــلى

صدره .. كيف يضحك لكم ويعابثكم .. يا امرأة .. قربي واهمسي في اذن الرجل الغريب كيف كان زوجك الغائب يرسل ذراعه الحانية تحت عنقك ويشدك الى جسده ... في اي موضع من وجهك وصدرك كان الزوج المفقود يجري شفتيه ... دلوه ايها الصغار وأنت ايتها المرأة الصالحة ... فقد إنفطر قلب الرجل الغريب وتزل لكم عن اسمه وبيته وزوجه وصغاره .. اقبلوه كما قبلكم . ( يغطي وجهه بيده وهو يتأوه). اذا قبل الرجل الغريب البائس ان يفعل .. فهل ترق له قلوبكم فتقبل .. أخبروني .. اخبروني .. اخبروني .. ( يشرع في البكاء ) .

**المحقق الأول:** ( يستدير في وقفته ويتظاهر بأنه راحل ): لا جدوى منك يادرويش.. قضي الأمر .

**المحقق الثاني :** ( يهم بالتحرك ايضاً .. الى زميله ) .. كان الأول أن نرسل بـه الى المستودع .. ( يلتفت الى درويش ) : مرة اخرى يا درويش .. لا محالة هذه المرة .. الى المستودع .

**درويش :** ... ( يقفز من مكانه ويجري خلفهما .. يمسك بطرف المحقق الاول ) .. لا ياسيدي .. أستحلفك بالله .. لا .. لا ..



**المحقق الأول:** ( الى الرجل الثالث ) : خذوه ... ( يشد على الكلمات ) الى المستودع في الحال .

**درويش :** ( يسقط على ركبتيه وهو مايزال متشبثاً بطرف سترتـه ) : سألتك الله .. ياسيدي الفاضل .. ( الى المحقق الثاني ) : وأنت ياسيدي .. أنا هو الرجل المعني .. أنا درويش عزالدين .. اختلط علي الأمر .. قلبي البائس جرني الى هـذا الموقف .. أنا هو الرجل المطلوب .. أنا هو درويش .. أصير درويش الآخر .. أصير درويشين .. ثلاثة .. أصير ما يتوجب علي أن أصير .. هو أنا تماماً .. الأمر سيان .. ولكني أنا هو على وجه الدقة .. تعطفا علي ياسيدي أصير كما تشتهون .. تريدون القصة .. كل القصة .. سوف أحكيها كما يجب أن تحكى .. من أولهـا الى آخرها .

المحقق الثاني : ( الى زميله .. متظاهراً باستعطافه ) .. ألا تريد أن تمنحه فرصة ايها الزميل ؟.

المحقق الأول: ( في حزم ) الى المستودع .

المحقق الثاني : أعطه فرصة اخرى .

( درويش يدور بين الاثنين )

المحقق الأول: ( عند الباب ) : لا فائدة ترجى .. هذا الرجل يلعب بنا كسباً للوقت.

المحقق الثاني : ( الى درويش ) : ما رأيك ؟. تحاول هنا أم هناك ؟.

درويش : هنا ياسيدي ( يستعطفه ) قل له أن يفعل .. تصدق علي هذه المرة .

المحقق الثاني : ( الى درويش .. كأنما يسر له ) : نعود الى القضية .

درويش : ( مستبشراً ) : اليها .. اليها .

المحقق الثاني : ( في نفس الصوت الهامس ) : لا تروح هنا وهناك .. ( يشير بيده يمنة ويسرة )

درويش : لا ياسيدي ...

المحقق الثاني : ( يرفع صوته ) : دعنا نعطه فرصة اخرى ايها الزميل .

المحقق الأول: اذا لم يصدق !..

المحقق الثاني : ( في صوت خافت الى درويش ) : سامع .. اذا راوغت ؟؟..

درويش : ( يسر له في نفس الصوت الخافت ) : أقول كما تقول .

المحقق الثاني : ( هامساً ) : عليك اللعنة .. بل تقول الحقيقة .

درويش : أقول الحقيقة ولكن !..

المحقق الثاني : مـاذا ؟..

درويش : تسعفني أنت ياسيدي .. رجاء لله .

المحقق الثاني : مـاذا ؟؟..

درويش : اذا قلت ما لا ينبغي أن اقول .. تصحح قولي !..

**المحقق الثاني :** يا ايها الإله القادر .. ألا ترى كيف أترضاه من اجلك .

**درويش :** اجعلها فية في عنقي .. تسائلني فأجيبك ياسيـــدي .. سوف أتدبر امري اذا جعلت السؤال هيناً رفيقاً ولم تضف جديداً الى ما سألتني من قبل !!..

**المحقق الثاني :** ( يرفـــع وجهه الى السقف كأنما يستلهم الصبر والتجلد .. في صوت مرتفع ) . سوف لن يراوغ هذه المرة ايها الزميل ؟.. لنعطه فرصـــة فحسب ...

**المحقق الأول:** ( يعود أدراجه الى منتصف الزنزانة ) .. لنفعل اذن على وجه السرعة.. لا وقت لدي أضيعه بعد الساعة !..

**المحقق الثاني :** ( يخرج دفتر ملاحظات صغير من جيبه ) : درويش ...

**درويش :** ( يقف ممتثلا ) : نعم ياسيدي .

**المحقق الثاني :** اسمك الكامل ؟..

**درويش :** درويش عزالدين .

**المحقق الثاني :** صنعتك ؟

**درويش :** تاجر ..

**المحقق الثاني :** سكنك ؟

**درويش :** شارع الحدادين في الرقم ١٤ .

**المحقق الثاني :** متزوج ؟..

**درويش :** نعم .

**المحقق الثاني :** كم ولداً لديك ؟

**درويش :** ( باليه ) : اربعة .

**المحقق الثاني :** ( محذراً ) مم .. ( يرفع صوته ) كم ولداً لديك ؟؟

**درويش :** ( يهز رأسه منتبهاً ) : ثلاثة ..

**المحقق الثاني:** سمهم واحداً واحداً ..

**درويش** : ( مترددا . ثم في صوت خافت ) : لو أسميتهم أنت ياسيدي ..

**المحقق الثاني:** شاكر وصالح ومحمد .

**درويش** : ( مرددا ) : شاكر وصالح ومحمد ..

**المحقق الثاني:** انتهينا من موضوع الهوية ..

**درويش** : ( متنهدا ) حمدا لله يا سيدي .. لقد انتهينا ..

**المحقق الثاني:** مهلا يا درويش .. نحن لما نبدأ بعد ... القضية ! .. ما زلنا في أول القضية ! ...

**درويش** : الباقي كما هو مدون في الدفتر يا سيدي .. حرفا بحرف ...

**المحقق الثاني:** بل سوف نستعيده ملخصا ... زيادة في التأكد ...

**درويش** : افعل يا سيدي كما يحلو لك .. لنستعده يا سيدي ...

**المحقق الثاني:** ... ذكرت هنا في إفادتك .. انك قد انتظمت في المنظمة الثورية وأنت تعلم علم اليقين أن هدف المنظمة هو التآمر لقلب نظام الحكم وتهديد سلامة المواطنين والاستيلاء على السلطة ..

**درويش** : نعم يا سيدي ..

**المحقق الثاني:** الوسيلة الثورة والعنف ...

**درويش** : ( مرددا ) : الثورة والعنف ..

**المحقق الثاني:** والغاء المؤسسات التمثيلية الدستورية المنبثقة عن الشعب بارادة الشعب ..

**درويش** : الغاء المؤسسات التمثيلية الدستورية .. (لاهثاً) وارادة الشعب ..

**المحقق الثاني:** كنتم تعدون العدة للقيام بمظاهرات مسلحة وتحريك العمال والفلاحين والرعاع ..

**درويش** : بلى .. كنا سنفعل بارادة الله ...

**المحقق الثاني:** ( صارخا ) : ماذا ؟

**درويش** : ( مذعورا ) قلت سنفعل يا سيدي .. أليس هو الجواب المطلوب ؟؟

المحقق الثاني: ( يهز رأسه متأسفا .. متبرما ) كنتم تعدون العدة لإثارة الشعب والاستيلاء على مؤسسات الدولة بالقوة .. فاذا اقتضى الأمر، ولابد ان يقتضي، ستقتلون كل من يتصدى لمقاومتكم ..

درويش : سنقتلهم ! ..

المحقق الثاني: تقتلون من ؟؟

درويش : ( مرتبكا ) : الله اعلم يا سيدي .. السلطة .. الناس .. كل الناس ..

المحقق الأول: ( صارخا ) : ويحك .. كل الناس ..

درويش : ( ملتبسا ) : لا ادري وحق الله .. قال اننا سنقتل .. فقلت اننا سنقتل .. ( مترددا ) الحقيقة ياسيدي كما هو مدون في الدفتر !! .

المحقق الثاني: ( يريد ان يتخلص من تأزم الموقف ) .. حسنا .. الآن حدثنا عن دورك في المؤامرة ..

درويش : دوري انا ؟؟

المحقق الثاني: .. نعم دورك انت وليس دوري انا طبعا ..

درويش : ( يحاول ان يتذكر .. ويبدو عليه التعب والقهر واليأس ... يفرك رأسه وشعره ... ) يا سيدي كما هو مدون ..

المحقق الاول: ( يقترب منه ) .. من فمك انت وليس من الدفتر ...

درويش : ( محاذرا ) : تعني يا سيدي زيادة عما هو مدون ..

المحقق الأول: لننس ما هو مدون ..

درويش : آه .. كيف يا سيدي .. لقد حدث الأمر كما هو مدون تماما دون زيادة او نقصان ...

المحقق الأول: ( غاضبا ) : لننس ما هو مدون ...

درويش : أتريد ياسيدي أن نبحث عن موضوع آخر غير ماهو مدون ..

المحقق الأول: درويش .. انتبه لما تقول ..

درويش : ( مرتاعا .. وقد بلغ به التعب غايته وبدأ يتهاوى وينشنث شيئاً فشيئاً )

أهناك درويش ثالث ياسيدي .. غيري وغير الآخر ضالع في هذه المؤامرة أيضاً ؟

( يلاحظ انفعال المحقق ) .. أرجوك ألا تغضب ياسيدي .. إنما اريد ان استوثق من هذه النقطة ليس غير .. هل هناك درويش ثالث أم لا ؟؟

**المحقق الثاني:** درويش .. اتفقنا على ان تقول الحقيقة .. وها انت ذا تحاول المراوغة من جديد . تذكر .. « المستودع » ( يشد على الكلمة ) نريد أن نسمع منك قصة المؤامرة . دورك .. ودور الآخرين واحداً .. واحداً ..

**درويش :** اه .. آه ياسيدي الكريمين .. ماشـأن المستودع الآن ؟.. المستودع سيفقدني توازني !.. تصبرا علي قليلاً يتسوى الموضوع .. إذا كان هناك درويش ثالث في القضية فان ذلك سيزيدني بلبالاً .. بل سيقضي علي تماماً .. دخلت في جلد الآخر وانتهيت .. ولكن اكتشاف شخص ثان شيء معقد وسوف يزيدني بلبالاً .. سنعيد الكرة من جديد ... اسمه وصفته وبيته ودوره في المؤامرة الخبيثة !!.. رباه .. ترى لماذا يعلق الدراويش وحدهم في هذه القضية وعباد الله الكثيرون يملؤون أرجاء الدنيا الفسيحة الدراويش وحدهم يحملون بذرة الخطر والجريمة والتآمر .:. ( يترجى المحقق الأول الذي بدأ يهتز من الغضب ) تمهلا ياسيدي المحقق .. أنا أريد أن نسوي الموضوع تماماً .. لامفر لنا من ذلك .. اذا لم يأثم أحدهم فكيف يقدر لنا تبين الفضيلة ... درويش عز الدين آثم في حق السلامة العامة .. ربما كان درويش آخر .. ربما كنت أنا .. ربمـا كان درويش ثالث .. أعرف ياسيدي .. اعرف أن احداً ما إذا ألقى حجراً في وسط البحر اهتزت شطآن الدنيا كلها ... هذا هو ماحدث بالضبط .. جاء أحد الدراويش وألقى الحجر .. على جميع دراويش الأرض إذن أن تهتز أجسامهم المسكينة ويرجعوا الصدى .. انا نفسي واحـد من هؤلاء الدراويش وعلي ان اهتز للصدى .. الجريمة هي جريمة كل الدراويش .. وقد حق عليهم بسببي ذلك العذاب والعقاب ..!

**المحقق الأول:** ( يندفع صوبه ويهزه من كتفيه ) : بلى .. بلى وحق الله .. حق عليك وعليهم العذاب العظيم .. سوف يقدر لك ايها المراوغ .. ايـها المتآمر الخبيث ان تعرف طعم هذا العذاب الأعظم كما لم يعرفه إنسان من قبل..

**درويش** : سيدي .. سيدي ..

**المحقق الأول:** ... لن اسمع منك كلمة اخرى .. ولا كلمة ...

**درويش** : ( يرتجف بين يديه ) ... تريدون واحداً منهم ياسيدي ، انا هو ... انا هو ... خذوني بجريرتي ... خذوني بما هو مدون في صفحتي ..

**المحقق الأول:** سوف افعل .. في الحال .. في الحال .. ( يصرخ ) خذوه ...

**درويش** : ( يتهاوى على الأرض ويتمسك بركبتي المحقق )

لاتدعهم يفعلون ياسيدي .. لم يعد لي قدرة على الاحتمال .. سأصير درويشاً ودرويشاً ودرويشاً حتى تمتلىء دفاتركم بوقائع اداناتي حتى آخر ورقة .. اصير تاجراً ... وعاملاً .. وثائراً .. اصير ماتشاؤون من خلق الله الكثير الغريب .. افتحوا كتاب الادانة واقرؤوا فيه مايخطر على بال آدمي من الجرائم فأكون انا هو المجرم بعينه .. اجعلوني امثولة وليس واقعة .. قلبوا اية ورقة من اوراق الادانة تجدوني ملتصقا بها .. سأكون اي رقم واي اسم واية واقعة واي تاريخ .. سأكون موضوع كل شهادة وكل اتهام وكل حكم ..



**المحقق الأول:** ( يركله بقدمه ) : تريد ورقة ادانتك .. ( يركله مرة ومرة ) نريد الحقيقة .. الحقيقة الخالصة ...

**درويش** : خبروني اين الحقيقة فأسعى ورائها على قدمي الى آخر الدنيا .. وآتيكم بها . ما انا الا انسان مسكين عالق في صميم همومه الهشة البائسة .. فاذا قضى الأمر وصرت موضوع الحقيقة وقلبها وعينها دون ان ادري فسوف احلها من اجلكم واطوف بها في كل بلد وصقيع منادياً انا هي .. انا هي .. حلوني إياها فأفعل .. اجعلوها على لساني فأنطلق بها .. انبئوني ياسيدي اكراماً لله اين هي الحقيقة !! ... اذا كانت حبة عيني قلعتها وقدمتها لكم ...

**المحقق الأول:** ( صارخاً ) حقيقة المؤامرة .. اريد المؤامرة مفصلة .. مرتبة كما هي .. كما هي تماماً .. ( يركله بقدمه ) .

**درويش** : ( يتطلع في الرجلين المحققين وفي زميلهما صاحب السوط .. زائغ العينين

وقد هده اليأس والقهر ) تريدون تفاصيل المؤامرة ... تريدونها كما هي حرفاً بحرف ...

**المحقق الاول:** ( متوعداً ) : كما هي حرفاً بحرف ... من البداية الى النهاية ...

**درويش :** ( متجمعاً على نفسه .. ضاماً ذراعيه الى صدره ) من البداية الى النهاية!!.

**المحقق الاول:** من البداية الى النهاية ...

**درويش :** ( ينقل بصره بينهم مرة اخرى ) سأقولها مرة واحدة ...

**المحقق الثاني :** ( مستبشراً ) : قل يادرويش ... في الحقيقة وحدها خلاص روحك وجسمك ..

**درويش :** ( ... في صوت هادىء .. يخفي قراراً يائساً مصمماً ) ...
اسمع اذن ياسيدي ... البداية هي اني كنت انساناً مسكيناً مسالماً لا أعرف أن لي شأناً خارج نفسي .. كان العالم من حولي مكاناً أعيش فيه فحسب.. كنت أحب العالم ولكنه لم يكن يعني بالنسبة لي اكثر من مكان أعيش فيه ... لم أحمله همومي ولم أحمل همومه ... كان هو يسير على هواه وكنت انا اسير على هواي ... قطرة في بحر .. ليس اكثر من قطرة ياسيدي .. فصلت لباسي على ما اهوى .. العالم مكان كبير ياسيدي مليء بالتناقضات محشو حتى انفه بالهموم والمتاعب .. انا حشوت نفسي بمباهجي ومتاعبي .. لو حدث حادث وقصم ظهر العالم لما حفلت به.. العالم مليء بالشراك .. أرض ملغومة تريد أن تصطادك وتوقعك في حبائلها .. العالم شيطان خبيث اخرج الملايين من ابنائه من ذوات نفوسهم وزجهم في همومه الثقيلة المتراكمة .. أما أنا فقد حاذرت شباك العالم وتبينت مواقع قدمي ..

**المحقق الاول:** ( يقاطعه نافد الصبر ) : ليذهب عالمك الشيطاني الى الجحيم .. أريد المؤامرة .. المؤامرة وحدها ليس غير ..

**درويش :** ( في نفس الصوت .. وفي ذات التصميم ) :
أنا أحدثك عن المؤامرة ذاتها .. العالم هو المؤامرة بعينها .. تآمر العالم علي وأوقعني في شراكه ..

**المحقق الاول:** كيف أوقعك ؟.. قل كيف ؟؟

**درويش :** جرني اليه .. أوصلني بأسبابه .. جعلني زوجاً وجعلني أباً وجعل لي مستقبلا وحاضراً وماضياً .. أمسكني العالم الخبيث من خناقي ودفعني دفعاً الى أن أصير جزءاً منه ويصير هو جزءاً مني .. خضني وخضني ثم مزجني بالغير .. أعطاني اسماً وهوية ووطناً وبلداً وبيتاً وولداً ... صيرني مسؤولا عنه .. سرق مني براءتي وحريتي ..

**المحقق الاول:** ( وقد استبد به غضب عارم ) : المؤامرة .. المؤامرة ..

**درويش :** ( في صوت بارد ) : العالم هو المؤامرة ..

**المحقق الاول:** ( صارخاً في هوس ) : ماذا ؟؟

**درويش :** ( صارخاً بدوره ) : العالم هو المؤامرة ...

**المحقق الاول:** ( في انفعال مسعور ) : يارب السموات .. هل سمع احد منكم بشيء مثل هذا في حياته ... العالم هو المؤامرة .. أما هو .. أما هو فلا شيء .. ( يلتفت اليه ) أنت لاشيء .. أنت لاشيء .. ( يتقدم نحوه ودرويش يزحف مبتعداً ) العالم هو المؤامرة .. أما هذا الشيطان الخبيث المختبيء تحت جلدك فليس شيئاً .. هو .. ليس شيئاً أبداً .. (يصطدم درويش بالمحقق الثاني الذي يرفع رجله ويضعها فوق كتفه ) .. هل تعرف ما سوف أفعل بك .. أمثولة .. سأجعل منك أمثولة كما اشتهيت أنت .. تسعون يوماً وأنت تعبث بنا عبث الأطفال .. ثم تطلع علينا بهذه الحقيقة الساطعة .. ( يقف فوقه ) .. العالم هو المؤامرة .. صار العالم متمرداً متآمراً ولبس لبوس الخونة والرعاع وسقط الناس ثم خرج يتربص بالسلطة الدوائر .. العالم هو المؤامرة ،أما انت فلا شأن لك بما جرى ويجري ... الآن سنتصرف مع العالم وسوف نعرف كيف ننتزع منه الحقيقة .. سنأخذ العالم الى المستودع ونعرضه على الآلات حتى يشبع جسمه عذاباً فيسمعنا بدوره صراخه ووجيعه ... الآن ( ينحني ويمسك بدرويش من كتفيه ) امسكنا بالعالم متلبسا بالجريمة .. سنسوقه الى المستودع في الحال ونتجاذب معه اطراف الحديث ( يجره ) تعال ايها العالم الصديق

ودعنا تتجاذب ـ بين جدران المستودع ـ اطراف الحديث .. ( يحاول درويش التملص عبثا ) العالم تطلق بالحقيقة كلها ثم تراه يخاف بعد الآن؟. وقع في الشرك مرة واحـــدة وليس له من مفر .. تعال .. ( يجره ودرويش يقاوم ) جروه .. جروه ...

( يطبق الرجال الثلاثة على درويش )

**المحقق الأول:** ( يتركه للآخرين وينفض يديه ) الى المستودع ..

**درويش :** ( صارخا ) الحقيقة .. قلت الحقيقة ...

**المحقق الأول:** ( ساخرا ) العالم مؤامرة ...

**درويش :** ( الرجلان يجرانه الى الخارج ) العالم هو المؤامرة .. وحق الله .. وحق الله ... العالم هو المؤامرة ..

## ( يسدل ستار المشهد الأول )

## المشهد الثاني



( يرتفع الستار على نفس المشهد ، الوقت الهزيع الأخير من الليل ، يدل عليه لون السماء البنفسجي العميق من خلال الكوة العالية الجدار ، درويش مستلق على ظهره ، نائم .. يتردد هتاف نسوي باسمه من الطرف الأيمن للمسرح ، درويش يتململ والصوت يتابع نداءه ، يقعد درويش في الفراش مستجيبا الهتاف .

( تستخدم الأضواء خلال المشهد لتوحي بأن ما يجري هو في الحلم )

**صوت امرأة:** ( من اليمين ) : درويش .

**درويش :** ( يتململ )

**الصوت :** ( بنعومة ) : درويش .. درويش ..

**درويش :** ( يتلفت صوب اليمين فلا يبصر شيئا .. يفضل ان يتركز النور على درويش وينتقل مع حركته اينما يتوجه ) : الصوت في اذني .. ولكني لا ابصرك ايها الطيف !

الصوت : ( في ضراعة ) : درويش ...

درويش : ..اذهب أيها الصوت الهاتف ودعني في شأني !

الصوت : أنا زينة يا درويش ..

درويش : ( منتبها ) : زينة ..

الصوت : زينة .. زوجتك .

درويش : ( يشيح بوجهه متخلصاً مما يوحيه له الاسم ) من أي عالم جئت .. من أي مكان ينبعث صوتك .. أرجوك أيها الطيف ارحل ودعني وشأني .

الصوت : طال انتظاري يا درويش .. الشوق .. الشوق يدفعني اليك .

درويش : قلبي خواء مهجور لا مكان فيه للشوق .

الصوت : كان قلبك خيلة يا زوجي الحبيب .

درويش : ( يلتفت ) بل خواء .. صحراء خاوية تلتهب فيها شمس لا تفتر .

الصوت : تطلع .. أنظر الى وجهي .. دعني ألاقي صحراء عينيك المتقدة وخواء قلبك المهجور .

درويش : امضي أيها الطيف أنا لا اعرفك ولا اعرف من توجه اليه خطابك من الناس .

الصوت : أنا زينة .. وخطابي هو الى حبيبي القديم درويش .

درويش : تعال في زمن آخر واطلب من كان زوجك .!.

الصوت : أنت هو .

درويش : أنا الغير .. الآن أنا الغير .. غداً من يدري .. تعال في الغد .

الصوت : ( ملحاً .. متوسلاً .. ) لم يبق في صدري صبر يا رجلي الحبيب .. تسعون ليلة بطولها لم تبق في صدري صبراً .. بحثت عنك في النهار وفي الليل ونازعني الشوق اليك . غلبني الشوق يا درويش.. ( يردد الصوت في حسرة ولهفة ) غلبني الشوق .. غلبني الشوق .

درويش : ( يتململ وقد تنازعه بلبال فلا يدري كيف يداري هواجسه ) :

من اي مكان يتسلل الي صوت هذه المرأة الباكية فيهز سكينتي ؟ .. من تكون هذه المرأة ؟.. ما شأنهـا .. ( يرفع صوته ) اذهبي يا امرأة واطلبي رجلك المفقود في مكان آخر ... انا لا اعرف من تكونين ( يتلفت حوله .. يرفع صوته أكثر كأنما يريد ان يسمعه من في الخارج ) انما تهيم ايها الطيف حيث يجب الا تكون .. انطلق الى مكان آخر ودعني وشأني .

**الصوت** : ( يتوضح الآن شخص زوجته زينة في الجانب الأيمن من المسرح في هالة من النور ) .. تطلع في .. انا زوجتك زينة .

**درويش** : ( لا يلتفت .. يحادثها في صوت عال ) : انا لا اعرف احدا بهذا الاسم.. اسم زوجتي صبيحة .

**زينة** : اتنكرني يا زوجي ؟..

**درويش** : اسم زوجتي صبيحة يا امرأة ( في صوت خافت ) اذا شئت النجـاة امضي من هنا وتدبري امرك . .

**زينة** : ( لا تستجيب لصوته الخفيض ) بل سأبقى ولن تهمني نجاتي . . اريد زوجي هنا . . زوجي هو انت . وسأحصل عليه . . .



**درويش** : ( في نفس الصوت الخفيض ) : انصرفي اكراماً لله . اما ترين في اي حال انا ؟ . . . خرجت لتوي من المستودع . . هناك نفضت من نفسي كل شيء ، ماضي وما كنت . . امضي يا امرأة قبل أن يدركوا طيفك فيجروه الى المستودع . . امضي . .

**زينة** : أمضي معك . . .

**درويش** : ( مجفلا ) معي ؟ . . الى أين . . ؟

**زينة** : الى بيتك وزوجك وولدك . . .

**درويش** : والآخرون . . ماذا أفعل إذا جاؤوا وطلبوني ؟؟

**زينة** : لا شـأن لي بالغير . . ليطلب كل انسان ما يخصه . . أنت تخصني وحدي . . .

درويش : (يلتهرها) .. اخفضي صوتك .. انهم يعرفون كل خافية .. يعرفون حتى ما يختلج في الصدور ..

زينة : (لاتستجيب له) : ليعرفوا .. لايهمني أمرهم .. أريد أن يعرفوا ما يختلج في صدري .. كل ماهو خافٍ وظاهر مني ... (تصرخ) أنا أريد زوجي درويش .. زوجي درويش ...

درويش : (يجر نفسه اليها جرا) همسا اكراما لله .. تحدثي همسا ..

زينة : (متوعدة) هل سوف تأتي معي ؟؟

درويش : لا أستطيع يا امرأة .. اعلمي علما أكيدا أني لا أستطيع ..

زينة : لماذا تقول يا امرأة .. أتأبى علي مناداتي باسمي ؟

درويش : لا أستطيع .. أنسيت اسمك ومن تكونين ..

زينة : أكان أمرا هينا يا درويش أن تنسى اسمي ومن أكون ..؟

درويش : (يهز رأسه دلالة على التأسف) لم يكن هينا ... لم يكن هينا ..

زينة : (تقترب منه) دعني أتطلع في عينيك وأنت تنكرني ..

درويش : (يتراجع) لا تتطلعي في عيني ! فيهما محروقتان ..

زينة : (تقترب أكثر فتصير في مواجهته)
أرني كيف انطفأت عينيك يا درويش .. أرني كيف انتزعوا من أعماقها ظلي وشخصي وشكل وجهي ... اجعلها مفتوحتين ولا تدع رموشها تهتز وأنت تتطلع في ..

درويش : (يتطلع اليها وهو يرتجف) رباه ...

زينة : (تمسك بوجهه في مواجهتها) أنكرني الآن يا درويش ..

درويش : (في نبرة باكية .. مترجية) : ارحميني يا زينة .. ارحميني وانصرفي .. آه .. آه يا هم قلبي .. قل لزينة يا قلبي أن تمضي وتنسى من أكون ... آه يا هم قلبي قل لزينة أن عيني لا تستطيعان الابصار .. وأن عقلي لا يقدر على الادراك .. قل لها ان ما كان قد كان ومضى الى غير رجعة ..

زينة : ( تمسح على وجهه وشعره ) أتذكر ما كان فعلا يا درويش .. هل تبقى لنا في زاوية من قلبك موضع فيذكر ما كان ؟ .. هل صوحت كل أزهار قلبك وذرتها الرياح فما بقي لا طيب ولا عطر .. ( تجري أناملها على خده ) كأنك لم تعرف الحب والبهجة والشوق والحنين .. ( تمر بأصبعها على شفتيه ) أتحت قبلات شفتيك.. استحالتا الى حجر فلا تجري فوقها رعشة حنان ؟ ... مضيت كطائر مهاجر يا درويش وخلفت وراءك العش القديم وصغارك كأنما لم يكن لك عهد بهم ولا سبب .... ( تحضنه ) أخذت بهجة قلوبنا ومضيت قدما لا تلوي على شيء ... أكان ذلك عهدنا بك يا زوجي الصالح .... يا حبيب قلبي .. يا أب أولادي ...
( ينفجر ) بالبكاء وهو يهتز في حضنها ) آه يا أحبائي .. يا أحبائي ...

زينة : ( وهي تحضنه ) : أذا تقلبت على جنبي في هدأة الليل وتلمست موضع ذراعك فوق .. صدري ... أذا اختلج كل عرق في .. هاتفا لك .. أغلقت أذنيك دون ندائي ومضيت في هجرانك ... أكان ذلك هو العهد يا درويش ؟ ...

درويش : ( مستسلما ) يا حبة قلبي .. يا زوجتي ...

زينة : ما يطرق الباب الا وأهرع اليه باسطة ذراعي .. على لساني اسمك ...

درويش : يا زينة ... يا احلى الزوجات ... يا زينة يا وردة بين نساء العالم ...

زينة : انتظر في الصباح .. انتظر في الضحى ... انتظر في العشيات ... انتظر وكل جفن قد هدأ الا جفني انا ...

درويش : كفى يا زينة ... سامحك الله .

زينة : ... نسيت الأولاد ...

درويش : حدثيني عنهم يا زينة .. قولي كيف هو احمد وكيف عيسى ورباح، وفاطمة اما زالت تسعى على قدميها الغضتين وهتافها لي يملاء جنبات الدار ؟ ... قولي يا زينة ... اما زال الصغار يذكرونني ويشتاقون الي ... اما زالوا كما تركتهم .... لماذا لا تقولي يا زينة ؟ ... لماذا ؟؟؟

زينة : ... يروح واحدهم ويأتي .. سائلا .. متعجباً .. متحسراً .. بابا ذهب ولم يعد ! اين بابا ؟..

درويش : آه ... آه ياأحبائي الصغار .. ياقطعاً من قلبي ..

زينة : ( وقد استوثقت من صحوته ) : فلنمض يادرويش ... ( تتخلص منه وتجره من يده ) لنمض ...

درويش : لنمض يازينة ... لنسرع قبل ان يدركنا احد ...
( يسيران في اتجاه الجانب الأيمن من المسرح في حالة النور .. )
( ينبعث صوت نسوي من الطرف المقابل من المسرح )

الصوت : درويش ...

زينة : لنمض على عجل يادرويش ..

درويش : ( في خطو متردد ) لنمض يازينة ..

الصوت : ( مترجيا ) : درويش ...

درويش : ( يتوقف )

زينة : ( تجره من يده ) هيا بنا .. لنسرع الخطو يازوجي ..

الصوت : الى أين يادرويش ؟؟..

درويش : ( متلفتاً الى يسار ) : الى بيتي ..

زينة : الأولاد في انتظارك ... لنسرع الخطو يادرويش ..

درويش : ... قبلي يازينة ..

الصوت : عاودك الحنين الى ما كان ؟؟

درويش : ( الى الصوت ) ما شأنك انت .. انا عائد الى داري !!

الصوت : نسيت ماصار ؟...

زينة : ما اوقفك عن المضي يازوجي ؟

الصوت : بعدما نزلت لنا .. نحن المفجوعين والثكالى واليتامى .. عن روحك وقلبك .. بعد ان ارحتنا من عذاب الطواف في جنبات الارض بحثاً عنك تنسى كل ماجرى وتمضي ولا يهتز في جسدك عرق .

درويش : ( يخاطب الصوت ايضاً ) : انا عائد لداري وولدي .. اما انت ايها الطيف فامضي في سبيلك وطوف ماشاء له الله الطواف ... عسى ان تجد ماتبغي في ركن او دار او صقع .

( تجره زينة من يده فيخطو خطوة أخرى )

الصوت : ( يتوضح شكل المرأة الاخرى صبيحة ) عاودك الحنين الى الهجران يا جواب الآفاق ومبدل الشخوص والارواح !!.. تمهل وانظر الى وجهي.. تمهل دقيقة ليس غير .

درويش : ( يتوقف ) ها أنذا انظر في وجهك ، فاذا يجدي نظري ؟ . . لقد اوقدت زينة حبيبتي مشاعل النور في عيني فأنا اسير الآن في ضوء عيني الحقيقتين البصيرتين ...

صبيحة : ( يتوضح شكلها تماماً في هالة من النور في الجانب الايسر من المسرح ) : وأنا !... من أكون أنا اذن ... اذا كانت زينة حبيبتك ؟؟



درويش : انت نصفين الآخر ..

زينة : اسرع يادرويش .. كاد صبري ان ينفد ..

صبيحة : والاولاد !!

درويش : اولاده الآخر ...

صبيحة : انت تعرف يادرويش ان ذلك ليس عدلا .. تعرف ان ما مضى قد مضى وانتهى الأمر ...

درويش : ... أهو عدل ان انكر اولادي وزوجي ونفسي وأصير غير ما أنا ؟ .. امن العدل ان اشيل في صدري هما غير همي .. ان اصنع من طين غير طيني ... أمن العدل ان اشتاق الى ما لااعرف وأتذكر ما لم يكن !!...

صبيحة : فيم كان عذابك اذن ؟ . . ما كان جدواه ؟ . .

درويش : كان عذابا مهدورا .. كان عذابا ظالما ...

صبيحة : تعذب لغير ما سبب .. ودونما جدوى !!

درويش : ... حلت عذابه وكفى ... انا لن اتزل له عن نفسي مرة اخرى ... ( يصرخ ) : لن انزل لأحد عن نفسي ...

صبيحة : قبلت ان تصير هو يادرويش وانتهى الأمر .. افي كل يوم يبدل المرء نفسا بنفس ؟

درويش : ( ينفلت من زينة ويتوجه اليها متوعدا ) قولي لهم ان يجدوا درويشا غيري .. انا درويش مسكين لا اعرف لي شأنا في السياسة ولا اريد ان احمل عبء العالم فوق ظهري ...

صبيحة : وقع الاختيار عليك لتصير درويشا بعينه ... لا مرد لقرارهم ... ( تنذره بأصبعها ) انت تعلم علم اليقين ان قرارهم لامرد له ...

زينة : درويش ياحبيبي ... انا مازلت في الانتظار ..

درويش : ( يلتفت اليها ) اصطبري يا زينة ...

صبيحة : ... اي ثمن فادح دفعت .. بسببنا نحن دفعت الثمن الفادح .. فلا تبخس قيمة ما دفعت وتمضي خالي اليدين ...

درويش : ( متذكرا ) ... بأي ثمن .. بأي ثمن ...

صبيحة : ... ألم تحمل وزر الآخر .. الم تستحق جدارته .. الم تفتدي روحه بروحك ؟ لماذا تهم الآن في لحظة ضعف ان تلقي بالحمل الفادح على كتف بريء آخر ينتزع من احضان اهله كما انتزعت ! ...

درويش : ( يتوعدها بيده ) قلت لك ليحمل كل امرىء حمل نفسه ، انا ماض الى داري واهلي وشأني .. انا لست مسؤولا عن ابرياء العالم ... لينتزعوا مايشاؤون منهم واحدا بعد الاخر ...

صبيحة : يا ضيعة ما فعلت يادرويش .. ويا اسفا على المسك المهدور ... ما ان يغيب ظلك حتى يجدوا في البحث عن آخر وآخر وآخر .. ويظل العالم ممتلئا بالحماقة والاثم والضحايا ...

درويش : ... ( متحيرا ) ... كفاني انا ... كفاني انا ...

**زينة** : ( تستحثه ) درويش يا حبيبي وروح قلبي .. استمع الي ولننهض معا الى حيث كنت وحيث يجب ان تكون ...

**صبيحة** : ( تدنو منه شيئاً فشيئاً ) سوف يسعى الجلادون في طرقات العالم ويأتون بالناس كيفما اتفق .. ثم .. ثم انت تعلم الباقي يا درويش .. سوف تسلخ الجلود وتشوى الصدور وتدور الآلات وتتصاعد من كل مكان من العالم صرخات الألم والعذاب .. سوف يستمر العـذاب البشري يا درويش سوف يستمر ويستمر ويستمر .. كل ذلك سيحدث بسببك انت ...

**درويش** : ( مروعا ) بسببي انا !!

**صبيحة** : ... بسببك أنت ..

**درويش** : الله والناس يعلمون أني بريء .. لاعلاقة لي بالقضية .

**صبيحة** : كل انسان يسعى على قدميه في أرجاء هذه الأرض عالق في القضية .. شاء أم لم يشأ ..

**درويش** : ربما .. وربما كان لكل امرىء شأن بها الا أنا فلا شأن لي ... أنا لم يكن لي شأن مع أحد أو موضوع أو طرف أو حزب أو جماعة ... أنا امرؤ خال خلو الهواء والشمس والريح من كل اثم !!



**صبيحة** : ... ما الذي جاء بك هنا اذن ؟

**درويش** : الله وحده يعلم ..

**صبيحة** : ربما أراد الله لك أن تجيء ..

**درويش** : ليس الله ظالماً ..

**صبيحة** : الله ليس ظالما ولكنه أراد أن يجيئوا بك ..

**درويش** : فليكن .. ها هو قد أرسل الي زينة فرفعت عن عيني غشاوة النسيان. عادت نفسي فامتلأت .. ولسوف أمضي لشأني في التو ..

**زينة** : لننهض ...

**درويش** : ( دون أن يتحرك من مكانه ) لننهض ...

**صبيحة** : ربما كانوا يتربصون بك عند أول منعطف .. من يدري يادرويش فالقضية ماتزال معلقة .

**درويش** : ويلي .. أمن الممكن أن يحدث ماحدث مرة أخرى ؟.. أليس هنـــاك دراويش أخر في اصقاع هذه الدنيا ؟؟..

**صبيحة** : كثير ... ولكنهم يجدون في أثرك انت ..

**درويش** : لماذا انا ؟

**صبيحة** : من يدري .. ربما كنت أكثر الدراويش براءة .. ربما كنت اكثرهم سذاجة .. ربما كنت اجدرهم بحمل الله في قلبك والعالم على كتفيك ...

**درويش** : ( ملتاعا ) انا اختارني الله والعالم ... انا من بين كل الدراويش المساكين يختارني انا !!..

**صبيحة** : من يدري ... من يدري ...

**زينة** : .. تجلد يادرويش .. لاتجعل نفسك تنازعك الى الجبل .. تجلد وخذ بيدي ( تمد يدها اليه ) .

**صبيحة** : بيدي انا ... ( تمد اليه يدها ) .



**زينة** : خذ بيدي ياحبيبي درويش ( يلتفت اليها ) انا زوجتك وام اولادك .. أنا عالمك الحقيقي الوحيد الثابت ... في صدري حبك وآلامك وهمومك. أنا من توسدت ذراعي وقبلت فمي وعانقت جسدي ..

**صبيحة** : ... بيدي أنا يادرويش ... ( يلتفت اليها ) .. كان ألمك من أجلي أعظم الألم وعذابك اعظم العذاب ... انا التي قهروا روحك بسببي واوجعوا كل شبر من جسدك لتصير لي وتصل اسبابك بأسبابي ... خذ بيدي يادرويش ... انا وحـــدي استحقك من بين سكان هذا الكوكب ...

( يمد يداً اليها ويداً الى زينة )

**زينة** : ستمضي معي الى اولادك ...

**درويش** : ... نعم الى اولادي .. وزوجي ... ( يمضي نحوها ) ...

صبيحة : والقبر يادرويش .... ماذا ستفعل بهم .. أتتركهم موجعي القلوب حسيري الأعين .. اتترك العالم وقد غص حلقه بالبكاء .... رانياً اليك والدموع تحتبس في عينيه .. اتتركه موجوعاً .. معذباً .. ضالاً في جنبات الأرض ؟ ...

درويش : ... ليبحث القبر عن ضالته .. كفاني مالقيت من القبر .. ليجد كل ابن اباه ولتجد كل زوجة زوجها .. وكل حبيب حبيبه .. لتدر الأرض كما كانت تدور .. كل نجم في فلكه .. أنا عائد .. لنفسي .. ( يصرخ ) أنا عائد لنفسي .. كفاني مالقيت من القبر .. أنا عائد .. عائد .. عائد ..

صبيحة : ( في صوت هادىء عميق ) : درويش .. أنت تعلم .. العودة مستحيلة ..

درويش : .. ( كأنما يخاطب نفسه ) العودة ليست مستحيلة .. ها أنذا أعود .. ( لايتحرك من مكانه ) .. احمليني ياقدمي .. أنا عائد .. ( لايتحرك ) ..

صبيحة : .. ماذا ستحمل في عودتك ؟

درويش : ( يلتفت اليها .. ويتوعدها ) براءتي !..

صبيحة : .. ( بالصوت الهادىء العميق نفسه ) فات عهد البراءة .. لقد أبصرت يادرويش .



درويش : ( يصرخ ) أنا بريء .. بريء .. بريء ..

زينة : .. أنت لم تقرب الاثم ..

صبيحة : بل أثمت .. وكان اثمك أعظم الآثام ..

زينة : كنت بريئاً .. وكانت البراءة تتفتح في قلبك كزنبقة ..

صبيحة : العالم مليء بالأقاويل ..

درويش : يتقول الناس بمالايعرفون ..

زينة : .. الناس الطيبون يعرفون انك بريء .. يعرف الناس أنك ذهبت ضحية الأقاويل ..

صبيحة : .. الناس يقولون أشياء كثيرة ..

زينة : .. لم يعرفوا امرءاً أكثر نقاء منك ..

صبيحة : .. الأقاويل كثيرة .. لا يحصى لها عدد ..

درويش : .. العالم مليء بأقاويل الكذب ..

صبيحة : صحيح ..

درويش : والشر .. الشر طافح في العالم .

صبيحة : صحيح ..

درويش : الجريمة في كل مكان .. حيثما تسعى قدم تعثر بالجريمة ..

صبيحة : صحيح ..

درويش : ( يصرخ ) أصبح العالم بلد الشر ويرضع الشر ويربي الشر .. العالم عجوز مقعد والشر فتى يرمح على حصان ..

صبيحة : صحيح .. صحيح .. صحيح ..

درويش : ( يلتفت اليها ) .. لماذا يختبىء العالم العجوز الجبان .. ويتركني وحدي في مواجهة الشر الساخط .. المتقد بالغضب ..

زينة : .. براءتك .. براءتك يادرويش .. تمسك بها تنج .. لاتلقي سمك الى تدام الخطايا .. تمسك ببراءتك تنج ..

صبيحة : ( تدور من حوله ) صوت واحد يدوي في أرجاء العالم .. لم يعد هناك متسع للبراءة ..

زينة : البراءة حبل النجاة ..

درويش : ( يسعى خلف صبيحة ) لماذا ألقوا بالشر في وجهي ..

صبيحة : حتى تعرف .. ( ماتزال تدور على مهل من حوله )

درويش : عرفت أن العالم مليء بالشر .. ماجدوى معرفتي ؟؟

صبيحة : تعانيه .. يكتوي قلبك بناره ..

زينة : انج بجلدك يادرويش .. الشر أفعى فلا تضعها في صدرك ..

صبيحة : صوت واحد يدوي .. صوت واحد يدوي .. لاطريق للنجاة .. الأرض مقفلة ..

زينة : ( تلاحقه ) : لنهرب يادرويش ..

صبيحة : لاجدوى .. الطريق دائري .. ستعود من حيث بدأت ..

زينة : ( تصرخ ) لنهرب يادرويش حيث لانجد مكانا ولاأناسا ..

صبيحة : في كل بقعة مكان .. في المكان أناس .. وفي قلب الناس يكمن العالم ..

درويش : ( يضرب على صدره ) ماشأني أنا ؟.. خبريني .. لماذا يجب علي أن احمل العالم على ظهري .. لماذا يجب ان أعانيه في قلبي .. لماذا يجب ان أكتوي بناره .. لماذا ..؟ ( يرتفع صوته ) لماذا الأرض مقفلة .. والطريق تلتف في دائرة ؟..

صبيحة : .. ( في صوت هادىء ) انت جزء من العالم .. العالم في قلبك .. العالم هو أنت .

درويش : .. ماذا علي ان افعل .. ( يدور خلفها ) .. ماذا علي أفعل به .. ؟

صبيحة : ( تتوقف وتواجهه ) كفى غباء أيها الأحمق.. العالم مضطهد ..موجوع. فتش عن سلاحك وتقلده ..

درويش : ( يتوقف وقد باغتته الفكرة ) سلاحي .. سلاحي أنا ؟ ..

زينة : ( تهرع اليه وعلى وجهها ترتسم علامات الرعب ) انجُ بنفسك يادرويش.. أنت انسان مسالم لم تخلق للكفاح .. يداك لم تجعلا للقتل ..

درويش : ( لايستمع اليها .. يدور في أرجاء المكان )
السلاح .. السلاح .. أخيراً .. أسمع صرخة السلاح !!..

زينة : .. حذار يادرويش .. ستنزلق قدماك .. أنت امرؤ مسالم مسكين .. لاشأن لك بالسلاح ..

درويش : ( لنفسه ) ماذا أفعل بالسلاح ؟.. هل يجب علي ان اجرده للقتل .. ( يتطلع في زينة وصبيحة ) لا .. لا .. لن أفعل .. لاأستطيع أن افعل ..

صبيحة : عرفت وعانيت يادرويش .. لامفر من ان تفعل ..

درويش : ( لنفسه ) : لا .. لا .. لن افعل .. سأغسل العالم من قلبي واطرحه خارجاً .. بل سوف أطرحه في مستنقع آسن ..

صبيحة : ليس العالم وسخا عالقاً بثوبك يا درويش .. انه في قلبك ..

درويش : ليس في قلبي .. كذب .. انه وسخ وسوف أتطهر منه ...؟

صبيحة : انظر في قلبك .. انظر .. تره يفور من نبع ...

زينة : اطرحه .. انه وسخ طارىء ...

درويش : ( ينهرها ) اسكتي .. ما ادراك انت ماهي جلية الأمر ؟ .. دعيني أتبين الحقيقة .. هل هو نبع يفور من قلبي أم هو وسخ طارىء ؟.. اذا كان وسخاً طارئاً فلماذا تراه يفور ؟ ... أمتاحه كما يمتاح الملاح السفينة ثم يمتلىء من جديد ؟؟ أهو الآن في قلبي !... ( يمسك قلبه ) ... اخبرني يا قلبي البائس ... هل يفور العالم في حناياك كما يفور الدم ؟ .. أيكون العالم هو ما يجري فيك ؟.. أيكون العالم هو دمي .. ( يردد في هوس ) .. تراه هو دمي عينه ... هو دمي عينه ...

صبيحة : ( تقف في مواجهته ) عرفت اخيراً يا درويش ..

درويش : ( يتملاها ) عرفت .. عرفت .. أصحيح اني عرفت ؟...

صبيحة : انفجر النور يا درويش كما ينفجر نور الصباح .. ولا حيلة في استرجاع الظلمة الآفلة .. انت تبصر الآن يادرويش ...

درويش : احترقت عيناي من الإبصار .. احترقتا ... احترقتا ... ( يغطي عينيه )

صبيحة : افتحهما الى اوسع مدى .. أبصر أكثر ...

درويش : الرؤيا تبهرني .. قلبي يرتعد مما ارى .. داخ رأسي. داخ كأنما انا محول على جناح برق ...

صبيحة : ( وقد ارتسم على وجهها بريق الانتصـــار ) : امض معي فأنا جناح البرق .. امض لترى اكثر مما رأيت وتسمع أكثر مما سمعت وتحس اعظم مما احسست .. امض قدماً ولا تأبه .. فـــات زمن

العودة يا درويش .. اشتد منك العود وصلب الظن وانفتل الساعد .. عيناك ... عيناك يا درويش اصبحتا كالرصاص الذائب .. واسعتين .. براقتين فيها اصباغ العالم والوانه وخطوطه وخفاياه ..!!.. هيا ياجوّاب الآفاق ومبدل الشخوص والارواح .. احمل اثقالك وامض ...

درويش : ( مستجيباً ... منفعلا بما توحي اليه ) امضي بدون سلاح .. اين سلاحي؟

صبيحة : سلاحك هو الرؤية .. سلاحك إن تعرف وتدرك وتبصر ...

زينة : ( تقترب .. تحاول ان تتشبث به وتستعيده ) : وانا ؟؟

صبيحة : ستكون كل الزوجات المفجوعات من نصيبك !!

زينة : واولادي ...

صبيحة : لكَ كل الاولاد الابرياء المعذبين . . . ستكون ابا لعـــدد لايحصى من صغار العالم . .

زينة : انا واولادي وبيتي وعبقي !!

صبيحة : ارفعهم فوق ظهرك يا درويش .. ستجد في كل زاوية ومنعطف حمل .. شلهم جيعاً ياذا الظهر الفولاذي، فلن ينقض ظهرك بعد اليوم حمل !!...

زينة : ( ترفع عقيرتها بالنواح ) ضعنا .. ضعت يا زوجي . .

درويش : ( منفعلا . . ممتلأ بالحماسة الوافدة ) سوف اناضل ضد الألم واليـــأس والمذلة ... لن ادعهم يسقطوني ...

صبيحة : لن تسقط . . سيرتسم الرعب فوق عينيك الفولاذيتين الصابرتين كظل الشمس ويمضي . .!! سيمضي الرعب الطارىء وتبقى الشجاعة . . .

زينة : . . ياضيعتي . . يا ضيعتكم يا صغاري ( تصرخ ) تعالوا فاشهدوا مالا يمكن لعين ان ترى . . . ( تصرخ بأعلى صوتها فيتردد الصدى بعيداً مرسلا في جنبـــات المسرح ) يا اولادي . . يا احمد . . يا عيسى . . يا رباح . . يا فاطمة . . .
( تتوضح شخوص الأطفال في الجانب الأيمن من المسرح )تعالوا . . .

درويش : ( يجفل ) لا . . لا . . لا . .

زينة : .. يا احد ( يقترب احد ) يا عيسى ( يقترب ) يا رباح ، يا فاطمة ( يتجمع الأطفال من حولها ) .

درويش : ( يشيح بوجهه ) لاتفعلي .. لاتفعلي يا امرأة .. دعي الصغار في منجاة ...

زينة : لا احد ناج .. لا احد ناج ...

صبيحة : ( تهرع اليه وتشده من ذراعه ) : درويش .. لا تهن .. تذكر .. العذاب ... والمعاناة والسخط .. تذكر كم انت مقهور وساخط ...

زينة : ( تقبل نحوه بدورها وتشده من ذراعه ) الاولاد بين يديك ... انظر ما انت فاعل .. قلام .. نقل بصرك بين اهلك والعالم .. ما بالك !! ...

صبيحة : مرة واحدة وأخيرة يادرويش .. جمع كل ما في قلبك من سخط واجعله يفور في دمك كبركان ثم انظر .. انظر .. بعينيك الفولاذيتين ...

درويش : ( يتخلص منها ويأخذ وجهه بكفيه ) : بعينين من لحم ودم أم بعينين من فولاذ ؟ آه .. آه ... بأية عين سأنظر ... آه ... آه ... سأغمض عيني ولا أنظر بها ...

صبيحة : افتحها ولا تخف ..

زينة : افتحها يا درويش واستوثق ما اذا كانتا عينين من لحم أم مرآتين من فولاذ !!

درويش : ( يتايل يمنة ويسرة وما يزال يأخذ وجهه بكفيه ) : أنا خائف .. أنا خائف ... فقد لا أبصر ...

صبيحة : ستبصر الكل جسدا واحدا معذبا ممددا في عراء العالم ...

درويش : سيسقط ظل أولادي على عيني ويرتد عنها كما يرتد ضوء على صقال ..

زينة : ( صارخة ) : تقدموا يأولاد ..

درويش : لا .. لا أستطيع أن أنظر ...

زينة : تجمعوا في بؤرة النور ... تطلعوا الى هذا الرجل .

( زينة تبتعد وتبقى في الظلام .. صبيحة تبتعد أيضا .. يبقى درويش والأولاد متقابلين في بهرة النور ) .

**الأولاد** : ( في صوت واحد ) بابا ...

**درويش** : ( لا يتطلع ) لا .. لا .. لا ..

**زينة** : ( يأتي صوتها من العتمة ) قل لا في وجوههم ...

**درويش** : لا أستطيع أن أنظر ...

**زينة** : واجههم يا درويش .. اصرخ ملء فك في وجوههم لا .. لا ..

**درويش** : لا أستطيع .. قد تتحقق نبوءتها فلا أبصر أولادي ..

**صبيحة** : ( يأتي صوتها من العتمة ) أنظر ولا تخف ...

**درويش** : لا أستطيع .. لا أستطيع أن أعمى عنهم ...

**صبيحة** : ... ستبصر أبعد وأعمق مما يجب .. أنظر ...

**درويش** : بالمصيبتي .. سألتكم الله خذوهم ( يهتف لزوجته ) يا زينة ترفقي بحالي وخذي الأولاد .

**زينة** : لاتريد أن ترى ؟!

**درويش** : ( يرفع كفيه عن وجهه ولكنه لايجرؤ على التطلع صوب الأولاد ) أخاف يا زينة .. ماذنب الصغار حتى يمتحنوا .. دعيهم في غفلتهم ...

**زينة** : بماذا أعللهم .. بماذا أبرر لهم غيابك الابدي ... ؟

**درويش** : قولي أي شيء .. قولي إني مت ..

**زينة** : قلت ... فرفضوا تصديقي ...

**درويش** : سوف ينسون .. ما زالوا صغارا .. سوف ينسونني ..

**زينة** : هل سيشفون من داء أبوتك .. هل سأشفى أنا ؟ ..

**درويش** : ألا ترين يازينة كيف اني لا استطيع مواجهتهم ... أنت كبيرة ورحيمة، كوني لهم أبا وأما .. أنا لاانفع مني يازينة .. لم أعد بريئا فقد غمسوني بالاثم .. صدقيني .. حفروا الاثم على صفحة قلبي .. نقشوه بإبر

حادة .. لن أعرف الحب الخاص بعد اليوم .. ولا الطهارة ، ولا الغفران .. لاتدّعي محوي الجرحة تلوث قلوب الصغار البريئة .. أنت كبيرة وفاهمة يازينة .. خذي الأولاد وارحلي .. ( متوسلا في صوت باك ) أرجوك .. أرجوك .

زينة : ( تتقدم نحو النور ) تطلع في مرة أخيرة يا درويش ...

درويش : ( يشيح بوجهه ) لا اريد .. ستملؤك نظراتي رعبا ..

زينة : ... تطلع الى الأولاد مرة واحدة اخيرة ...

درويش : ستنكسر قلوبهم اذا شخصوا الى وجهي .. لن يعكس وجهي الا الاثم .. في عيني سيتوهج السخط كجمرة نار ...

زينة :( تدور على اعقابها وتبتعد الى العتمة .. يأتي صوتها الآن وهي تخاطب الصغار باردا جافا .. عميقا ذا اصداء .. يفضل ان يصدر عن مكبر الصوت )

قضي الأمر يا اولاد وانتهى عهدي وعهدكم بما يخصنا من درويش .. تملوا الآن من هذا الرجل الماثل امامكم .. انظروا اليه قبل ان يمضي في طريقه فلا يقدر لكم بعد ان تنظروا اليه .... هذا الرجل لم يعد اباكم .. حدث هذا في الماضي .. حدث سابقا .. ولكنه لم يعد الآن صحيحاً .. كان لكم فيما مضى ثم هجركم ونزل في مكان آخر .. عليكم ياصغاري ان تنتزعوا من اعماق عيونكم اللطيفة صورة هذا الرجل... هذا الأب السابق مرة واحدة والى الابد .. عليكم ان تقتلعوا من تحت جلودكم احساسكم به وتقطعوا وثاق اعصابكم الموصولة الى لحمه ودمه .. لقد نزل هذا الرجل في محطة مجهولة وفقد نفسه السابقة ..

درويش : ( يهرع في اتجاه الصوت فلا يتبين شخصها في الظلمة .. يتوقف في منتصف المسرح يخاطبها دون ان يواجه الأولاد ) .

انزلي سخطك علي .. لا توجعي قلوب الصغار ...

زينة : ( ماضية في صوتها المضخم ... )

هذا الرجل اكتشف نفساً جديدة وعيناً جديدة يبصر بها .. هذا الرجل عبر لكم جسراً ثم انعطف في اتجاه مخالف واتخذ لنفسه سمتاً جديداً ...

تأملوا كيف لايريد ان يرى بأم عينيه او يسمع بأم اذنيه شيئاً مما كان .... مدوا له ايها الصغار يد العون .. وتابعوا مسيرتكم منفردين .. لاتكونوا شواهد على الماضي .. الماضي مات وانتهى الى غير رجعة .

**درويش** : ( يصرخ ) انظري يازينة ما سوف افعل .. سأسمل عيني فلا ارى شيئاً. سأثقب اذني فلا تأتيني الأصوات الا هديراً اصم .. تجيء الأولاد فأفعل. بجيم يازينة .

**زينة** : ( يبتعد صوتها الآن شيئاً فشيئاً ... وهو يأتي من كل مكان وليس من مكان بعينه ) . كفاني انا ما اعاني .. كفاني ان اجرب النسيان فلا اذكر ليالي حبيبة طويلة كنت مشدودة فيها الى هذا الرجل .. انفاسي مختلطة بأنفاسه وجسده ملتصق بجسدي .. شكله كله . ادق الوان عينيه مغروزة في اعماق عيني كما تغرز جذور شجرة في صميم الأرض .. علي ان انسى انه كان لي مرة .. شيء لم يحدث من قبل ابداً .. موت جديد ياصغاري المساكين لم اسمع به ولم يخطر على امرىء ببال .. موت يصيب الانسان في ماضيه وحاضره ومستقبله وهو مايزال حياً مكتمل الحياة .. هذا هو امامكم .. هذا هو الانسان الحي الميت الزوج ... الأب الذي يريد ان يموت فيكم وفي كما لم يمت شخص من قبل .. يحيي ولا يخلف وراءه اثراً كما لو كان ظلا ومضى .... . ... مدوا له يد العون ياأولاد ... خلوا درويش البائس يختلط في كل دراويش الأرض . . هو ملح الارض، فاذا فقد الملح فباذا يلح العالم طعامه . . !! . . . خلوا بينه وبين مايريد وتعالوا الي ... تعالوا ياصغاري .. تعالوا . .

( يتباعد صوتها ويصبح كرجع الصدى ) .

يا احمد . . يا عيسى . . يا رباح . . يا فاطمة . . سأصير لكم أباً وأماً وماضياً وحاضراً ومستقبلا ... تعالوا ولا تذرفوا بين يديه دمعة . . . فليس الا السخط يتوهج خلقا اشوه في وجهه وعينيه . . لا . . لا . . ياأولاد . . . لا يستحق هذا الرجل دمعة . . دمعتة حبة ماء تنعقد في محجر من فولاذ . . . اذا سقطت على قلبه ، سقطت عـــلى جلموه من حجر . . .

( يبدأ الاولاد بالتراجع من دائرة النور الى الخلف )

صوت زينة : ( كالصدى ) تعالوا ... تعالوا الي ...

( يستدير درويش في وقفته بحيث يصبح ظهره الى النظارة .. يبتعد عنه النور ويتركز على الأولاد وهم يتراجعون في بطء فترة .. ثم يعود النور فيسلط عليه .. درويش يرتدي الآن قناعـاً لوجه مشوه باك والدموع عالقة على خده )

درويش : ( يتطلع من حوله فيبصر الاولاد المتراجعين في دائرة النور المتباعدة ) اولادي ... أولادي ...

( يتطلع الاولاد نحوه في رعب .. تجعلهم حركة النور الجارية يبدون كأنما هم يتراجعون سراعاً الى الخلف ) .

درويش : عيسى يا ولدي .

عيسى : ( يتراجع في ذعر ) ماما .. ماما .. ماذا يريد مني ?.. اوقفيه ياماما ...

درويش : ( يتقدم ) أتخاف مني ياولدي ?.. تخاف مني ياعيسى ?..

عيسى : ( يهرع الى الخلف وهو يصرخ ) ماما .. امنعيه ياماما ... ( يختفي )

درويش : ( الى الآخرين ) تعال يا أحمد .. تعال يابني !..

احمد : ( يتراجع مذعوراً ) لا .. لا .. لا أريد ...

( يختفي ) .

درويش : ( يشد على جسمه بيده .. ملتاعاً ) رباح ... ياولدي ...

رباح : ( يتراجع وهو يصرخ ) لا .. لا .. انت تخيفني ...

( يختفي )

درويش : يا إلهي .. يا الهي .. ( الى فاطمة الصغيرة ) وانت يا ابنتي ...

فاطمة : ( تظل واقفة حيث هي .. تتطلع نحوه بعينين حزينتين ) .

درويش : ( يمد لها ذراعيه ) فاطمة ياصغيرتي ...

فاطمة : ( تلتفت الى خلف ) ماذا يريد هذا الرجل يا ماما ..

صوت زينة : اسأليه يابنية ...

فاطمة : انه يبكي ... رجل كبير يبكي ...

صوت زينة : اسأليه ما الذي يبكيه .

فاطمة : ( مترددة ) لماذا تبكي ؟؟

درويش : ( يمسح على قناعه كأنه يلتقط الدموع )
حتى لاتبكي عيون الصغار يا ابني .

فاطمة : الكبار لايبكون ..

درويش : قلوبهم تبكي يا ابنتي .. أنت لاتبصرين دموع القلوب .. ولكنها تبكي ...

فاطمة : ... ( تضع أصبعها في فمها متفكرة ) ... هل فقدت ابناً او بنتاً !!.

درويش : ( يهز رأسه ) نعم باصغيرتي .. فقدت كل ابنائي .

فاطمة : أنا فقدت بابا .. بابا كبير مثلك ولكنه لايبكي .. كانت دموع عينه تتساقط عندما يضحك .. أنا كنت أضحكه فتتساقط دموع عينيه .

درويش : تأملي دموع عيني .. ( يقترب منها وينحني فيركع على ركبتيه ) ألا تشبه دموع بابا ؟ ..

فاطمة : لا .. لم يكن بابا حزيناً .. كانت دموعه تتساقط عندما يضحك .

درويش : ( يحاول ان يكسبها فيبذل جهداً خارقاً يائساً ) ..
انتظري ... سأضحك لك يا فاطمة .. وتتساقط دموعي بدل البكاء ضحكاً .. ( يحاول ان يضحك عبثاً .. لايرتسم اي تغيير على القناع .. يشد خطوط القناع دون جدوى ) انتظري .. سترين كيف اضحك .

فاطمة : ( تنظر اليه طويلا ) انت لاتعرف كيف تضحك ... انت رجل كبير .. حزين ... ( تهم بالذهاب ) .

درويش : ( يحاول مرة ثانية في يأس ) : انظري يافاطمة ... سأفعل من اجلك .. انتظري فترين كيف اضحك .
( تدير له ظهرها وتبتعد .. وهو يحاول عبثاً تحريك خطوط القناع ) يافاطمة .. يا ابنتي الغالية ..

**فاطمة** : ( تلتفت نحوه قبل ان تغيب ) انا حزينة من اجلك . . انت رجل كبير لاتعرف كيف تضحك ..

( تختفي )

( درويش يقف وحده الآن في دائرة النور .. يتلمس وجهه .. ثم يمسح كفيه بثيابه ويعود فيتلمس وجهه المقنع ) .

**درويش** : لا اعرف كيف اضحك . راح رواء الضحك ولم اعـــد اعرف كيف اضحك .. دموع عيني نفسها تيبست ( يتلمسها ) قطرات منثورة فوق صفحة خدي ... قطرات مسمرة من الحجر ... ( يشد عينه عبثاً ) لا ضحك ولا بكاء. جرب ان تبكي ( يحاول فيفشل ) جرب ان تضحك .. ( يحاول عبثاً ) لن تنفعك البهجة .. لا .. لن ينفعك الالم .. وجهي القلب الى حجر منغضن .. تحققت النبوءة يا امرأة ( يتلفت حواليـــه ) أين توليت يا امرأة وقـــد صار ماصار ؟.. ( يصرخ ) يا امرأة الآخر. يازوج المفقودين والمشوهين والتعساء والمظلومين .. يا ام الاطفـــال اليتامى ... ياروح العالم الموصوم وصوته وسخطه .. اتتخلين عني وقد صار ماصار ... تعالي وفكي أسرار وجهي الحجرية ... تعالي .. اطلقي ضحكي وبكائي . . ( يروح هنا وهناك في جنبات المسرح والضـــوء يلاحقه ) لاطاقة لي بحمل تعاسة العالم وآلامه . . فكي أســـاري . . لا قبل لي بحمل تعاستكم وعذابكم .. أعيدوني الى براءتي . . . ( يخبط على صدره . . يترجع صدى نحاسي ) ماهذا .. ماهـــذا في صدري ؟.. نحاس . . قلبي من نحاس ووجهي من حجر وعيناي من فولاذ. . لم يعد في جسدي قطعة من لحم . . ( يصرخ ويدوي صوته عالياً ) يا امرأة .. يا امرأة . . عودي وفكي اساري ... سأحمل من اجلكم جبلا من العذاب .. اعطوني روحي ... اعطوني روحاً . قبلت ان احمل جبل العذاب .. ( يصرخ في التياع ) يا امرأة ... يا امرأة ..

( يأتي صوت صبيحة في الظلام من كل جانب من المسرح )

دوريش ... درويش ...

**درويش** : عودي يا امرأة ... عودي ...

**الصوت** : درويش .. أنت تعلم .. العودة مستحيلة ...

**درويش** : آه .. آه .. أعطوني روحي الحقيقية فأحمل جبلاً من العذاب ... أريد روحي وجسدي ..

**الصوت** : صوت واحد يدوي ... صوت واحد .. لاطريق للعودة .. لاطريق للنجاة .. الأرض مقفلة ..

**درويش** : ( يسقط على ركبتيه ) ... رباه ... أصحيح لم يعد هناك طريق ... لاعودة ولا نجاة ..

**الصوت** : (مضخماً ) : الطريق دائري والأرض مقفلة ... الطريق دائري والأرض مقفلة .. الطريق دائري والأرض مقفلة ...

( ينحني شيئاً فشيئاً والصوت يتردد حتى يستلقي كما كان في بداية المشهد. يخيم الصمت والضوء متجمع فوق درويش فترة .. ثم يخبط باب الزنزانة مرة ومرة ... درويش لايرد ... تسمع خبطة ثالثة وتفتح الطاقة في صدر الباب الحديدي ويعم النور دائرة الزنزانة كلها ) ..

**الحارس** : ( يطل بوجهه من الكوة ) هيه ... انت ...

**درويش** : ( يصحو من النوم ) أنا !..

**الحارس** : ( صارخاً ) اصح أنت يا أحمق .. خذ ..

( يمد يـــده بكوب من الشاي وقطعة خبز ) ... الفطور ... ( يتلقاها درويش ) ..

**درويش** : ( مرتبكا ) انا ... أنا في الحقيقة ..

**الحارس** : ( وهو يخبط باب الكوة في وجهه ) أحمق ..

**درويش** : ( يعود بالخبز والكوب ويقتعد الأرض ) أكان ذلك حقيقة أم وهماً ؟..

( يتلمس جسمه ) كان حلماً .. حلماً رهيباً .. ( يمسح وجهه بكفه فيلمس القناع ) رباه .. لم يكن ذلك وهماً (يثب نحو الباب ويقرعه ) أيها الحارس ... أيهـــا الحارس ... ( يخبط البـــاب وهو مايزال يتلمس وجهه )

أيها الحارس ..

( يعود الحارس فيفتح طاقة الباب )

الحارس : هه .. ماذا تريد .. فيم هذا الخبط المدوي ..

درويش : ( متلعثما .. لايعرف كيف يداري رعبه ) ايها الحارس الطيب .. أيها الحارس الطيب ..

الحارس : ( مغيظاً ) قل ماشأنك ؟.. أتريد الخروج ؟..

درويش : كلا .. ولكن .. ولكني ..

الحارس : ( يهم باغلاق الكوة ) ماذا ؟.. أتريد أن تريني ضربا آخر من جنونك ؟.. ألا ترى انه لاوقت لدي !!..

درويش : ( يدفع باب الكوة ) انتظر سألتك الله .. انتظر وتطلع في وجهي ...

الحارس : ( يستبد به السخط ) ماذا في وجهك ؟.. لاأرى سوى الحماقة ..

درويش : وجهي أنا .. وجهي أنا .. هل هو في محله ؟؟..

الحارس : يارب السموات .. أين تريد أن يذهب ؟

درويش : تراه كما هو ... كما كان بالأمس !

الحارس : ( يتملاه ) دعني أرى .. وربما كانت أساريره قد ازدادت حماقة .. بل هي زادت بالفعل ..



درويش : سألتك الله .. أما يزال هو هو .. اعني وجهاً من لحم ودم ؟؟؟

الحارس : بل هو وجه من حماقة مطلقة .. نعم .. انه وجه من لحم ودم ..

درويش : ( وقد بلغ الرعب غايته ) أعني ..

الحارس : ماذا تعني ؟؟

درويش : هو هو لم يتغير .. لم يتيبس .. اعني أستطيع أن أفعل به كما يفعل بقية الناس .. أضحك وأبكي ..

الحارس : ( وهو يغلق الكوة .. يهز وجهه أسفاً ) أما وجدوا في أصقاع هذه الدنيا إنساناً سويا يأتون به هنـــا ، فلحقوا بالمجانين !! ( يغلق الكوة )

درويش : ( يعود الى منتصف الزنزانة وهو مايزال يتفقد وجهه .. تخطر له فكرة فيخبط على صدره ، يرجع المكبر صدى نحاسياً ) .

النحاس في صدري .. ( يتلمس وجهه ) وجهي متيبس ولكن أحداً لايراه ... الحارس لايرى الى وجهي المتيبس .. آه .. آه .. ( يتفجر بالصراخ ) وحدي مع صدري النحاسي ووجهي المتيبس .. أحملها وحدي .. آه .. آه .. أحملها وحدي .. وأدركها وحدي ، وأعيش بها وحدي .. ( يعود فيمسح على وجهه ) ما كان ذلك حلماً بل حقيقة ... هذا ما أعطوك يادرويش : وجهاً من حجر وصدراً من نحاس .. احملهما وامض في طرقات العالم .. لن يرتسم على وجهك بعد اليوم يامسكين ظل من ألم أو بهجة .. دموعك المتيبسة ( يتلمسها ) ستظل معلقة على خدك شاهدة على مارأيت وعانيت ... درويش ... درويش اسمع ما أقول لك ... لن يكون وجهك بعد اليوم مرآة لنفسك ... تجلد .. اتخذ وجهك آه ... ( يتأوه من أعماق صدره ) آه ... آه .. اتخذ وجهك أيها البائس صورة العالم مشوهاً ..

( يسقط على ركبتيه ويسدل ستار المشهد الثاني )

## المشهد الثالث

( في الجانب الايسر من المسرح في الزاوية منه تنتصب منصة القاضي العالية ، وضع في الطرفين المتقابلين ميزانان صغيران .. أرض المسرح عارية تماماً. يدخل رجل أصلع من اليمين يتبعه المحققون الثلاثة ويتخذ كل مكانه . القاضي خلف المنصة والمحققان الاول والثاني الى جانبيها والثالث وراء القاضي مباشرة ، يقعد القاضي على كرسيه خلف المنصة .

يسقط الضوء على القاضي والمحققين ويمتد في خيط فيشمل درويش الماثل أمام المنصة في وضع جانبي للنظارة ... القناع فوق وجه درويش ولكن أحداً لا يتبينه. القاضي يلبس قناعاً غريباً يمثل وجه رجل ضاحك مورد الخدين ، خالي الرأس من الشعر تماماً.

يمد القاضي يده فيناوله المحقق الثاني حبة صغيرة فيبتلعها ، يومىء باصبعه الى السجين ) .

**القاضي** : ( يتفحص الملف ) اسمك

درويش : درويش عز الدين تاجر

القاضي : ( مقاطعاً ) اجب في كلمة واحدة .. يكفي درويش .

درويش : ( يتطلع الى المحققين ) يكفي درويش .. أم...
( يهزان برأسيهما ) اذن يكفي ..

القاضي : المحكمة وحدها التي تسأل ... القضية الآن بين يديها وحدها .. فاهم ؟..

درويش : يقلب نظره في حذر بين المحققين والقاضي ) .
يعني .. يعني أن التحقيق سيجري هنا مرة أخرى ..

القاضي : التحقيق انتهى .

درويش : لا اسئلة ولا اجوبة ؟

القاضي : بل سأسألك وانت تجيب .

درويش : ( متردداً لحظة ثم يحزم امره ) هل ترى في ذلك فائدة ياسيدي ؟

القاضي : ... ( يقرع المنصة بدقة محاسبة ) أتجرؤ على القول أمامي.. انه لافائدة من المحكمة ؟

درويش : .. معاذ الله يا سيدي .. كنت اريد القول ان الملف ( يشير الى الملف امام القاضي ) فيه كل الاسئلة التي تخطر على بال ، وفيه الاجوبة ايضاً...

القاضي : انس الملف وامتثل لما تؤمر به .. المحكمة ستسألك عن كل ما يعن لها ، هي وحدها صاحبة الحق في التقدير .. فاهم !..

درويش : ( مستبشراً ) : فاهم يا سيدي .. سننسى موضوع الملف .

القاضي : سأعيد طرح الاسئلة ، وأصغي الى الاجوبة من فمك مباشرة ..

درويش : ( يهم بالكلام ثم ينتبه الى المحققين .. يتراجع مذعناً )
الاسئلة ذاتها والاجوبة ذاتها .. لافائدة ..

القاضي : اجب في حدود ما تسأل ..

درويش : نعم .

القاضي : عمرك .

درويش : اربعون عاماً .

القاضي : متزوج ؟

درويش : نعم .. مرتين .

القاضي : تعني.. لك زوجتان .

درويش : ( يهز رأسه ) واحدة اعرفها والاخرى عرفتها من بعد .. أعني هنا في الملف .. ثم جاءتني في الحلم .

القاضي : تزوجت في الحلم ؟

درويش : الملف يقول . .

القاضي : ( يقرع المنصة ) درويش . . . المحكمة تنذرك للمرة الأخيرة . . لنضع الملف جانبا .

درويش : ولكن يا سيدي . . الملف هو كل شيء

القاضي : ماذا تعني بقولك . . الملف هو كل شيء ؟

درويش : القضية يا سيدي . . القضية موضوعة في الملف . . صدقني اذا خرجت عنه قيد انملة ضعت من جديد . . وقد تطلع لنا من ثم قضية جديدة مختلفة . . .

القاضي : ( يضع يده على الملف ) ما هو مدون هنا ليس أكثر من دليل . . لائحة اتهام . . . المحكمة ستستخلص النتائج بنفسها . . .

درويش : ( يخبط يديه على جنبه ويناجي نفسه الى جانب ) : ليرحمك الله يا درويش . . . قد يزل لسانك وتسرد ما ليس مدونا فتتعلق في دوامة الجذب والأخذ . . . قد تسأل عما ليس مدونا فتجيب . . . لا مفر من الاجابة . . فوجه القاضي وجه انسان شغوف بالأخذ والرد... آه . . . ( يفرك كفيه ) . . آه . .

القاضي : ( عذرا ) انتبه هنـــا . . الحديث الى جانب ممنوع . . مخاطبة الغير ممنوعة . . قام . لا تضع الوقت . . الوقت من ذهب . . بين يدي الف قضية . . .

درويش : ... المغفرة يا سيدي ... لن أسر لنفسي بشيء بعد الآن ..

القاضي : نعود الى الاسئلة ..

درويش : ( يتشجع ) أيأذن لي سيدي القاضي ؟

القاضي : ماذا تريد ؟

درويش : .. أسر لك شيئاً ..

القاضي : حول القضية نفسها ؟

درويش : في صلب القضية .. بل هو القضية ذاتها ..

القاضي : قل ..

درويش : الموضوع يتعلق بالملف ..

القاضي : سحقا لك .. ماذا ترى يشغلك في الملف فلا تحيد عنه يمنة ولا يسرة ؟؟

درويش : ذلك هو الموضوع يا سيدي .. اما ان اضع الملف نصب عيني واما ( يتطلع نحو المحققين )

القاضي : تكلم ..

درويش : ( يتشجع ) واما أن نذهب في وجهة أخرى .. لا يمكن للمحكمة يا سيدي أن تجمع بين الموضوعين .. الملف وأنا .. عليك أن تختار يا سيدي واحداً من الاثنين ..

القاضي : ( يهز رأسه ) فهمت .. تعني ان ( يرفع الملف ويلوح به جانبا ) .

درويش : تماما يا سيدي ..

القاضي : ما السبب .. قل ما السبب صراحة ؟

درويش : ... واحد منا مزور ... الملف أو أنا

القاضي : بمعنى آخر .. الملف هو المزور .

درويش : ( يتطلع نحو المحققين ... يتردد قليلا ) لم اقل ذلك تماما .. ربما كنت انا مزورا .. مدسوسا على ذاتي

( المحقق الأول يهمس شيئاً في اذن القاضي.. القاضي يهز رأسه موافقا )

القاضي : قبلت المحكمة اعتراض التحقيق .. ( الى درويش ) : ستمضي في الاستجواب ..

درويش : ( مرتدا الى نفسه ثانية ) فهمت يا سيدي ..

القاضي : صفتك ..

درويش : تاجر .. كنت معلما فصيرني ( يومىء الى الملف في مرغة ) تاجرا ..

القاضي : تاجر أم معلم ؟؟

درويش : معـ .. ( يتراجع ) تاجر ...

القاضي : ( يقرأ في الملف ) كم ولداً لديك ؟

درويش : أربعة .. بل ثلاثة ..

القاضي : أربعة أم ثلاثة ..؟

درويش : كانوا أربعة .. ( يسترق اشارة من يده الى الملف ) ثم ثلاثة ...

( يتوقف .. القاضي يميل الى المحققين يشاورهما .. يتطلع الى درويش ويهدده بيده )

القاضي : درويش عز الدين انت تحاول الهزء من المحكمة .. ملفك يقول انك انسان ماكر ، مقاتل .. المحكمة تريد الحقيقة ، ولكن مغالطاتك المتكررة تطمس معالمها ... أنت رجل متهم بأكثر التهم خطورة على الدولة والمجتمع .. ولن يجديك شيء مثل قول الحقيقة مباشرة .. ( يخبط على الملف ) اذا لم تساعد المحكمة في اكتشاف الحقيقة الخالصة فسوف تدان وتحكم استناداً الى هذه الوقائع فحسب ولن تجد أمامك فرصة أخرى للدفاع عن نفسك.. ( يتوقف ويتأمله ) ... ستقول الحقيقة أم لا ؟... للمرة الأخيرة أمنحك الفرصة .. تقول الحقيقة أم لا ؟

درويش : ( يتطلع الى القاضي ثم الى المحققين )

القاضي : ( يخبط على المنصة ) أريد الحقيقة .. الحقيقة وحدها فاهم .. ام ..

درويش : ( متشجعاً ) اذا قلت الحقيقة ... اذا بزغ نورها كالفجر الساطع وأعمى الأبصار .. فهل يؤاخذني بسببها أحد !!..

القاضي : ستنقذ .. ولن تكون موضع مؤاخذة ...

**درويش** : ( ينهض .. يتقدم صوب المنصة )
رأيتها يا سيدي .. رأيتها بأم عيني .. أنا لست شيئاً ذا بال في الواقع ... لم أكن شيئاً ذا بال ... ولم يكن لي شأن مع الحقيقة ... كانت بعيدة ... نائية .. معلقة في مكان ما من هذا العالم الرحب . . وكان العالم بسيطاً في عيني .. متوازناً ... مفهوماً حتى انفجر نور الحقيقة الوهاج فقلب مفاهيم الأشياء كلها ... تبدى كل ما في الدنيا مغالطة كبيرة .. بهرني النور بل أعماني فاذا بكل شيء ليس في محله .. اهتزت الدنيا واختـــل ما فيها من رواء وبساطة وتناغم ... رأيت يا سيدي القاضي ما لا يمكن أن يرى وسمعت ما لا يجب أن يسمع ...

**القاضي** : ( يوقفه باشارة من يده ) يكفي هذا .. أريد لو تجعل الحقيقة تتبدى للمحكمة ...

**درويش** : حاضر يا سيدي .. سأفعل .. قلت ..

**القاضي** : ( يوقفه ) انتظر .. سأسألك أولاً بأول .. ( يضع يـــده على الملف ) أصحيح ما دون في هذا الملف ؟

**درويش** : ( يتراجع ) كنت أريد أن أحدثك عن الحقيقة يا سيدي .. ولقد بدأت..

**القاضي** : ( يقاطعه ) سوف تتجلى الحقيقة تماماً ... أجبني أصحيح ما جاء في الملف من وقائع ؟

**درويش** : ( متحيراً ) نعم .. نبدأ بالملف ثم ننتقل اليها .

**القاضي** : أجب بطريقة مباشرة ... مفهوم !!

**درويش** : نعم يا سيدي ..

**القاضي** : أكرر السؤال .. أصحيح ما جاء في الملف من وقائع ؟

**درويش** : صحيح .

**القاضي** : .. تآمرت مع جماعة من الرعاع في الاعداد للثورة ضد السلطة الشرعية ..

**درويش** : نعم ..

**القاضي** : كان هدف المؤامرة تدمير الفضيلة وقلب نظام المجتمع واستيلاء الرعاع على السلطة واعادة توزيع الثروة .. وتساوي العامة مع الخاصة ؟..

درويش : نعم .

القاضي : تعترف أنك مذنب ؟..

درويش : نعم ..

القاضي : خارج على القانون ؟

درويش : نعم ..

القاضي : ثائر .. متمرد ..

درويش : نعم ..

القاضي : يكفي .. الآن .. هل أنت نادم ؟

درويش : كلا ..

القاضي : لست نادماً على ما اقترفت من إثم وجريرة ..؟

درويش : كلا ..

القاضي : ( يحاول مداراته أملاً في استخلاص أي دليل على الشعور بالذنب والتوبة ) أعني أنك بعد أن تبينت حقيقة الأمر وجليته .. لو دعيت مرة أخرى الى ما دعيت له ، لكان موقفك واحداً في الحالتين ..



درويش : كلا يا سيدي .. لن يكون واحداً بطبيعة الحال ..

القاضي : ( يتراجع الى خلف .. ويخرج تنهدة ) تعني أنك نادم ..

درويش : لا يا سيدي .. أنا نادم على ما لم أفعل ..

القاضي : كيف ؟

درويش : بعد أن تبينت الحقيقة .. بعد أن انفجر نورها أمام عيني وعلمت ما لم أكن أعلم ...

القاضي : علمت أنك كنت على خطأ ..؟

درويش : آه يا سيدي القاضي .. بل علمت أني كنت على خطأ ..

القاضي : ( يقرع المنصة ) خلصنا .. هذا اقرار واضح بالندم .. المحكمة ستنظر اليه بعين العطف ( يغلق الملف ) .

**درويش** : .. ( في عجلة ) سيدي .. سيدي ..

**القاضي** : ماذا ؟ هل تريد أن تضيف شيئاً ؟

**درويش** : .. نحن لم نتحدث عن الحقيقة .. ألم تقل فيما بعد ..؟

**القاضي** : ( يتقدم بجسمه فوق المنصة ) عن أي شيء كنا نتحدث اذن ؟ من اليوم !!

**درويش** : عن الملف ياسيدي .. قلنا كل ما في الملف ..

**القاضي** : .. ألم تعترف منذ قليل .. ان كل ماجاء في الملف من وقائع صحيح ؟

**درويش** : .. نعم .. قلت .. ولكن موضوع الحقيقة موضوع آخر ..

**القاضي** : ( يخبط المنصة ) أجبني في كلمة واحدة .. أنت مذنب أم برىء؟

**درويش** : مذنب .

**القاضي** : ( يستريح في جلسته ) يكفي ..

**درويش** : .. وحقيقة ذنبي .. ألا تريد أن تعرف ياسيدي حقيقة ذنبي ؟

**القاضي** : ذنبك واضح .. التمرد على السلطة الشعبية .

**درويش** : .. آه ياسيدي القاضي .. حقيقة ذنبي براءتي وليس التمرد على السلطة.. براءتي هي المذنبة ..

**المحقق الأول:** ( في صوت بارد تقريري ) سمعت المحكمة بأذنيها اعتراف المتهم بجريمته..

**المحقق الثاني :** ( في نفس النبرة ) سطع شمس الحقيقة بين يدي المحكمة .. كما هي مدونة.. مرقمة .. مدعمة بالوقائع في ملف الاتهام ..

**درويش** : .. ( الى القاضي ) .. دعني أشرح لك ياسيدي .. أعطني فرصة أخيرة، أجعل الحقيقة تتبدى لكم كما لو اناضوء النهار .. مايقوله هذان السيدان ( يشير الى المحققين ) صحيح .. في الملف وقائع وارقام وادلة .. كلها تدين براءتي .. براءتي هي المذنبة .. ولكن الحقيقة شيء آخر .. صدقني ياسيدي .. الحقيقة شيء آخر ..

( يهم المحققان بالرد على درويش ولكن القاضي يقرع المنصة غاضباً .. يوجه الخطاب الى درويش )

**القاضي** : براءتك .. تقول براءتك وقد جنيت ماجنيت .. أيبلغ بك العجب والاصرار على الجرم هذا المبلغ !! تقول براءتك بعد كل ماجرى ؟

**درويش** : بلى ياسيدي .. براءتي هي موضوع التحقيق .. براءتي هي موضوع العذاب .. براءتي هي موضوع القضية المعروضة أمامك ..

( يهم المحققان مرة أخرى بالتدخل .. فيقرع القاضي المنصة )

**القاضي** : .. دعوني أفهم .. ( الى درويش ) .. أتريد أن تثبت أمام المحكمة أنك إمرؤ ملتاث وأنك لاتعقل ماتفعل !

**درويش** : ( يتقدم .. يشتعل الآن في سورة من الانفعال )

لو استمعت الي ياسيدي لتبينت مثل جلية الأمر .. أنا لاأريد أن أدخل في روع المحكمة أني امرؤ ملتاث .. لا .. لاأريد أن التاث ياسيدي بعد اليوم .. أريد ان احتضن وعي وأفرد جذوره في صميم كياني فامتلأ به كما يمتلىء الكون بنور الشمس .. أريد أن يمتلك وعي الحقيقة كلها .. ظاهرها وخافيها .. تأكلني رغبة عارمة طاغيـة الى أن أجري وراء الحقيقة وانتزعها من حيثما كانت .. وفي أي زمن سطعت .. أريد نورها الباهر يفترش سمائي أصبحا وضحى وظهرا ومساء وآناء الليل .. أريدها وانتشاها فوق ماأريد امرأة أو بهجة أو سعادة أو غنى .. حتى الخلود لاأبيعها به .. أريد الحقيقة وقد دفعت في سبيل بلقة منها حياتي وامرأتي واولادي ورداء وجهي ونبض قلبي وضحك عيني .. اريدها ولو كانت هي شمس الظهيرة الملتهبة فوق أرض لاظل فيها ولافيء ولا جرعة ماء ..

**القاضي** : ( يقاطعه بخبطات متتالية على المنصة )

الحقيقة .. الحقيقة .. أين هذه الحقيقة المشتهاة المرغوبة ذات الثمن الثقيل الفادح .. التي بها حالا .. ( يخبط المنصة ) حالا .. حالا

**المحقق الأول** : ( في صوت بارد تقريري ) الحقيقة في الملف .

**المحقق الثاني** : ( في نفس الصوت ) تستقر الحقيقة الساطعة في الملف كما تستقر الشمس في كبد السماء .

**درويش** : ( يروح الى المحقق الأول ثم الثاني وهو في ثورة انفعاله ) :

كذب .. كذب .. كذب .. في الملف ستذبحني .. في الملف ستقتلني .. في

الملف قصة انسان أحق لبس غير ... ولكن الحقيقة خارج الملف ..

**القاضي** : يخبط على المنصة لبوقف الهرج بين المحققين ودرويش ) :
اين .. اين .. اين ! .

**درويش** : ( يلتفت اليه ويواجهه ) في العالم يا سيدي .

**القاضي** : هنا براءتك ( يضرب على الملف ) وفي العالم .

**درويش** : العالم هو المذنب .

**القاضي** : .. اتأمر باعتقال العالم حتى نرى اذا كان مذنباً ام بريئاً؟ .. تريد أن نعتقل العالم !! ..

**درويش** : .. العالم ملاحق .. متهم .. مثقل بالذنوب . وهؤلاء (يشير الى المحققين) هؤلاء يطاردون الابرياء ويعتقلون البراءة .. ويعذبونها حتى يظل العالم ممتلئاً بالشر والاثم .

**القاضي** : درويش عز الدين .. انت تجدف وتضيف الى قائمة جرائمك جريمة لا تغتفر ...

**درويش** : لا يهم يا سيدي .. لا يهم اذا ازدادت ذنوبي واحداً .. ما الفرق بين ان اكون متهماً لمرة او مرتين أو مئات المرات ؟.. ما الفرق بعد أن تجلت لي الحقيقة الرائعة الباهرة !.. ما يهمني الآن هو أن أعرف .. وأن تعرف انت يا سيدي القاضي ويعرف البشر جميعاً أن كل هذا البناء الشامخ المتعالي الممتد من طرف الدنيا الى طرفها .. هذا البناء الضخم المتعـــالي الذي يسمونه العالم .. مستند على قشة .. تصور يا سيدي .. تصور عالماً كاملاً واسعاً بقدر سعة الدنيا واقفاً على قشة ..

**المحقق الاول**: .. ( في صوته البارد )لغة الثورة على العالم تجري في دمه ..

**المحقق الثاني**: ( في نفس الصوت ) الرغبة العارمة في تدمير العالم هي التي تنطق الآن بلسانه . .

**القاضي** : ( يقرع المنصة مرات متعددة ) العالم قاعد على قشة .. وأنت ستزيل القشة . .

**درويش** : اذا أزلتها انهار العالم .. انا أبحث عن خلاصه وليس عن تدميره ..

**القاضي** : .. ( يكاد يثب من خلف المنصة وينقض عليه ) هذه هي الحقيقة المتجلية .. العالم قاعد على قشة .. هذه هي الحقيقة التي تطلب أن ندفع ثمناً لها حياتنا ومباهجنا وأولادنا ونور عيوننا !!.. هذه هي الحقيقة أيها الكافر العربيد ..
( يهم المحققان بالكلام .. فيقرع المنصة غاضباً وهو لايكاد يعرف كيف يتماسك فوق كرسيه ) .. دعوه لي .. دعوه لي ..

**درويش** : .. هما المسؤولان ياسيدي عن كل ماحدث .. هما وحدهما المسؤولان .. ماذا كان شأني أنا بالحقيقة ؟ .. أنا لم أكن شيئاً ذا بال حتى جاءا الي وأخرجاني من غفلتي .. هما السبب .. هما السبب في هذه اللعنة التي اشتعلت فجأة في دمي وجعلتني أركض خلف الحقيقة ركض انسان يائس خلف حبل النجاة .. أوقعا بي كما اوقعت الحية بالمرأة .. وهكذا طارت من بين يدي غفلتي وبراءتي .. جرداني من كل رباط يصلني بالدنيا الغافلة فاذا بي اكتشف اني واقف على فراغ .. أسعى في فراغ .. جعلوني ادرك ان كل الأشياء الثابتة في أرجاء الدنيا انما هي قائمة حقيقة فوق قشة .. المنطق والحق والعدل والفضيلة .. كلها كرات ورق منفوخة كتلك التي يلهو بها الأولاد ما أن تضغط عليها بأنملك حتى تنفجر وتتطاير بددا..

**القاضي** : ( يقوم ويقعد على كرسيه .. ) يارب السموات .. ( الى المحقق الثاني ) أعطني حبة .. بل حبتين ( يناوله الحبتين فيبلعهما ) .. قيم الدنيا كلها لعب أطفال .. ( يغص بريقه غضبا ) ..

**درويش** : ( يمضي قدماً وقد اكتسحته شجاعة لاتوصف هي أشبه بسورة الخبل ) أوصلني اليها الحقيقة وحدها ياسيدي .. كان ذلك خاتمة المطاف .. بدأت الحقيقة تتكشف من خلال التحقيق .. هذان هما المسؤولان ( يشير اليهما ) .. تصور ياسيدي كيف جرى ماجرى .. انفجر كل شيء من قلب نقطة صغيرة علقنا فيها نحن الثلاثة .. هذان وانا .. هما كانا يريدان واحداً من الدراويش المتآمرين ذوي الخطر .. الدرويش اسمه كذا .. وأنا اسمي كذا .. واحد متآمر خطر وآخر بريء ساذج .. نقطة الالتباس كانت في الاسم ، مجرد الاسم ، مجرد الاسم ثم توسعت ..وتوسعت..وتوسعت

حتى تملك الدنيا بكل مافيها .. قلباني بقوة الاقناع التي يملكانها الى النقيض .. صرت درويشاً الآخر واقفل المحققان الموضوع .. تجمعناني النقطة ولكن النقطة تسللت الى قلبي كما يتسلل جرثوم .. ساعتها بدأ الهم ياسيدي القاضي ولم ينته بعد .. اذا كنت أنا قد انقلبت من شيء الى شيء فما الذي يجعل الأشياء الأخرى تبقى ثابتة .. الحقيقة اصبحت وهما، والوهم غدا حقيقة، صار ما لايصير ، وغير الممكن أصبح ممكنا.. آه .. آه ياسيدي القاضي .. أليس كل ما يمكن أن يقلب مرة يمكن ان يقلب مرتين وثلاث ومئات المرات .. ومن يومها ياسيدي اختلط الحابل بالنابل .. السذاجة مع الشطارة .. والغفلة مع الذكاء والعقل مع الجنون والمنطق مع الهوس .. تبادلت القيم اماكنها .. واختلط الحق مع الكذب والفضيلة مع الرذيلة والخطيئة مع الطهارة ..

وهكذا انهمر فوق رأس هذا الدرويش المسكين سيل لاينتهي من التناقضات .. أصبح هو في ذاته محفلا للتناقض .. رجل له اسمان وبيتان وزوجتان وعدد متضارب من الأولاد .. هذا الرجل أصبح مسؤولا وغير مسؤول .. مذنبا وبريئا .. ساذجا وذكيا .. مسالما ومتمرداً ... ماذا كان في وسع هذا الرجل أن يفعل ؟.. سألتك الله ياسيدي ماذا كان في وسعه أن يفعل ؟ .. يجن ؟ ..



**القاضي** : ( مرددا بالية خلفه ) يجن ..

**درويش** : .. أو يضيء نور الحقيقة عقله .. أنا أضاء نور الحقيقة عقلي..

**القاضي** : ( مرتدا الى الخلف .. ) هكذا !!

**درويش** : .. هكذا ياسيدي .. أضاء نور الحقيقة عقلي وعرفت أن العالم مشوشا.. موصوما .. مهتزاً .. قائما على قشة ، وهذان الرجلان هما المسؤولان.. ( يشير الى المحققين ) . ( يهم المحققان بالتدخل .. فيتدخل القاضي ويقرع المنصة ) .
هما المسؤولان عن خراب العالم !! .. اذا استمرا في الجري وراء العالم... اذا استمرا في تعقبه ، فسوف ينفض بكل مافيه على رؤوس البشر المساكين ..

**القاضي** : ( يمسح على وجهه ، يتطلع في درويش ثم في المحققين .. يقلب الملف بين

يديه دون وعي .. ) أنت لست المعني اذن ...

**درويش** : لا ...

**القاضي** : أنت بريء ...

**درويش** : كنت ياسيدي .. كنت قبل أن يلحقا بي ..

**القاضي** : بريء أم مذنب ؟ .. أجب ..

**درويش** : لست بريئاً ولامذنباً . أنا متضامن مع العالم ..

**القاضي** : ( يخرج تنهدة أخرى .. ينحني فوق المنصة ) درويش عز الدين .. العالم ليس جماعة ولاحزبا ولاعصابة ولافريقا .. العالم هو العالم وانت هو أنت .. أجبني في كلمة .. مذنب أم غير مذنب .. ؟

**درويش** : ... ( يتقدم من المنصة ويرفع وجهه حتى يكاد يتلاصق مع وجه القاضي ) سيدي القاضي ... العالم مهدد بكارثة ... سوف ينتقض بناؤه بين يوم وآخر .. سيدي القاضي يجب أن تتدخل ...

**القاضي** : ( وجهه مواجه لوجه درويش ) هل نأتي بالعالم مغلول اليدين فيمثل امام المحكمة ؟..

**درويش** : صدقني سيفعلان ذلك بين يوم ويوم . سيجران العالم موثق اليدين مكبلا بالاغلال ليمثل امامك .. سيطاردان كل المغفلين والابرياء وذوي القلوب الطيبة . سيسحقان كل القيم الشامخة التي تتراءى لنا صلبة راسخة ... سيسحقانها بين أيديهم كحبة بندق .. سيدي سيساق العالم كله الى المحاكمة انظر وانتظر ...

**القاضي** : ( يرتد الى الوراء ) انتظر انت . سنلتقي العالم ومحاكمك .. لن أدينك قط بسبب هذه الجريمة الموصوفة هنا ( يخبط على الملف ) .. تلك قضية بسيطة اذا ماقورنت بتجديفك في حق العالم .. نحن سنصدر حكمنا عليك بفصلك من العالم .. أنت لا تستحقه .. العالم فاضل .. وصلب .. متماسك .. حقيقي في نظر كل البشر ... فاذا رأيت فيه نقيض ما يرى البشر استحقت عليك لعنته ...

**درويش** : ( ما يزال واقفاً أمامه ) تدينني لأني رأيت الحقيقة وكشفتها أمامك ؟...

**القاضي** : بل لأنك ممتلىء حتى قمة رأسك بالخطيئة والتجديف والكفر بالعالم ... ( يدق على المنصة ) الحكم ...
( يميل المحققان على القاضي ويهمسان له . . . يتفكر لحظة ثم يهز رأسه موافقاً ) .
حقاً .. حقاً ... ما شأن العالم بكل هذا . . . ( الى درويش ) تريد لو تصبح قديساً .. شهيداً .. بطلا .. لا .. نحن لن تمكنك من ذلك ...

**درويش** : . . . ( مذعوراً ) سيدي .. سيدي .. انا لا اريد شهادة . . . أنا أريد تحرير العالم ...

**القاضي** : (يتقدم فيواجهه) أما نحن فنريد تحقيق العدالة والاقتصاص من الخارجين على القانون والسلامة العامـــة .. نريدك أنت بالتخصيص . . درويش عز الدين المتآمر ..

**درويش** : اي درويش يا سيدي ... ؟

**القاضي** : ( يمد أصبعه في وجهه ) أنت .. درويش عز الدين صاحب القضية ذات الرقم خمسة خمسة خمسة خمسة ( يقرأ الأرقام هكذا .. ويرتد الى الخلف )

**درويش** : ( يستبد به الذعر ) سيدي .. سيدي .. انها يضللانك . . ( يشير الى الرجلين ) سوف يصلتان سيفك على رقاب كل المساكين والدراويش .. سوف يسوقان الابرياء اليك واحداً اثر الآخر لتقضي فيهم حكمك ... ستدين الكل وليس واحداً .. اقتلني انا . . . اقتل درويشا بعينه . . اقتلني بتهمة التجديف .. بأية جريمة تشأ الا هذه الجريمة المدونة امامك .. أرجوك لا تدينني باسم الرجل .. هذه خديعة يا سيدي القاضي . . . اذا قبلتها مرة فلن يمكنك التراجع في المستقبل ... ستنقلب محكمتك الى مجزرة للابرياء والطيبين والدراويش ...

**المحقق الأول** : ( في صوت بارد ) الجريمة واضحة والجزاء قريب ...

**المحقق الثاني** : ( في صوت بارد ) ... الجريمة لا تنفع احدا . . . فالعقاب ماثل في الوصيد . . .

**درويش** : ( يمسك بكلتا يديه طرف المنصة )

أوقفها يا سيدي .. عطل سلطتها يا سيدي قبل ان تستفحل الخطيئة ويعم الظلام وتختلط الدنيا .. هذان هما أداة الشر .. هما الوسيلة لتمريغ العالم في الاثم والزيف ... أوقفها باسم الحقيقة .. اجهز بهما وجهيها وانشرها على الملأ كالراية الخفاقة في جيش منتصر .. انزع قناعيهايا سيدي.. ليبصر الكل ما هو خاف تحتها من الكذب والجريمة .. مزق قناعيها ياسيدي .. مزقها واتركها عاريين .. خلقين مشوهين تحت وهج النور المتدفق .. افعل يا سيدي .. افعل ...

( القاضي ينحني الى امام ويتراجع وهو يخرج انفاساً عميقة متلاحقة ودرويش يتوسل اليه متضرعاً .. منفعلا في سورة من اليأس والحماسة والتوقد ... يهم عدة مرات بمقاطعة درويش ولكن انفاسه المتلاحقة لا تسعفه .. يستجمع قواه اخيراً فيخبط على المنصة )

**القاضي** : درويش .. درويش .. استمع الى حكمي ...

( يهم درويش بالكلام فيقرع القاضي المنصة )

استمع الى حكمي .. استمع الى حكمي ..

( درويش يتراجع ويقف حيث كان وانظاره معلقة بشفتي القاضي ) .

**القاضي** : درويش عز الدين حكمت عليك المحكمة .. ( يغص بالكلام فيرع اليه المحققان جزعين غاية الجزع ... يحاولان استطلاع ماهو مقدم على النطق به في خشية وترقب )

درويش عز الدين حكمت المحكمة ( يغص مرة اخرى ) حكمت عليك المحكمة بالادانة .... ( يتوقف ) للمرة الأخيرة .. للمرة الأخيرة تمنحك المحكمة فرصة للاعتراف بالذنب واعلان التوبة .. قبل ان تصدر حكم الادانة . . .

**درويش** : ( يبدأ هدوءاً غريباً بعد فورانه السابق بحيث يعطي انطباعاً بالجبل الحقيقي ، هو هدوء اولئك الذين تحركهم أهواء وأحاسيس وانفعالات عمياء تفور فجأة وتهدأ فجأة ) : من هو موضوع الادانة .. ؟

**القاضي** : درويش عز الدين أنت هو موضوع الادانة ... انت الرجل المتآمر الخارج على القانون ..

**درويش** : اذا قبلت حكمك راضيا مختارا فهل تغير موضوعه ؟

القاضي : ( يبذل جهداً متواصلاً ليحتفظ بهدوئه وتوازنه ) إذا اعترفت بذنبك وأشهرت التوبة .. أمكن للمحكمة بحث الأسباب التخفيفية ..

درويش : ( ما يزال محتفظاً بهدوئه العاصف ) : سيدي .. لماذا ترفض أن تقتص من واحد بعينه .. واحد مخصوص ومجزوء من العالم .. لماذا تريد الكل ؟ ..

القاضي : ( متجاهلاً اشاراته .. يريد أن يمنحه فرصة ) : إذا أعلنت التوبة فالمحكمة ..

درويش : ( يقاطعه ) تفضل ياسيدي أن تشارك في هذه اللعبة القديمة المتجددة .. تؤثر سكيناً من سكاكين الجلادين على أن ترفع راية النور المتألقة ... ( يتطلع اليه طويلاً ) سوف تستمر اللعبة اذن .. والمجزرة تظل قائمة في أول القطيع وآخره ..

القاضي : ( عذراً ) للمرة الأخيرة ...

درويش : ( لا يأبه له ) تريدون جميع الأرواح .. حسناً .. حسناً ياسيدي القاضي .. على كل امرىء أن يتلمس طريقاً لنفسه .. ما زال هناك بصيص من النور يترقرق في جوانب هذا السرداب الملتف ... هذان الخفاشان ( يشير الى المحققين بذراعيه واحدة الى يسار وأخرى الى يمين ) هذان الخفاشان سيستمران في اصطياد ذوي الغفلة والبراءة .... اولئك الذين يتعمون متبلدين في غبطة العماوة والجهل ... ( الى القاضي ) ياسيدي القاضي .. انطق بالحكم ... أنا رأيت بأم عيني شمس الحقيقة عارية .. الشمس في الخارج ياسيدي القاضي .. الشمس تتوهج في الخارج بقود اليها البصيص الخافت .. انطق بالحكم . أنا مذنب ولست نادماً ...

القاضي : ( يأخذ نفساً عميقاً ) درويش عز الدين ( في صوت مبحوح ) : حكمت عليك المحكمة بالموت .. ( تتردد كلمة الموت في جنبات المسرح ، في صوت مدو ) :

درويش : ( يصرخ بأعلى صوته ) :

الموت لدرويش .. الموت لدرويش التاجر والمعلم والعامل والفلاح والكبير والصغير ... الموت لجميع الدراويش على هذه الأرض البائسة ...

( ينسحب الضوء من حيث يقف درويش ويركز على القاضي .. وتعم الظلمة أرجاء المسرح .يبدو القاضي وهو ينهض ثقيلا .. متعبا .. متهالكا.. محني الظهر .. ما أن يخطو خطوة حتى يتعثر ويكاد يقع فيهرع اليه الحققان ولا نرى في دائرة النور الا أذرعهم ممتدة اليه .. تشيله وتجره الى الخارج جرا ..

يختفي القاضي والحققان والرجل الثالث يعود الضوء فيسلط على درويش وهو واقف في منتصف المسرح مفتوح الذراعين الى مداهما )

درويش : سقط الموت الآثم على العالم كرداء أسود .. يسبي أنا .. بسبب براءتي أدين العالم ومرغت جبهته بالتراب ... قلت لها .. قلت للمحكمة اقتصي مني واطلقي سراح العالم .. ناشدتها .. ارفعي راية الحقيقة خفاقة .. اليك هي انشريها كنور الشمس الوهاج ... غطى الخفاشان وجه المحكمة فلم تبصر وظلت راية الحقيقة مطوية ...

( يدور في أرجاء المسرح ثم يقف فلاحقه هالة النور ) .

ياعيني الفولاذيتين ( يمسح على عينيه ) ما جدوى ابصاركما ياعيني ... ياقلبي ... ( يدق على صدره ) ماجدوى معاناتك .. يادموعي المتيبسة ( يتلمس دموعه ) ما الجدوى .. ما الجدوى ... المجزرة قائمة ولن تنفذ القطيع رقيق ...



( يسقط على ركبتيه ويخفي وجهه المقنع بين كفيه وجسده يهتز من البكاء ... من خلال كفيه ) واحد لا يكفي ...

( تمضي فترة ... ينهض ويتنقل بين أرجاء المسرح متعبا .. منهدا يجر رجليه جراً ... يعود فيتوقف .. يمسح على وجهه وصدره ويضم ذراعيه معاً ثم يفردهما .. ثم يعود الى الدوران )

ياشمس الحقيقة .. ياشمس الحقيقة .. ما جدوى أن تتقدي في قلبي وتتوهجي في عيني . تعرفين يقينا يا شمس الحقيقة أن واحداً لا يكفي .. العالم مكان واسع رحيب .

( يدوي صوت في أرجاء المسرح ) : الموت لدرويش فقد عرف .

درويش : ( يتوقف ) غالية أنت ياشمس الحقيقة .. غالية .. غالية غلو الروح ..

الصوت : ( يردد مرة ثانية ) الموت لدرويش .

درويش : أنت ستبقين ياشمس الحقيقة .. متألقة .. متلألأة بالنور .. أنت منبثة في كل الدنيا .. ماترتفع غماوة الغفلة الا عن عين رأتك...ما رأتك عين ياشمس الحقيقة الا وامتلأت بك كما تمتلىء الأرض بالنور ...

( يسمع في الظلام صوت فتح الباب الحديدي ... درويش يتلفت )

الصوت : ( يردد مرة ثالثة ) الموت لدرويش .

درويش : لوتبصرك عيون جميع البشر ... لن يذهب قتلي عبثا ...

( يدور على أعقابه ويمشي في اتجاه الباب ، يلاحقه النور في خط طويل .. ما أن يبلغ درويش الباب حتى تمتد ذراعان من الخارج وتسحبانه .. ويسدل ستار المشهد الأخير )

# وحده ضدّ المدينة

مسرحية في فصل واحد

وليد إخلاصي



**المكان** : بيت فقير في حي مزدحم من أحياء مدينة عربية

**الزمان** : مساء يوم صيفي

**الشخوص :**

**الرجل العجوز** : صاحب البيت ـ يعمل في اصلاح الأدوات الصحية

**الزوجة** : امرأة بسيطة

**أحمد** : المخبر ـ صديق العائلة

**كمال** : ابن الرجل العجوز

**الذيب** : المجرم الهارب

# ملاحظات أولية من أجل التنفيذ

## البيئة والشخصيات :

تراعى البيئة الشعبية في تصميم المشهد .

ان الأبعاد الثلاثة للشخوص واضحة ، من فيزيولوجية واجتماعية ونفسية ، واضحة لدرجة تقربنا من المذهب الواقعي .

ان سلبية « الزوجة » أصيلة وليست لحدث معين في المسرحية . تمرد « الديب » يشوبه الانهاك الجسدي مما يعطي نوعاً من البطء في العمل المسرحي ، الا أن الحيوية العقلية عنده لا بد أن تغطي ذلك النقص . تراعى في شخصية « الابن » حدة التوتر الذي لم ينضج بعد . اما « الخير » فهو نقيض قوي للديب ، يظهر فيه التصميم المادي واضحاً، واذ يجب الاحساس بثقله على المسرح، يجب التستر على هويته الحقيقية. يلعب «العجوز» دور التوازن بين شخوص المسرحية ، الا أن ايمانه الكبير بالغيبيات لا يمنع من ظهور المستتر في تصرفاته . يبدو انه رجل عادي الا انه وابنه كمال لا يقفان موقف الشخوص الثانوية من المسرحية ، حيث أن التناقض بين نمطي حياتهما يشكل تياراً واضحاً في الفكرة المسرحية .

## الأنوار :

لها مكان الرمز الواضح من العمل المسرحي ، يراعى مسقطها على الاشياء والشخوص، وكذلك توقيتها في الدخول الى المسرح . هناك نوعان من الاضاءة : الداخلية والخارجية ، الا أن الأهمية تبقى للأنوار الخارجية .

## الموسيقى :

قد يكون للموسيقى أهمية في التعبير ، الا أنه من الأفضل استعمال آلة واحدة ، نفخ او وترية ، تستعمل كمساعد لتوضيح التوتر الداخلي عند الشخوص المسرحية .

## المنظر :

غرفة المعيشة والنوم في بيت الرجل العجوز . طابع الفقر يسود المكان ويشترك مع لمبة الكاز في اعطاء الجو نوعاً من الهدوء والسكينة ، تمزقها من آن لآخر وحتى نهاية المسرحية ، أنوار تخترق النافذتين المطلتين على الشارع والكائنتين في صدر المكان .

باب على اليمين يؤدي الى الحي ، وآخر على الشمال يؤدي الى غرفة الابن والمطبخ .

سرير نحاسي قديم في الركن الأيسر ، وخزانة الى جانب مائدة طعام في الركن الأيمن قرب باب الخروج .

لمبة الكاز بين النافذتين . كرسي قديم تفصله مائدة منخفضة عن كرسي صغير عادي . بعض الآيات وصورة الكعبة معلقة على الحيطان .



عندما تنفرج الستارة عن المنظر ، يكون العجوز مازال في لباس العمل الأزرق وزوجته في لباس البيت يتساقيان الشاي .

## ( المشهد الاول )

**العجوز** : ( ضاحكاً وكأنه يتذكر امراً ) وعندما ضربت الباب بيدي خرجت سيدة جميلة من وراء الباب . آه ! والله جميلة ( لاتبدي زوجه أية ملاحظة ) وأميرة ؟ وقد ظننت لأول وهلة عندما رأيتها انها اصيبت في أحد أولادها لكثرة الفزع الذي تجمع على وجهها ، آه والله الفزع ، حتى انني خفت ان تتهمني بأنني سبب المصيبة وهي تصيح « السفاح .. السفاح » وقلت لها أنا السنكري ، ولكنها لم تستمع الي ، بل جعلت تصرخ « النجدة .. النجدة » وحسبت انها تظنني السفاح ففكرت في الهرب ، ولكنني فهمت بعد ذلك ان المجرم كان يحدثها بالتلفون ويرجوها ان تعد له مالا والا كان الموت مصيرها . . اي نعم ، يرجوها .

**الزوجة** : ( بدون تعليق ) اشرب الشاي ، قبل أن يبرد .

**العجوز** : ( متناولاً فنجانه ) وقد طلبت الشرطة بعد ذلك ، والمهم اني لم اقم بتصليح الحمام . وكان ذهابي بلا فائدة .. اي والله بلا فائدة .

**الزوجة** : وهل قبضوا عليه ؟ ( بعد قليل ) برد الشاي .

**العجوز** : ( متناولا الجريدة من على الطاولة ومشيراً اليها بيده ) ليس بعد . انه يقف منهم كالثعلب الماكر ، اسمه الذيب ، لقد رصدوا مبلغا كبيرا لمن يرشد عنه او يقبض عليه ، عشرة آلاف كاملة . تصوري عشرة آلاف دفعة يا سلام ؟ ( يضرب بيده على فخذه ) .

**الزوجة** : ( تتناول الصوف من قربها ) هل صحيح ما يقال انه قتل اربعين نفسا ؟

العجوز : اربعون ؟ لا .. لا اظن ، يعملون من الحبة قبة ( متفلسفا ) اعتقد ان كل جرائمه دفاع عن النفس ، مسكين ؟

الزوجة : ولكن لم يقتل ؟ والقتل حرام .

العجوز : الخوف .

الزوجة : الخوف ( تسرع بحركات يديها وكأنها تتوقع شرا ) ماذا لو حضر هنا يا معلم ؟

العجوز : ( ضاحكا ) اهلاوسهلا ( تقوم الزوجة بحركات تدل على الخوف يضحك لها العجوز ) تخافين اكثر منه، الانسان لا يخاف الا من ذنوبه ( تسمع اصوات سيارة من الخارج ، الانوار تدخل من النافذة ) لم نخاف ونحن لم نرتكب ذنبا نعاقب عليه ( بضيق ) هذه السيارات والاضواء والضجة اللعنة .. اللعنة احس بها وكأنها تثقب ظهري وتسبب لي الحمى ، اللعنة .. اللعنة .

الزوجة : ( متحسرة ) لو كانت لدينا ستائر محبكة ؟

العجوز : وما نفع الستائر .. آه لو استطعنا أن نغير هـذا البيت ؟ نبصق عليه ونذهب .

الزوجة : معلم .. ( يستدير اليها بدون كلام ) ترى هل سيقبضون عليه ؟

العجوز : طبعا لكل جريمة قصاص ، السن بالسن .

الزوجة : مسكين .. كيف حال امه واهله الآن ؟

العجوز : لكل امرىء بلواه ، الحمد لله الذي يبعد عنا كل مكروه .

الزوجة : ( تستوي واقفة وهي تجمع الفناجين ) ولكن لم يهدد تلك المرأة بالتلفون من غير ان يعرفها ؟

العجوز : ( يحك ذقنه دليل العارف ببواطن الامور ) والله يا حاجة لي رأي في هذا الموضوع ، ستقولين ما هو ، اعرف انه خطير ( يميل على زوجته )

اظن انه لم يفعل ،هناك كثيرون يستغلون ظروفه ، يسرقون باسمه ويقتلون باسمه ، فرصة طيبة يصفي الناس فيها الحساب مع الآخرين ( ناظرا في وجهها اثر كلامه ) .

**الزوجة** : ( في استغراب ) مسكين ظلموه .

**العجوز** : ( في استدراك ) لا .. ليس معنى مـا أقول انه بريء ، من يدري ، لو انه ذهب يوما الى المدرسة ، ولم تجبره الظروف على ارتكاب كل تلك الأغلاط والآثام ، من يدري ما الذي كانه الآن ، انه ذكي لا محالة .

**الزوجة** : ( تكون قد مشت الى المائـدة وبدأت تلقي النظر على الطعام ) تأخر كمال .

**العجوز** : ( يعود الى الجريدة ) ذهب لاصلاح انابيب المياه في مركز الشرطة ( صمت قصير ) سيعود بعد قليل ، لا تخافي عليه .

**الزوجة** : وهل مازلتما متخاصمين ؟

**العجوز** : ( في غضب رامياً الجريدة من يده ) وهل تريدين مني ان اصالحه ؟ أنا أقبل يده ؟ هات يدك يا كمال ، ارجوك سامح هذا العجوز .

**الزوجة** : كمال ابنك ، وهو صغير ومتهور ، سامحه يا معلم ( الاضواء تدخل الغرفة ، صوت جلبة من الخارج . )

**العجوز** : يسبني ويهينني أمام الناس ، وتريدين مني ان اسامحه ؟

**الزوجة** : كمال ولد صغير ( تعود الى مكانها ) .

**العجوز** : ( في ثورة ) صغير صغير ، عمره خمس وعشرون سنة ، ربع قرن ، كالبغل !عندما كنت في مثل سنه اعلت أسرة فيها تسعة افراد . لم اتأفف ، ولم اتذمر . ( في هدوء ) يعتقد اني اخفي مالا وهو يريدأن يتزوج به ، هل اخفي مالا ؟

الزوجة : ولكننا لا نملك مالا يا معلم .

العجوز : اذن افهميه اننا فقراء ، اذا لم نعمل يوما لن نجد طعاما

الزوجة : مهما يكن ، يجب ان نتصالحا

العجوز : ( مستطردا ) عندما تزوجتك ، لم اطلب من احـــد مالا ولا من والدي ، لسبب واحد هو أنه كان قد مات ولم يخلف لنا شيئا. وسعيت انا وكافحت لاحصل على مهرك ، وتزوجتك . تزوجتك من عرق جبيني .

الزوجة : ايام زمان كان الحال يختلف

العجوز : هل تعتقدين يا امرأة ان الفقر قد تغير، ما زلنا فقراء ، الاتعتقدين اني غير متألم لحالته ، شاب ويريد الزواج ، من حقـه أن يعيش كما يعيش الناس ، ولكنه لا يملك مالا كافيا وتلك هي المشكلة .

الزوجة : الله يرزق من يشاء ، سامحه يا معلم .

العجوز : لن افعل حتى يأتي ويطالب مني الغفران ( الانوار الخارجية تسبب ضيقا للعجوز وصوت يأتيه )



الصوت : معلم .. معلم ( يتجه العجوز نحو النافذة ليطل برأسه والزوجة تتبعه )

العجوز : من هناك ؟

الصوت : اقفل أبوابك جيدا ، يقولون ان السفاح مختبىء في هذه الناحية .

العجوز : ( يرتد الى الداخل ) كل البيوت عدا بيتي لن يجد فيه شيئا يسرق . اشكال الرجـال عجيبة كالكلاب البوليسية المتحفزة للعض . الف رجل ضد واحد ، يا للشجاعة ( الصوت في الخـارج يرده : السفاح السفاح ... ثم يغيب )

الزوجة : ( في خوف ) تأخر كمال يا معلم .

العجوز : هل انت خائفة عليه من المجرم ؟

الزوجة : برد الأكل ..

العجوز : لا .. بل انت تخافين عليه ( بشدة ) ولكنه رجل يا امرأة ، كأي رجل قوي ويجب ان تخافي على المجرم منه ، بقبضة واحدة هكذا (مشيراً بقبضته) ثم يقضي عليه .

الزوجة : ولكنه مسلح ، المجرم مسلح اليس كذلك ؟

العجوز : لا شك في انه مسلح واين قوته اذن ؟ ( يعود الى كرسيه )

الزوجة : هل يقتل كل الناس الذين يراهم ؟

العجوز : ( بسخرية) نعم .. كلهم هكذا بلا رحمة ( ضاحكا ) انا استغرب ، هذه المدينة كلها تخاف منه ، كأنه القصاص الالهي .

الزوجة : لا بد انه قاتل .

العجوز : بودي لو قابلت هذا الذي يقولون عنه السفاح ، المجرم الرهيب ، أخطر رجل على أمن الدولة ، بودي لو قابلته .

الزوجة : لاتذكر الشياطين تحضر .



العجوز : ( يستوي في جلسته ) هل تعلمين شيئاً يا أمرأة ، عشرة آلاف مبلغ محترم ، آه والله مبلغ محترم ، وتفعل المستحيل ( تعود الزوجة الى مكانها ، تغمر الغرفة أنوار خارجية ) نزوج كمال ونستريح منــــه ، وندخل الكهرباء الى المنزل وندفع مقدماً اجرة سنة عن البيت ، لا ، قد نغير البيت كله ، بيت أكثر راحة لاتتسلل الأنوار اليه في كل لحظة .

الزوجة : أفضل حارتنا ، ولدنا وعشنا فيها ،وسنموت فيهاأيضاً .

العجوز : وقد أشتري لنفسي بدلة لطيفة اذهب بها الى صلاة الجمعة .

الزوجة : يلزمنا للمطبخ أشياء كثيرة .

العجوز : مايلزمنا لاتكفيه مكافأة واحدة ، أكثر من مجرم نقبض عليه يلزمنا ، ثم إنك يا امرأة تمني أشياء لا قيمة ( أصوات سيارات وجلبة خارجية يظهر الضيق على العجوز ) كاراج .. آه والله كاراج ، ليت لنا بيت أكبر لاتمر به سيارة . يارب هذه هي أمنيتي الوحيدة في حيـــاتي ، يارب هل هي أمنية كبيرة ؟

الزوجة : هل تعتقد أن من يقبض على المجرم يأخذ المبلغ كاملاً ؟

العجوز : دون شك .

الزوجة : ( باهتمام ) وهل تستطيع أن تقبض عليه يامعلم ؟

العجوز : ( ضاحكاً ) لم أفكر في ذلك ، حتى ولو استطعت فلن أفعل .

الزوجة : ولكنه مجرم وقاتل ، أنت تقول والكل يقول

العجوز : هكذا يقولون ، قد نصدقهم وقد لانفعل ، ولكني لست بالحكومة أو العدالة يا امرأة . الله وحده يقتص من عبده .

( فترة صمت بين الزوجين تتخللها ضجة من الخارج )



الزوجة : كفانا الله شره ( بخوف ) انه في الحارة وقد يدخل أي بيت .

العجوز : لن يأكل أحداً . لاتظني أنه وحش بأنياب ، حتماً هو انسان مثلنا . ما أصبح مجرماً هكذا بدون سبب . ثم ما الذي يريده منا ؟ مالاً لانملك مالاً . أرواحنا اولم يرتكب جريمة قتل لامبرر لها . أنا لست بخائف منه ، ولم أخاف ؟ وأنت .

الزوجة : ( بعد سماع ضجة خارجية ) خائفة .. والله خائفة

العجوز : هيا اشعلي لي سيجارة واحكي لنا عن آخر أخبار الجيران

الزوجة : ( فيما تشعل لزوجها سيجارة ) هل تعتقد يامعلم أن كمال يستطيـــع الزواج ؟

العجوز : ( مسترخيا ) مثلما تزوجت أنا وباقي الخلق

الزوجة : ولكنك قدمت لي مهراً ، وكنت تملك مالا

( يسود المنظر جو من القلق السريع سرعان مايزول )

العجوز : ( ضحكة قصيرة ) هل تظنين ذلك ؟ آه نعم كان معي المال لأطلبك من والديك ، اشتغلت بكد وجد . نعم . أرهقت نفسي بالعمل حتى استطعت أن آتي بالمال اللازم الزواج ، على المرء أن يتزوج ، أمرنا الرسول بالزواج ، على الرجال أن يتزوجوا ، وان لم يستطيعوا فعليهم أن يجنالوا على الظروف ، هكذا فعلت ( صمت عام ، ثم هو متسائلا ) ترى هل نستطيع النوم في مثل هذا اليوم المتعب ! ( يقومان بحركات تدل على أن الجو حار ) ليالي الصيف محرقة ، ولا نستطيع أن نفتح النوافذ ( يستوي واقفا ثم يخلع ملابسه ثم يتوقف ويتجه الى النافذة ) لنفرض أننا فتحنا هذه النافذة فستدخل جميع الحشرات وأنواع التراب وكل ما أكره من أنواع الضجيج ( تسمع طرقات سريعة على الباب ، الجو العام للمسرح يسوده الذعر )

الزوجة : ( في ذعر وهي تتراجع ) معلم ، الباب يضرب

العجوز : افتحيه اذن ، لم تقفين هكذا كالمسلوبة ؟

الزوجة : قد يكون المجرم ؟

العجوز : ( بضيق وضجر ) المجرم .. المجرم . اذا أراد أن يشرفنا بزيارته فلن يطرق الباب ، هيا افتحي .. افتحي

الزوجة : ( مترددة ) ولكن ...

العجوز : ولكن .. ولكن ، انه يدخل دون استئذان اذهبي وافتحي يا امرأة قبل أن أغضب ( تذهب الزوجة وتعود بعد قليل ومن ورائها أحد صديق العائلة ) .

## ( المشهد الثاني )

( يدخل أحمد ببطء فيا يمسح عرقه بمنديل ويجلس على كرسي تحضره الزوجة )

**احمد** : مساء الخير يامعلم

**العجوز** : أهلاً .. أهلا أحمد ، تفضل

**الزوجة** : لقد أخفتنا

**احمد** : أزعجتكم قليلا ، الأعصاب متوترة في هذه الليلة

**العجوز** : اجلس لنتكلم قليلا ، يبدو لي أني لن أستطيع النوم في هذه الليلة المحرقة

**احمد** : ( جالساً وهو يمسح العرق بمنديله ) الجو حار ، أحس بالاختناق في هذه الليلة الكئيبة ( الزوجة على المائدة الجانبية تبدو وكأنها تعد شيئاً لضيفها )



**العجوز** : ( ضاحكا ) يظهر أن لديكم عملا هاماً ، عشرة آلاف ، هه ؟

**احمد** : ( يقوم من على كرسيه ويمشي حتى النافذة ويطل منها ) لقد بدأت أكره عمل الشرطة والمخبرين والجري وراء المجرمين لاقتناصهم ، أظنني سأستطيع النوم بعد أن ننتهي من هذا الشقي الهارب ( التعب واضح على وجهه ، يعود إلى كرسيه )

**العجوز** : هيا حدثنا عن حكاية هذا المجرم الذي أتعب المدينة ، عندك جميع الأخبار .

**احمد** : ليس هناك شيء جديد ، ككل حكاية ، يصبح الانسان مجرماً ثم يطارد ليقع في قبضة العدالة .

العجوز : ولم أصبح مجرماً ؟ لم .. هنا الحكاية يابني

احمد : شاب تأصلت في نفسه الجريمة

العجوز : ( مقاطعا ) هل تعرفه ؟

احمد : ( بعد لحظة سكون ) لا .. لا أعرفه ، ولكني أريد أن أنتهي منه بأية طريقة

العجوز : لتقبض المكافأة ؟

احمد : لاتهمني المكافأة

العجوز : وما الذي يهمك اذن ؟

احمد : ( بثورة ) لايهمني شيء (باستسلام) يهمني أن أنام .

العجوز : ( مداعبا ) حرمك النوم أيضاً يبدو انه مجرم متعب حقيقة .

احمد : ذكي ومجنون أيضاً ، يريد الانتقام من الناس جميعاً ، ولكننا اليوم ضيقنا الخناق عليه وقد حصرنا مكانه في هذا الحي ( في تصميم وتعب ) سنقضي اليوم عليه لامحالة ( فترة صمت ) .



العجوز : انت تتكلم يا احمد وفي لهجتك رنة الثأر ، أتضمر له حقداً شخصياً ؟

احمد : ( باضطراب ) من الذي اضمر له الحقد ؟

العجوز : الهارب ؟

احمد : ثأر ( متضاحكاً ) وما الذي يدعوني لمعرفة امثال هذا المجرم العريق ( يعود مرة اخرى الى القيام والاتجاه الى النافذة ليطل منها وهو يتحسس مسدسه ) سنقضي عليه اليوم ، انه رجل متعب .

العجوز : ( في مرح ) انت الذي اخترت هذه المهنة ، هيا تعال واسترح .

احمد : لن أستطيع الاحساس بالراحة ، أمامي عمل شاق ، اليوم سنضع

حداً لهذه الجرائم البشعة ( يعود الى قرب العجوز ) جئت انبهكم ، قد يأوي الى أي بيت في هذا الحي .

العجوز : ( معترضاً قوله ) أنت تخاف علينا منه ؟

الزوجة : ( من مكانها قرب المائدة متشاغلة بأشياء في يدها ) نعم : يجب أن نحترس منه ، هو مجرم .

احمد : اذا دخل بيتكم فما عليكم إلا أن تصرخوا وستجدون الشرطة عندكم في أقل من دقائق .

العجوز : نكون فيها قد انتهينا .

احمد : سأكون مستعداً بالقرب من هنا ، واقفاً انتظر الاشارة ،لقداخبرنا أهل الحي كلهم ليكونوا على حذر شديد ، عليكم أن تقوموا بدوركم في الامساك به .

العجوز : الفار الخطير !

احمد : أي فار ؟

العجوز : انه سيقع بين أيدينا كالفار ، انه خطير أليس كذلك ؟

الزوجة : ليت كالاً يعود الآن ؟

احمد : انه قاس وشرير ولا يتورع عن قتل النساء والأطفال ( تشهق الزوجة خوفاً ) .

العجوز : اذن ستنتهون منه الليلة أليس كذلك ؟

احمد : أرجو أن ننتهي منه الآن .

العجوز : ( يتطلع الى الجريدة ) صورته غير واضحة .

احمد : له الف وجه ، ولكني اعرفه ولو كان بعيداً عني بالف متر .

العجوز : انت تعرفه اذن ؟

احمد : درست جميع صوره ، وتعرفت على سلوكه في كل جرائمه ، لذا فأنا أعرفه أكثر من غيري

العجوز : يهتم به اهتماماً خاصاً ( مداعبا ) من أجل المكافأة أليس كذلك ؟

احمد : أكره الذين يروعون أمن الناس .

( فترة صمت تتخللها الأنوار والضجة الخارجية )

العجوز : هل صحيح انكم ستعطون المبلغ كاملا لمن يرشد عنه أو يقبض عليه ؟

احمد : دون شك ، عشرة آلاف كاملة .

العجوز : هل يسرك أن تكسبها يا احمد ؟

احمد : يسرني أن أتخلص منه فحسب .

( يقدم العجوز السجائر لأحمد فيرفضها بحركة لا ارادية )

العجوز : كابوس مزعج .. هه ؟

احمد : أتمنى أن أجد الراحة .

العجوز : استلق قليلا تجد الراحة .

احمد : أريد أن أجد الراحة هنا ( يضرب صدره مرة ورأسه مرتين ) هنا يا معلم ، ولن أجدها إلا بعد أن تنتهي هذه المطاردة اللعينة .

العجوز : ستنتهي حتما وتبدأ غيرها ، وهكذا نجد اننا المطاردون فعلا لا من نطاردهم .

احمد : سأجد راحة حقيقية بعد أن يصبح هذا المطارد بين أيدينا .

العجوز : ومن منا يجد الراحة الحقيقية يابني

( صمت تتخلله الأنوار والضجة )

ما الحياة إلا مطاردة عنيفة .

أحمد : صحيح

العجوز : سوء الحظ ، ان تشتهي شيئاً ولا تنـــاله ، أضواء السيارات التي لاتعرف حرمة البيوت ، الموت نفسه مطاردة قاسية .

أحمد : (بقلق ، وقد استوى واقفاً) هذا المجرم كالموت تماماً ، ليتني أعرف متى يضرب ضربته ، مجنون خطير ولكن كراهية كبيرة لرجال الأمن وللناس جميعاً .

العجوز : يكره الانسان كل الناس عندما يجدهم يريدون موته .

أحمد : لأنه يجب ان يموت حقاً .

( تقدم الزوجة الشاي لأحمد )

العجوز : ومع كل هذه الجهود لم يتمكن أحد من إلقاء القبض عليه ؟

أحمد : أعوانه ومحبوه .

العجوز : ( بدهشة ) محبوه ، وهل يحب الناس المجرمين ؟



أحمد : يظن بعض الناس أنه رجل بطولي ، يساعدونه على التخفي ويتسترون عليه ، ولكن لامفر من المصير المحتوم ، اليوم سيلقى جزاءه ، بودي لو مات بيدي . ( بتحسس مسدسه )

العجوز : ( كانت تعابيره تدل على انه سيخجل على المجرم ولكن يقول احد تنحرف التعابير عن اتجاهها ) تتكلم كما لو كان الرجل طائراً يصاد

أحمد : طائر يؤكل ، لحم سيء .

العجوز : ألهذا الحد تكرهه؟ ( فترة صمت قاسية يحاول فيها كل فرد ان يتخلص من وقعها الشديد )

الزوجة : ( رأسها بين يديهـا وهي تجلس الى المائدة ) ليت كمال يعـود ...

تأخر كال يامعلم ( جلبه وضجيج في الخارج على أثرها يسد العجوز اذنيه ويشتد به الغضب )

العجوز : هل تسمع يا أحمد ، بحق الله عليك ؟ اسمع جيـــداً هذه الموسيقى الشيطانية . هل تطاق المعيشة في هذا الكاراج ؟

أحمد : ( يستعد للذهاب ) كنت أعيشها يامعلم .

العجوز : الحمد لله الذي أبعدك عن هذا الجحيم ، بيتك الآن نظيف وراق .

أحمد : ( في لهجة تقريرية وقد تغيرت سحنته ) نحن معشر رجال الأمن نحتاج بيوتاً مريحة يامعلم .

العجوز : لاشك ، وكل وسائل الراحة ، ثلاجة ، بوتاغاز ، وسجادة عجمية في غرفة الزوار وثريا في السقف

أحمد : ( يتوقف عن الحركة تماماً كالمشلول )احتجت وقتاً طويلا حتى أعددت لنفسي بيتاً .

العجوز : (في لهجة مريحة غيرت جو الغرفة المشحون بالغضب) والآن وقد أصبح لك بيت مثالي ، أظنك ستفكر في الزواج ؟

أحمد : نعم .. أريد الزواج ، انني أفكر جدياً في ذلك .

العجوز : تجاوزت الثلاثين وعليك ان تدبر أمرك قبل ان يفوتك القطار،أنتم معشر الشباب تهربون من الزواج رغم قدرتكم عليه .

أحمد : ( ضاحكاً في اقتضاب ) مازال هناك أمل عندي ، سأذهب الآن ياعمي . سأبشركم بالقبض على المجرم عندماننتهي منه .

الزوجة : وفاطمة ؟

أحمد : ( يتوقف في مكانه كمن طعن ) فاطمة ؟ وماذا عن فاطمة ؟ وماذا عن فاطمة ؟

الزوجة : ( مازالت على المائدة ورأسها مطرق ) فتاة لطيفة ؟

احمد : لكنها صغيرة .. صغيرة جداً ..

الزوجة : وأنت كبير .. كبير جداً ..

أحمد : وأقصد..

الزوجة : (تقاطعه وقد استوت واقفة) تقصد انها فقيرة جداً .

العجوز : ايتها الامرأة تدخلي فيما لا يعنيك .

الزوجة : لقد اتتنى منذ يومين تبكي .

احمد : لم اعدها بشيء .

الزوجة : لقد وعدتها .

احمد : ( يتجه نحو الباب ) ساخرج الآن للعمل ، الى اللقـــاء ( يخرج ). ( يسود صمت قصير كمن يهيأ للحديث )

العجوز : لقد وصل احمد ، أتذكرين يا حاجة ؟ وصل الى مايريد .

الزوجة : عنده بيت جميل ولا يتزوج ، وابننا كمال .. ترى هل سيكون له بيت جميل مثله ؟



العجوز : ( في لهجة مريبة وقد عقد ذراعيه على صدره ) وانني أتساءل ، مخبر بسيط وعنده بيت كبير كبيوت الأثرياء ، عليه أن يقبض على خمسة مجرمين حتى يؤثث مثل ذلك البيت ، أتذكرين يا حاجة كيف كانت حالتهم ؟

الزوجة : ومن شر حاسد اذا حسد .

العجوز : لا أحسد أحداً انما كنت افكر ، كنت افكر فيما لو أصبح كمال ابننا مخبراً هل كان يستطيع الزواج ؟

الزوجة : مسكينة فاطمة ؟

العجوز : هذا هو دأب الشباب يلاحقون فتاة جميلة ليتزوجونها ، وعندما تتغير أحوالهم ويصبحون اعز مالاً يهجرون تلك الفتاة .

الزوجة : ولكن فاطمة تريده .. انها تقطّع نياط قلبي ببكائها .

العجوز : طبعاً تريده ، عنده كل اسباب الحياة الحلوة .

الزوجة : وهي جميلة ويرغبها كل شباب الحي .

العجوز : ( جالساً ) الشباب ( يغرق في حالة تذكرية ) الشباب ، ياله من عالم معقد . الفشل والحب ، والحب والأماني ، الأماني والمال ، المال والفشل والحب .

## ( المشهد الثالث )

( يدخل كمال فجأة من غير ضجة ، وهو شاب في منتصف العقد الثالث ، قوي البنية يرتدي بذلة عمالية ويبدو عليه التعب ، الا ان مظاهر التعب لاتبده آثار القسوة من عينيه وحركاته ) .

الزوجة : كمال .. أين كنت ياحبيبي ( تتجه الى ابنهـا الذي يمر عبر الغرفة الى المطبخ بعد ان يلقي نظرة على المائدة الكائنة قرب الباب الخارجي ، العجوز يتطلع اليه من غير ان يتبادلا الحديث ) تعال هنا يا كمال ، الأكل جاهز على المائدة ( يعود بعد قليل الى المسرح )

كمال : ( بتأفف ) فول وجبنة .. فول وجبنه ، ســ أموت يوماً والفول سيكون السبب .

الزوجة : ( في خوف ولهفة ) لاسمح الله .

العجوز : ( في هدوء وهو على مقعده ) هناك من لايجد كسرة خبز .

كمال : ( في هدوء غريب وقد اعشت عينيه أنوار سيارة من الخارج) انني افكر جدياً بالاشتراك مع الشرطة للقبض على المجرم الهارب .

الزوجة : (في خوف وذعر) ماذا؟ ( تراقبـه فيا هي تقترب منه كأنها تخاف ان يطير منها )

كمال : من يدري فقد أقبض عليه لوحدي ، حينذاك أستطيع ان أفعل أشياء كثيرة .

الزوجة : ( في لهفة ) لا .. لا .. لن تفعل ذلك ، هل ستفعل ؟

العجوز : ( في تهكم مزيج بالغضب ) خذوا الشباك واصطادوا الرجل الهارب ، فهذه أبواب جميلة واسعة لحياة الثراء ، الثراء الكاذب .

كمال : ( موجها الحديث لوالده ) نعم قد أفعل ، وسأذهب .

العجوز : ( في حركة مسرحية وتهكمية ) لا تنس ان تعود برأسه لتعلقه على الجدار ولتكتب تاريخ الصيد تحته ( في لهجة جدية ) هل تعتقد يا فتى انك تستطيع حل جميع مشاكلك بتناول مكافأة يلهث وراءها الكثيرون ، مال حرام .. حرام ، الله يجازي عبده وحده ؟

كمال : ( يهز برأسه وكأن كلام العجوز لم يعجبه ) بل سأحاول ( يتجـه نحو الباب وقد رشق المائدة بنظرة شذر ) سأذهب ( تلحق به أمه ولكنه يخرج منسرقاً بسرعة )

الزوجة : ماذا أفعل .. ماذا أفعل يا إلهي ؟

العجوز : ( بابتسامة مشرقة تحمل الحب ) لا شيء .. لا شيء ايتها العزيزة ، تعالي الى قربي فليس لنا الا الهدوء ، تعالي ( الزوجان في حـالة سكون ، تسود لحظات الصمت )

العجوز : هل تعلمين شيئاً يا حاجة ؟

الزوجة : ما هو يا معلم ؟

العجوز : قد يكون الشباب أحياناً على حق .

الزوجة : أي حق ؟

العجوز : عندما يبحثون عن حقهم في الحياة . كمال على حق ، ولو كنت في مثل سنه وبمثل حيويته لبحثت عن حقي بأسناني .

الزوجة : حقك ؟

العجوز : حقنا في هذه الحياة ، لكل واحد منا طريقة في هذه الحياة ، ولكننا نسعى جميعاً نحو الشيء الأفضل . كأننا نريد السعادة ، من لا يريد السعادة ، يا لها من مشكلة ؟

الزوجة : وهل نحن سعداء !

العجوز : من يدري ؟



## ( المشهد الرابع )

( يدخل المجرم متسللاً من الباب المؤدي الى المطبخ ، تبدو عليه سرعة الحركة والبديهية ، في ثياب سوداء متسخة . يحمل مسدساً ضخماً بيده اليسرى وباليمنى صرة متوسطة الحجم )

المجرم : لا يتحرك أحد منكما ( يتفحص المكان بعينيه ، الزوجان في ذعر ، الزوجة تلتصق بالعجوز )

العجوز : ( متمالكاً نفسه ) من أنت وماذا تريد ؟

المجرم : لا تتحرك ، ابق مكانك ، أريد طعاماً ، هل عندكم ما يؤكل ؟

العجوز : بلا شك يا بني ، هيا ايتها الامرأة اعطه ما لدينا .

المجرم : احذركم من أية خدعة تفكرون بها ، مسدسي سريع الطلقات ، ولم أعد اهتم بما يجري للناس . ( ينتقل الى السرير يتحسسه برفقــه ) عندكم سرير مريح .

العجوز : لن يكون هناك أية خدعة يا بني ، ولكن هلا جلست ؟ ( يشير بيده الى زوجته التي ما زالت مذعورة فتتحرك نحو المائدة وتجلب طعاماً في صحن من الألومنيوم ، يأخذه المجرم ويتأمله )

المجرم : فول ؟ هه الا تملكون غير هذا المخدر السام ؟ ( يبدأ بالأكل وهو يتفحص المكان )

العجوز : هذا كل ما لدينا يا بني .

المجرم : كل ما لديكم ؟ يا للفقر ... يا للعار ؟ فتات الغذاء وفي طبق قديم .

العجوز : تتكلم و كأنك كال .

المجرم : من هو كال ؟

العجوز : ابن هذه المرأة الصابرة وابني ، الجبان كي لا يعجبه شيء .

الزوجة : ( في صوت خفيض ) ماذا لو حضر كال الآن ؟

المجرم : ماذا تقولين ايتها المرأة ؟

العجوز : تخاف على ابنها .

المجرم : ( بسخرية ) مني ، الديب المرعب ، وحش الغابة .

العجوز : انت الديب اذن .

المجرم : الحيوان الذي يبلغ ثمن رأسه عشرة آلاف كاملة .

( تشهق الزوجة . يتوتر المجرم . يبتسم العجوز )

العجوز : أهلاً وسهلاً !

الزوجة : المجرم في بيتنا .

المجرم : المجرم في بيتكم . هل ترغبين يا سيدتي في الابلاغ عني ؟

العجوز : لن يبلغ عنك أحد ( الى زوجته ) نحن لم نشاهد أحداً ، لم يدخل بيتنا أحد ، أليس كذلك ؟

المجرم : ألا ترغب في عشرة آلاف كاملة ؟ تعيش بها حتى أواخر عمرك

العجوز : هذا مال حرام ، ما أنا بالعدالة يا بني ؟

المجرم : ( يميل بجذعه نحو السرير ويرمي الصحن من يده ) أما انك مجنون أو عفّ النفس حقاً ؟

العجوز : ( في غضب ) انا في مقام والدك أيها الشاب ، لا يصح أن تطلق على مثل هذه الكلمة . ألم يعلموك الأدب أيها الرجل ؟

( فترة صمت متوترة )

المجرم : اعتذر . استطيع أن أثق بك . تبان الطيبة عليك ( يقدم العجوز له سيجارة فيأخذها ) حقاً انك لرجل طيب . كان والدي مثلك تماماً ، نفس النظرة ، نفس المشية ، كنت أقسو عليه وكان يقابلني بالاحسان لم أنت طيب يا عم لم ؟ ( ثائراً ) تباً للطيبة كم تقتل الانسان ! ( يمشي بحذر حتى يصبح بين النافذتين ) يبدو اني وقعت في فخ .

العجوز : أي فخ يا بني ؟

المجرم : فخ الطيبة وفخ البيت المكشوف ( لنفسه ) ألم أجد سوى هذا المنزل المكشوف ؟

العجوز : لو كانت لدينا ستائر

المجرم : ولم لم تضع ستائراً على نوافذك ؟ أتحب أن يراك الناس ؟

العجوز : ومن يحب أن تكشف أحواله يا بني .. من ؟

المجرم : سأهديك ستائر ملونة ذات يوم .

العجوز : ( متجاهلاً ملاحظته ) ألا يجمل بك يابني أن تستريح ؟

المجرم : سبع ليال دون نوم .

العجوز : سبع ليال ؟ يالمسكين .

الزوجة : تستطيع ان تستريح يا ولدي .

العجوز : تستطيع يابني ان تتمدد على سريري ، هيا افعل .

المجرم : (بحدة) وعندما يختطفني النوم الى عالمه ، واصبح كتلة بالية انهكها التعب ، تبلغون الشرطة .

العجوز : ( بطيبة ظاهرة ) لا .. لن نفعل .

المجرم : اغفر للانسان ان يرتكب كل الجرائم الا أن يخون ، لو كانت الخيانة رجلاً .. آه ( يصرف باسنانه ) لو كانت رجلاً لقتلته .

العجوز : لست هنا لاحاكمك ، ثم اني لا اعلم هل انت مجرم أم مظلوم ، ولست من هواة الوشاية ، الباب مفتوح تستطيع ان تخرج من حيث اتيت .



المجرم : لن استطيع الخروج الآن ، سأنتظر حتى يذهب الرجال ( فترة صمت : المرأة قلقة ، المجرم متجهم ، العجوز يحاول ان يحكي شيئاً ولايعرف كيف تكون بداية الحديث ) .

العجوز : وهل ستبقى مطارداً هكذا لاتعرف لك بيتاً ؟

المجرم : كان لي بيت ولم اكن مطارداً ..

( يعمد هنا الى تلوين البيئة بخصائص تعبر عن الوجيع والحنين في قلب المجرم ، وان يستمر الرجل في الحوار بل سيعبر عن ذلك بكل المؤثرات اللازمة . وهنا تبتدأ فترة انقلاب في عاطفة العجوز وزوجه نحو المجرم ) .

العجوز : لم لاتضع حداً لهذه المطاردة الجنونية ؟

المجرم : ( باستسلام ) سأستسلم ، حين تنتهي كل الأشياء ...

العجوز : وستنتهي بقتل اكبر عدد ممكن من الانفس التي خلقها الله .

المجرم : سأستسلم عندما أرى الأمور قد سويت .

العجوز : والى ان تسوى الامور يزهق المزيد من الارواح .

المجرم : وانت ايضاً تصـــدق كل مايقـال ؟ لو كان لي احد يصدقني لو كان لي .

العجوز : اصدقك لو قلت الحق ، لو عاهدتني على ان تخبرني بالحقيقة .

المجرم : ( في صياح ) كوالدي .. تبدو كوالدي ( يثور فجأة ) ولكن ما الفائدة ؟ لو صدقتني أنت هم ان يصدقوني .

العجوز : المرء احياناً ، يحتاج انساناً واحداً يصدقه . انسان واحد .

المجرم : الصحافة ضدي ، الناس كلهم ، الدولة . المجرم الوحيد انا في هذا البلد . القاتل والسارق ، هاتك الاعراض الذي لم يعرف للحرمة أي احترام ، انا وصمة العار في جبين المدينة انا انا .. اقتلوه الانوار تغمر الغرفة ، يشير العجوز للمجرم ان يبتعد عن ساحة النور )

العجوز : انحن ولا تصرخ ، الحارة مليئة برجال الشرطة ( ينحني الهـارب ، يتطلع حواليه بنظرات جديدة ) .

المجرم : ( لنفسه ) الطيبة .. الطيبة ؟

الزوجة : لو كانت لنا ستائر سميكة .

المجرم : الطيبة تقتلني ، لم كل هذه الطيبة ( فترة صمت ) لو امسكت به .. سأستريح إذن .

العجوز : من هو الذي ستمسك به ؟

المجرم : سأنام ليلتي بعد ذلك بدون احلام ، سآخذ حماماً دافئاً واخلع عني هذه الثياب القذرة ؛ وليـــأت الطوفان من بعدي ( يسترخي على السرير نصف جالس ) .

العجوز : لم لاتقص الحقيقة عليهم-ان كنت بريئاً ؟

المجرم : لست بريئاً تماماً ليفرجوا عني ، بل علي ان أكفر عن سيئاتي وآثامي التي ارتكبتها خلال سنين طويلة .

( بعد قليل ) انا متعب ارهقني البحث والهرب ( لنفسه ) نظل نهرب ، نركض كالجرذان ، والمصيدة هنا تقف كالقدر .

العجوز : بحثك يابني بحثك ؟ هل سيثبت براءتك ؟

المجرم : متهم وبريء . بريء ومتهم ، وما الفائدة ؟

العجوز : كيف ذلك ، اني لا افهم شيئاً ؟

المجرم : لن انكر اني سرقت بيوتاً كثيرة وخدعت أناســاً اكثر . ذهب حرام ، مخدرات ونساء جميلات . لن انكر اي شيء ولكني لم اقتل نفساً عن عمد . اعترف باني اصبت كثيراً من رجال الامن دفاعاً عن نفسي ، ولكني لن اكذب ذلك ، صدقني ، لم إقتــل نفساً حرم الله قتلها وفي نيتي رغبة القتل ، صدقني .



العجوز : وانباء الجرائد عن ضحاياك ؟



الزوجة : وكلام الناس ؟

المجرم : كادت المدينة أن تجعل مني المجرم الوحيد فيهـــا ، حملتني اوزارها وكأنما بموتي تنتهي الجريمة وتعود الفضيلة ويرفرف علم الخير عالياً . الخير ، الخير أيها المسكين ؟ ( لنفسه ) دفن الخير وانفض المشيعون .

العجوز : يبدو هذا صحيحاً الى حد ما .

المجرم : صحيح وغير صحيح ، لأني اريد ان اقتل رجلاً يريد موتي .

العجوز : لا اظن احداً يسعى لقتلك .

المجرم : طالبوا الثروة وكثيرون ( فجأة ) الست واحداً منهم ؟

العجوز : (ضاحكاً) حتى لو كنت منهم فلن استطيع ، المال يحتاج الى القوة ، لم تعد عندي القوة .

المجوم : القوة ؟ لم يبق منها سوى الحقد . انظرني جيداً ، فأراً في مصيدة ، بين نافذتين حتى لايراني أحد ، لا أعرف الليلة اين مبيتي ، ومصيري مسدس جبان ( بعد لحظات ) اقدم احر اعتذاري يا امي ، لو كنت امي لقبلت يدك كل صباح ، وغفوت في حضنك الكريم .

العجوز : خذ قسطك من الراحة يابني .

المجوم : لاتتلطف معي أيها الرجل ، اتريد ان اقتل لأني شرير وفظ ؟

العجوز : انت متعب يابني .

المجوم : لا ، لست بتعب ، علي ان امضي في طريقي كي اتم مهمتي .

العجوز : والنهاية يا بني ، والنهاية ؟

المجوم : امامي واجب واحد اؤديه . ثمة واجب لااستريح .

العجوز : مقدس ، امر واجب مقدس ؟

المجوم : اكثر من مقدس ، اريد ان اخرج روح رجل من جسده ، ارسل بها الى الجحيم . روح رجل باعني ، زين لي الشر وامدني بالخبرة ، ثم باعني ككلب اجرب منحوس .

العجوز : من هو ذلك الخائن ؟

المجوم : هل استطيع ان اعرف ايها الرجل الطيب ما الذي يجعلك اكثر طيبة من الآخرين ؟ ( في حدة ) هي مؤامرة ؟

العجوز : الانسان طين طيب الرائحة ، ثم انه لا يوجد احد بدون خطيئة ؟

المجوم : كالانبياء والصالحين ( لنفسه ) لو كنت سرت في طريقك ؟ ( بثورة مكبوتة ) ككل الطرق تؤدي اليه ..

العجوز : من هو ؟

المجوم : ملك الظلام العجوز ( فترة صمت )

الزوجة : هل تأكل شيئا ؟

العجوز : لا تحزن يا بني ، اخطاؤك معروفة ، وكثير من اخطاء الناس لم تعرف بعد ، خذ مالك هذا البيت . ظللت ارجوه سنين كي يدخل النور اليه فلم يفعل ولن يفعل ، يملك اكثر من عمارة ويعيش كالسلاطين ثم هو يبخل علينا ..

المجوم : لص ومجرم ، كلهم ...

العجوز : وهل يستطيع احد ان يقاضيه ، الله سيفعل ذلك ؟

الزوجة : هل تريدون قهوة ؟

العجوز : دون شك ولا تضعي سكرا

المجوم : ما اكرمكم ! لو كنت ابنكما ؟ اترى هل تسمحون لي بالبقاء حتى ينقضي الليل ؟ ان اضايقكم ، سأتكوم هنا كصفيحة القمامة ( لنفسه ) تتكوم على الارصفة تتلوى من الحقارة ، نفرح .. نحزن ، ثم ؟

العجوز : تستطيع ان تبقى يا بني ولكن بشرط واحد .

المجوم : ما هو ؟

العجوز : ان تقص علينا حكايتك كلها ، اصدقنا القول يا بني ( متداركا ) الا انك لن تستطيع البقاء هنا طويلا ( الى زوجته ) احمد .

المجوم : ( بلهفة ) احمد .. احمد ، من هو احمد ؟

العجوز : صديق العائلة ، يعمل مخبرا وهو يتوق جدا للقاتل . كم يعمي المال ابصار الناس ؟

المجوم : احمد .. احمد ، ليته يحضر !

العجوز : وهل تعرفه ؟

المجرم : كما اعرف اصابعي ، ليتحضر ساستريح اذن .

العجوز : ( بدهشة ) احمد ؟

المجرم : السن الذهبية التي تحمل الشر في كل ضحكة

العجوز : السن الذهبية هذا صحيح . احمد !

المجرم : رجل الساعة بدون منازع .

العجوز : وانا التي الذي لم ادرك من اين بالمال والبيت ودخله لا يسمح له بغن ( الى زوجته ) الم اقل لك مرارا من اين له كل ذلك ؟

المجرم : شريكي والعقل المفكر . أثرى من ورائي ثم افشى كل اسراري . الرجل ذو الوجهين .

العجوز : وكنا نسمح له بالدخول الى بيتنا .

المجرم : صديقي احمد لقبني مرة بالذيب ولم اكن سوى المغفل .

الزوجة : والمسكنة تحبه .

العجوز : وكان وضعه مثالا اعلى لحماته .

المجرم : زين لي الجريمة وحماني من رجال الامن ، وكنا نقتسم الغنائم .

العجوز : الكاذب المخادع لم لا تقص عليهم الحكاية فيقبضون عليه ؟

المجرم : انت رجل طيب يا والدي . هل تسمح لي ان اقول لك ياوالدي ؟ نغمة حلوة لاغنية قديمة

العجوز : قص عليهم الحكاية يا بني

المجرم : من يسمع ومن يصدق .. من ؟

العجوز : لا بد انك تملك شواهد وادلة تكفي لزجه في السجن .

المجرم : كان اذكى من ان يترك دليلا واحدا . ولو اني قلت كل شيء فلن يصدق احد .

الزوجة : ( الى زوجها ) وكنت تريد ان يصبح كمال مخبرا !

العجوز : ليسوا سواء يا امرأة .

المجرم : حان ميعاد نومكم ، اني آسف من كل قلبي .

العجوز : فلتنم انت ايضا يا بني ، خذ قسطك من الراحة

المجرم : (بحدة) واحد؟ اهل تعتقدون اني سهل الخداع (تسمع اصوات خارجية. يفتح الباب) خذوا حذركم اية خدعة هـ ...

( يختبأ المجرم تحت السرير )

## ( المشهد الخامس )

( يدخل كمال في عجلة من امره ويتراجع العجوز امامه مذعوراً )

العجوز : ما الذي أتى بك ؟

كمال : امي ، شوهد الهارب لآخر مرة في هذه المنطقة .

( الحيرة تمزق الابوين ، لايستطيعان شيئاً )

العجوز : ايها المجنون لاتفكر بالمال كالمرابين.

الزوجة : امنعه يامعلم .

( يذهب كمال الى الخزانة ويستخرج منها خنجراً ، تحاول الأم اخذ السلاح من يده فيبعدها عنه ) .

الزوجة : اترك من يدك هذا السلاح ، امسك به يامعلم امسك به .

كمال : سأقبض على المجرم . عشرة آلاف كاملة، يجب أن تكون من حقي .

العجوز : هل تعتقد ياولد انك بهذا الخنجر المضحك قد تقبض على الذئب ؟

كمال : أنا قوي ، وسآخذ المبلغ . سأتزوج وانقذكم من هذا الجحر القذر .

العجوز : بهذا الخنجر تصبح قوياً .

كمال : سأنقض على المجرم من الوراء ، وسيصبح بين يدي أضعف من قطة .

العجوز : هو مسلح بدون شك .

كمال : ولكنه هارب وخائف .

الزوجة : ( تحاول ان تمسك به ) أنت صغير يا كمال .

كمال : ( يتخلص كمال منها ) بل سأذهب ، دعيني .

الزوجة : عد يا كمال .

كمال : ما عدت عاملاً حقيراً ، اريد أن اعيش ( يخرج وامه قد فشلت بالاحتفاظ به ) .

## ( المشهد السادس )

المجرم : ( وقد خرج من مخبأه ) عنده حماسة كبيرة .

الزوجة : انه صغير .. طفل صغير .

العجوز : الشباب ( الى زوجه ) لاتخافي عليه ، مم تخافين ؟

الزوجة : لن تؤذيه ، هل تفعل ؟ اقسم لي انك لن تفعل .

المجرم : ومن قال اني الحق الأذى بالناس . إلا إذا هاجمني ، سأحمي نفسي إذن من محيي الثورة المفاجأة .

العجوز : ( على كرسيه ) نكافح من أجل اللقمة ، الآن علينا أن نكافح من أجل الأفضل .هل علي ان احارب على جبهتين ، لقد اصبحت عجوزاً فليحارب وحده ، ليأتي بالمال كيفما يشاء ، لقد تعبت منه .

المجرم : هكذا كنت :

( حالة تذكرية يمر الذيب فيها )

ضربت تلميذاً في المدرسة ، كان يضايقني بملابسه الجديدة . كنت

اكره سميرة ابنة الدكتور ، الخبيثة كانت لها ضفائر كالذهب ، قالت لي مرة انت شحاذ ، ضربتها حتى ادميت انفها . ثم فكرت ، ونظرت الى بنطلوني القصير المرقع من مقعديه وعرفت اني شحاذ . وقررت ان ألعنهم في سري حتى يموتون. ألعنهم.. ما أغباني ، أدخلت الضيق الى بيتكم الهادىء . لقد احببتكم ، ألا فلتحل اللعنـــة على هذا الضعف .

**العجوز** : لتنم يابني .

**المجوم** : لن يعرف النوم عيني بعد الآن ، محكوم علي ( بعد لحظة ) ادفع حياتي ثمناً لسرير في غرفة هادئة .

**العجوز** : الصبر والهدوء يابني ، الصبر والهدوء .

**المجوم** : يا والدي العجوز أنت رجل طيب ، هل تسمح لي ان أحبك ؟ لو كنت والدي كنت ادخلت النور الى قلبي الأسود ، وانت ابتها الأم الطيبة . قد لا أراكم بعد الآن ( لنفسه ) كلما احببتهم ضاعوا في الطريق . .



**العجوز** : بل سترانا ، ستراها دوماً يابني .

**المجوم** : قل يابني مرة اخرى .

**العجوز** : احس احساساً غريباً يابني بأن قضيتك ستحل . .

**المجوم** : احساس رقيق ، غير واقعي ، لقد كتب علي ان اعيش هكذا ، وطواطا يختلس المرور في الليل . ترى هل سيعاقبني الله ؟

**العجوز** : الله واسع الرحمة .

**المجوم** : هل يقبل توبتي ؟ علمني يا والدي دعاء ، أي دعاء بسيط اكرره في سري فيؤنس ظلمتي .

العجوز : ادع ربك يستجب ، ولكن صادقاً في دعواك ، من هنـــا ينبع الدعاء ، لن يجيب الله رجاء تابعاً من القلب . انزع من يدك سلاح الشر هذا واحن قامتك وتوجه اليه ؟ يارب .

المجرم : يارب.. ايها الخالق العظيم ، احس بضآلتي تجاهجبروتك اللامتناهي . ( ثورة مفاجأة بعد صمت ) لن تقبل توبتي أعلم ذلك ، خلقتني شقياً ، كان علي أن أعلم ذلك .

العجوز : لاتكفر أيها الرجل .

المجرم : ( في تأثر يقارب البكاء ) خلقت شقياً .. عشت شقياً .

اغرب عن وجهي ايها المجرم الصغير ، صرخ في وجهي مدير المدرسة وكان عمري عشر سنين ، لم تكن لدي أية دفاتر او كتب ، اقلامي كسرت وتمزقت ملابسي . دخلت مدرسة جديدة ، علموني هناك خفة اليد وسرعة التفكير . وللرجال ، تزوجت امرأة كثيرة الهات ، هات .. هات ، لم تسألني يوماً من اين لك هـذا ؟ ثم أتى ذلك الشيطان ينظم لي العمل ، حماني لأنه رجل أمن ، ووشى بي لأنه حية رقطاء .

يارب لتغفر لي قتله شر قتلة .

العجوز : لن يغفر الله قتل انسان .

المجرم : ليس هذا الانسان .

العجوز : المدينة كلها ضدك ، لوقتلت رجل أمن فلن يغفروا لك ابداً .

المجرم : وهل غفروا لي قبل ذلك ، المدينة حملتني اوزارها ولم تعد هنـاك أية فائدة .

العجوز : لن يتأثر التحقيق بآراء الناس والصحافة ، قد يكون عادلاً .

المجوم : لقد ساعدني في جرائمي ، ثم لما صنع ثروة كبيرة من ورائي اوقع بي .

العجوز : احمد يبحث عنك ، مارأيك في ان احدثه ؟

المجوم : انه يبحث عني كي يقتلني ايضاً ، يخاف ان أفضحه . ستقترب ساعة اللقاء ، حينذاك سأحس بالسعادة .

العجوز : ( في عصبية ) يجب أن يكون هناك حل ما ، يجب أن نبعد شبح الجريمة . ( تسمع من الخارج اصوات . ينفتح الباب بقوة ويظهر احمد شاهراً مسدسه )

## ( المشهد السابع )

( مسدس الديب على السرير ، احمد منتصراً ، الذعر والتأهب يسودان البيت )

احمد : وقعت ياديب

العجوز : احمد لن تقتل احداً ، لقد عرفت كل شيء عنك .

احمد : خدعتك ايضاً بأكاذيبه .

المجوم : (بسخرية ) انتصرت اذن ايها الخائن ، هيا اقتلني . صدري لك مفتوح ، قابله بالرصاص يقابلك بالاحتقار .

احمد : لن اقتلك ، ستمشي امامي كالفأر ، وتنتهي المدينة من شرورك .

المجوم : ( بثقة مفاجئة ) شروري ؟ وهل تعتقد انك بقتلي ستنجو من مصيرك المحزن ؟ لقد اودعت كل الوثائق التي تدينك عند صديق لي سيقدمها الى السلطات يوم موتي .

احمد : كذب ، لم تكن هناك وثائق .

العجوز : اذن لقد قال الديب صدقاً .

احمد : بل كذب وافترى ، انه مجرم عريق .

المجرم : (بثقة) ومن ينكر اجرامي ، المشكلة في انك مجرم ولا أحد يعرفك .

احمد : كل الذي أعرفه الآن انك وقعت ، لقد راقبتك من النافذة ، وانت تهمل مسدسك ، وعلمت انها نهايتك . المكان محاط بثبات الرجال يسلطون بنادقهم على مدخل الباب ، ستمضي أمامي واية خدعة منك ستودي بك الى الموت .

الزوجة : لم اعلم انك شرير هكذا يااحمد

احمد : هيا امامي .

العجوز : ستقتله ، لن يسلم من يديك الآثمتين .



احمد : من قال هذا ؟ سأسلمه الى الشرطة واقبض المكافأة .

العجوز : هذا مال حرام يااحمد

احمد : هدىء من روعك ياوالدي

العجوز : لست بوالدك ، لست بأي شيء بالنسبة لهذا البيت الذي خدع بك .

احمد : ولكنه مجرم وعلي ان اقبض عليه .

العجوز : ( يقوم بحركة خاطفة ويقف امام الديب ليحميه ) لن تفعل شيئاً في بيتي ، انا رجل شريف ، لن تقع جريمة في بيتي .

احمد : ابعد عن طريقي ايها الاحمق ( الديب ينتهز الفرصة ويتناول سلاحه ، احمد يتراجع مذعوراً ، وهو في مركز حرج ، ويقفز الديب لجابهته ، يتراجع

احد حتى يصبح خارج البيت ، وفجأة تنطلق عبارات نارية كثيرة غير متوقعة وبعد لحظات يعود احد مضرجاً بدمائه والمسدس بيده ، الديب يراقب الموقف ولكن رصاصة تنطلق من مسدس احد تصيب الديب فيهوي على الأرض ) .

**الزوجة** : قتلوه

**العجوز** : ديب لقد قتلوك ( وقــد احتضن الديب بين ذراعيه الواهيتين ) قتلوك .

**المجرم** : ( منهكاً ) مات ايضاً ؟ اغفر لي ياوالدي .

**العجوز** : (باكياً) ستشفى يابني ، ستشفى ، اعلم ذلك .

**المجرم** : اعد على مسمعي يابني ، اغفر لي مضايقتكم ، لقد احببتكم ، انني اموت ياوالدي . لقد تحرر الفار .

**العجوز** : ستشفى يابني .

**المجرم** : انت رجل طيب ، رجل شريف ياوالدي . المدينة ضدي لأني مجرم . المدينة ضدك لأنك طيب ( يموت ) ( يدخل شرطي ، يدهش لمقتل احد )

**الشرطي** : احمد قتل ؟ من قتل احمد ؟

**العجوز** : انتم .

**الشرطي** : نحن ؟ لقد اتفقنا على ان نطلق النار على اول خارج من الباب، غريب.
( يلقي الشرطي نظرة على الجثتين ويخرج )

**العجوز** : لقد قتل نفسه ، المخادع كان يريد قتل الديب لكي يموت السر معه. لقد مات الديب ، ياالهي لم عرفناه ؟
( يستوي واقفاً وقد تملكه شعور بالنقمة الهائلة )

ومن الذي لم يرتكب خطيئة ؟ من الذي لم يسرق ؟ كلنا لصوص ، كلنا قتلة . من كان منكم بغير خطيئة فليرجم الزانية بحجر . يا الهي أصحيح اننا بلا خطايا . لقد قتل الشاب الذي آمن بالتوبة ( بعد لحظة ) أنا سرقت ايضاً ، حاكموني أنا سارق سرقت ، سرقت .

**الزوجة** : أنت سرقت ؟

**العجوز** : ومن اين تزوجتك اذن ايتها المرأة ؟ كنت شاباً قوياً ، لا املك مالاً ، كنت أريدك ، ثم ابحث لي فرصة لأسرق ففعلت ، من منا لم يرتكب خطيئة ؟ من ؟ تسعة افراد كنت اعيلهم واردتك ، لم تكن لدي القدرة فسرقت .

**الزوجة** : ( فيذعر ) كمال ، ابني كمال ، اريد كمالاً ..

**العجوز** : ( فيا الزوجة تنادي ابها ) سرقت . الآن اريد ان اعاقب ، ليعاقبني احد لأني سرقت . ايتها السلطة ، ايها القانون ، ايها الناس ، لقد سرقت .

ستار

# الكلب مقتول على الرّصيف

محمد زفزاف
— المغرب



يرفع الستار فتظهر عائشة جالسة على الأرض في باحة دار من طراز تقليدي . تتثاءب ثم تنظر الى مصدر وقع خطى قادمة من اليمين . تقف. تدخل رابحة وهي تلهث .

رابحة : عائشة .. عائشة .

عائشة : مالك ؟ ماذا حصل ؟

رابحة : ( تشير باصبعها جهة اليمين ) مات .

عائشة : من ؟ مالك تلهثين ؟

رابحة : الكلب مات . إنه هناك فوق الرصيف .

عائشة : كلب من ؟ هدئي روعك .

رابحة : ألا تعرفين ؟ الأسود .. الكلب الأسود مات .

عائشة : ( مندهشة ) كيف مات ؟ هل تمزحين ؟

رابحة : لا أمزح .. تعالي لتري بنفسك ( تمسكها من تلابيبها ) تعالي لتري انه هناك قرب بيتكم .

( تدخل «زهرة» من اليمين مسرعة )

عائشة : زهرة .. صحيح أنه مات .

زهرة : ( تلهث ) جئت لأقول لك ذلك . إنه هناك على الرصيف . تعالي لتري . الكلب الأسود الملعون .

عائشة : كيف حصل ذلك ؟ لم أتوقع موته .

زهرة : لم يمت بارادته ، لكنه قتل . إن خطمه ينزف دماً ، وجمجمته تهشمت عن آخرها .

رابحة : لقد هوى عليه علي بمطرقة ضخمة كان يخفيها تحت جلبابه .

عائشة : هكذا فجأة !

زهرة : نعم فجأة . كنت واقفة بالباب . رأيته يقفز فوق السور القصير لينقض كعادته على كل من يمر بمحاذاة البيت . لكن فجأة اخرج علي شيئاً ضخماً من تحت جلبابه ، ورأيته يهوي على الكلب الأسود . نبح ووقف على قائمتيه الخلفيتين . جر نفسه ، لكنه سقط في الأخير .

رابحة : كانت المفاجأة بالنسبة لي كبيرة . رأيت الأسود هكـــذا ( تقوم بحركات بيديها ) مسجى أرضاً . وأتتني زهرة فصرخنا من الفرح . لم يكن أحد بالشارع . حتى الأطفال لم يكونوا حاضرين وقتها .

زهرة : لو حضروا لجروه من قائمته أو ذيله ومسحوا به الأرض .

عائشة : وهي ؟ ألم تخرج ؟

زهرة : لم أرها .

رابحة : لاتستطيع . أغلب الظن أنها ليست هناك ، تلك العجوز البلهاء . لو كانت في الدار لماتت الى جانبه .

عائشة : الآن وقد قتل يمكن للأطفال أن يلعبوا بحرية . كما يمكن لنا أن نتجمع أو نمشي في الشارع كما نشاء ، ومتى أردنا .

زهرة : ويمكننا أيضاً أن نستريح من عقدة الذنب . لم نقتل أحـــداً ولم نظلم احداً .

رابحة : الحجة ثابتة ضد العجوز . حتى ولو رفعت دعوى ضد علي من أجل كلب - وهذا شيء نادر - فان بيد علي خدوشاً مايزال دمها ينز .

عائشة : لم أسمع يوماً برفع دعوى من أجل الاعتداء على كلب . القضية ستمر بسلام .

زهرة : ليست هناك قضية . موت كلب ليس قضية . ثم ان الشيخ يعرف تذمرنا من الكلب . لقد ذهبنا مراراً عنده . وشكوناه الأذى الذي يصيبنا من الكلب . لكنه قال لاتقربوا من أمام بيتها . ان كلبها لايعتدي الا على من يمر أمام بيتها .



رابحة : انه متواطيء معها .

عائشة : ويساندها في كل شيء . لقدشوه الكلب الأسود وجه طفل السعداوي. لكن المسألة مرت بسلام .

رابحة : كان الشيخ يشجعها على ذلك . سنرى الآن ماذا يكون موقفه بعد الضربة القاضية التي أنزلها علي بالأسود الملعون .

عائشة : ليشرب البحر . قلتما إن بيد علي خدوشاً ؟

زهرة : نعم . ومايزال تنز دماً .

عائشة : ( تصنع دائرة باصبعيها )ليخرج من هنا إذا استطاع .

( يسمع ضجيج وصراخ )

زهرة : لقد تجمع الناس حوله . إنه بالقرب من باب بيتك . تعالي لتري .

( تخرج النساء الثلاث من اليمين . يسود الظلام )

## المشهد الثاني

يسلط الضوء فيظهر علي مكوماً على نفسه في جلبابه . ينظر الى الجمهور بعينين مثقلتين بالنوم . يقف بتثاقل . يمشي نحو الجمهور . يتنحنح . ثم يبدأ في مخاطبة الجمهور .

علي : سيداتي ، سادتي . لقد ورد على لسان إحدى هؤلاء النساء اللائي خرجن الآن اسم « علي » . . أنا هو علي بلحمه ودمه (يتنحنح ويطرق) لقد شاء المؤلف أن يجعلني بطلا ، لأني قتلت كلباً . لا تضحكوا . أنا بالفعل بطل . شجاع . ان قتل كلب يبدو لكم سهلاً للغاية ، لكنه في الواقع غير ذلك . تعرفون ان كلباً من هذا النوع تحميه قوانين . فهذا الكلب الأسود الذي اتهمت بقتله ، والذي قتلته بالفعل ، يحميه قانون . فالشيخ ممثل السلطة يدافع عن صاحبته كما يدافع عنه ، وكما استمعتم الى الحوار السابق ، فإن صاحبته لا تعاقب ولا تلام حتى ولو هجم كلبها على طفــل بريء . ولكنني بموقفي الشجاع ، استطعت أن أقضي عليه بمطرقتي الغليظة هذه ( يخرج المطرقة من تحت جلبابه ) ذلك أن هذا الكلب تجاوز حدود الشراسة ، وأصبح مخيفا ، بحيث لم يعد أي انسان بقادر على المرور من هذا الشارع . وأنتم تعرفون أن الشارع للعموم . ( يتنحنح ) اسمحوا لي . إن المؤلف لا يريد من كلامي هذا أن يجعله خطبة . ولكنه اقتراح . وأعتقد ، في نظري . أني استحق لفظة بطل . كما أن أي انسان

منكم لو فعل ما فعلت لاستحق هذا النعت . وقد تتساءلون ، سيداتي ، سادتي ، عن نوع البطولة .. فأقول إن بطولتي تتجلى في خرق قانون مصنوع لا يمثل العدالة . ولا شك أنكم فهمتم وجه البطولة في الأمر ؛ وكيف أني استحق هذا النعت بعد قتلي الكلب الأسود . والآن سأختفي ، حتى لا أثقل عليكم ، وحتى لا يتهم المؤلف بالإطناب والإطالة ( ينظر جهة اليمين ) هذه عائشة قادمة . ( ضاحكا ) اعذرونا إذا لم نغير الديكور . إن المؤلف لا يريد ذلك لأنه يعتقد أن المسرحية ربما مثلت في الهواء الطلق ، من طرف أناس بسطاء ليس لديهم ما يغيرون به الديكور ( لعائشة ) ادخلي . إن الجمهور ينتظر .

( يخرج علي من اليسار . تدخل عائشة لكنها لا تتكلم . تبقى واقفة أمام الجمهور . ينطفىء الضوء . ويسمع نباح كلب . )



## المشهد الثالث

( حائط في الواجهة . عليه رسم بدائي لكلب بالفحم . تحت الرسم كتابة بخط رديء « مات الكلب » . يدخل ثلاثة أطفال تتراوح أعمارهم بين الرابعة عشرة والثانية عشرة )

الطفل ١ : ( يسبق الطفلين الى الجدار مسرعا ) انظر هذا الرسم . لقد رسمته بسرعة .

الطفل ٢ : إنه لا يشبهه .

الطفل ٣ : لكنه قريب منه . ما رأيك لو طليته كله بالأسود ؟

الطفل ١ : لم يبق معي فحم . فكرت في ذلك .

الطفل ٣ : سيبقى رسمه هنا حتى يمحى . وكلما مررنا نبصق عليه .

الطفل ٢ : من رأيي أن نعيد رسمه ، ونطليه بالأسود حتى يمكن رؤيته من بعيد .

الطفل ١ : يجب أن نبحث عن الفحم . نعيد طلاءه . وكلما مررنا من هنا نبصق عليه .

الطفل ٣ : ونعيد أيضاً كتابة « مات الكلب » إنها مكتوبة بخط غير جيد .

الطفل ١ : إنه خطي .

الطفل ٣ : وماذا لو كان خطك ؟ إنه غير واضح .

الطفل ٢ : المهم هو أن نعيد طلاءه بالأسود . وعندما يأتي أصدقاؤنا يمكنهم رؤيته من بعيد . وأيضاً ، كلما رأينا العجوز نبصق عليه .

الطفل ١ : ان العجوز لو رأت الرسم لمحته بأظافرها . كانت تحب كلبها . ( يقترب من أذن الطفل ويسر له شيئاً .. يضحكان ) انذلك حقيقي .



الطفل ٢ : كان كلباً فحلاً اذن .

الطفل ٣ : لا فحلاً ولا أي شيء . لو لم تكن العجوز أو الشيخ لقضيت عليه وحدي .. ولوضعت له دواء البراغيث في اللحم وأطعمته اياه .. لكنني كنت أخاف العجوز .

الطفل ١ : وأنا ايضاً كنت اخاف العجوز .. لكن « علي » استطاع ان يقضي عليه . سيمر مرفوع الرأس في الحي من الآن فصاعداً ؛ لأنه حرر الشارع من ( يصمت )

الطفل ٣ : من الكلب .. أكمل ، لماذا توقفت ؟

الطفل ١ : سمعت شيئاً .

الطفل ٢ : هل تخاف من أحد ؟ ( يضحك ) انه يعتقد أن الكلب ما يزال حياً ( يضحك مرة ثانية ) هيا .. لذ بالفرار .

الطفل ١ : هل تعتقد أني جبان مثلك ؟ أنا لم أكن اخافه .

الطفل ٢ : ولماذا خفت الآن ؟ لقد كنت أول من يهرب عندما نسمع النباح .

الطفل ١ : لم أكن أهرب ولم أكن أخافه .

الطفل ٣ : ( يفض النزاع ) لماذا تتشاجران الآن ؟ لقد مات الكلب . هل تخاف من العجوز أيضاً ؟

( يدخل طفل رابع من اليمين راكضاً )

الطفل ٤ : يا أولاد .. علي قادم .. تعالوا لتروه .. إنه ما يزال يخفي شيئاً تحت جلبابه .

الطفل ٢ : ألا تعرف ماذا ؟ إنها المطرقة الحديدية .

الطفل ١ : هل يريد أن يقتل بها حيواناً آخر .

الطفل ٢ : ربما

الطفل ٣ : العجوز . إنها كلبة أيضاً .

( يحكون بصوت واحد .. صمت )

الطفل ٤ : ( مشيرا باصبعه جهة اليمين ) هل ترون ؟ إنه هناك .

الطفل ٢ : لقد اختفى . انظروا . لقد ذهب من الجهة الأخرى .

الطفل ١ : ما رأيكم في أن أروع عمل قام به علي هو قتل ذلك الكلب الأسود الملعون .

الطفل ٤ : إنه شجاع . وذلك العمل لا يقوى عليه أحد غير واحد في مثل شجاعته . لم يكن أحد يستطيع الاقتراب من الكلب ، لأن الجميع كانوا يعتقدون أن ضراوته تفوق الحد .

الطفل ٣ : بالفعل ، كان ضارياً ، ولكن الشيء الذي لم يلتبه له أحد ، حتى الكبار ، هو أن الضربة المفاجئة التي تخرج من تحت الجلباب قد تكون قاضية مائة بالمائة .

الطفل ٢ : مثل ضربة علي .

الطفل ٣ : نعم كانت قاضية .

الطفل ١ : لقد كان الكلب الأسود اللعين ينتظر حتفه بين الفينة والأخرى . وبالفعل تحقق ذلك على يد علي . تصوروا هذا .

الطفل ٤ : ( باهتمام ) إننا نتصوره . كان رجلا عادياً . وها قد صار الآن بطلا في الحي . ففي السابق عندمـــا كنا نشتكي الكلب لآبائنا ، كانوا يقولون : لا تقربوا من سورها . ولم يكن أحد يقول اقتلوه . الآن قتله علي بتصميم .



الطفل ١ : يمكن أن نمر من الشارع ، ونلعب كيفما نشاء . وحتى الشارع سيصبح آهلا بعدما كان مخيفا مرعبا .

الطفل ٣ : انظروا .. إنه هناك .. علي في جلبابه ( يصرخ الطفل ) عم علي .. عم علي .

الطفل ٢ : مازال يخفي المطرقة ( صارخاً ) عم علي ، عم علي .

الطفل ٤ : لاشك أنه يتربص بالعجوز أيضاً . ( صارخاً ) عم علي ، عم علي .

الطفل ٣ : نادوا عليه .. سيروي لنا كيف قتل الكلب

( يدخل علي رافعاً رأسه الى أعلى باعتزاز )

علي : من الذي ينادي عليّ !

الطفل ١ : أنا .

الطفل ٢ : أنا .

علي : طيب ماذا تريدان ! أصبحتم شجعاناً الآن تقفون في الشارع وبالقرب من حائط بيتها .

الطفل ٣ : كان ذلك مستحيلاً علينا يا عم علي في السابق . أنت تعرف كل شيء . الكلب الأسود ضار وشرس .

علي : لم يكن ضاراً ولا شرساً . كنتم تخافونه فقط . أحدكم يلقيه بحجر فيموت .

الطفل ٢ : كانت تخوننا الشجاعة . ثم ان الشيخ والعجوز يساندانه .

الطفل ٣ : وأيضاً .. عندما كنت أشكي ذلك لأبي .. كان يقول ابتعد عن حائط بيتها وعن كلبهما . معهما حق . إذا عضك فالذنب ذنبك ، الشارع طويل وعريض .



علي : لاتلم أباك . انه رجل لايريد إثارة المشاكل .

الطفل ١ : وأنا نفسي ، كانت تقول لي أمي نفس الكلام .

علي : أعتقد أن معهما الحق ، كان من الواجب اغتنام الفرصة وضربه بحجر أو عصا .

الطفل ٤ : ضربته مرة بحجر ، فذهبت العجوز وشكت أبي للشيخ . جاء الشيخ وهو يتأبط محفظته في الخامسة بعد الظهر . وجد أبي عند الباب ( يتوقف لحظة ) قال له إن العجوز تريد أن ترفع دعوى ضدنا ، قال أبي لماذا ؟ فقال الشيخ وهو يشير إلي : ان إبنك ، يعتدي على كلبها ويقترب من باب بيتها ، وأضاف : أعتقد أنكم

لا تدفعون لها الكراء ، عندما سمع أبي ذلك ، قدم اعتذاراته وضربني ضرباً مبرحاً .

علي : معه حق . لم تعرف كيف تغتنم الفرصة لرمي الكلب بالحجر . لماذا تركت لها الوقت حتى تراك وتعرف من الذي أصاب كلبها .

الطفل ٤ : لم أترك لها الفرصة . ثم انها لم تكن واقفة في باب بيتها كما يدعي الشيخ . كانت في رأس الشارع ، أما الكلب الشرس الأسود ، فكان يصول ويجول في الشارع مطارداً كل شيء ، القطط والعصافير والأطفال . وحتى أمي رأيتها تطل برأسها فقــط من باب دارنا ، كانت تريــد أن تناديني لكنها خافت أن ينقض عليها فدخلت وأغلقت الباب .

علي : تعرفون ان الشيخ يساندها .



الطفل ١ : نعم ، وعندما رآنا طردنا بنفسه . وركض كالأطفال وراءنا . مرة قال : إنكم رجال ، وأصبحتم في سن تخولكم العقاب ، إن آباءكم ليسوا مسؤولين عنكم . لقد بلغتم سن الرشد . لكننا أخرجنا له ألسنتنا وهربنا .

علي : إنه معتوه .

الطفل ٢ : عم علي . هل تعرف لماذا ناديناك ؟

علي : ( بشفتيه فقط ) أمممم .

الطفل ٢ : تروي لنـــا كيف استطعت أن تقتل الكلب . هل صحيح أنك ضربته بالمطرقة ؟

علي : ( متوجهاً الى الجمهور ) الحكاية بسيطة ( ثم الى الأطفال ) هذا أمر

بسيط سأحكيه لكم في وقت لاحق ، لأن هذا الأمر لايعنيكم بقدر مايعني هؤلاء الناس ( مشيراً الى الجمهور ) الأمر في غاية الأهمية رغم انه متخيل .

**الطفلان ٢و٤:** ( بصوت واحد ) لانفهم .

**علي** : أعرف ذلك . ولا يجب أن تفهموا . دعوا لي الآن الفرصـــة ، وأفرغوا هذه الخشبة ، أو بعبارة أخرى هذا الشـارع .

**الطفل ١** : طيب . سنفعل (لأصدقائه) هيا لنخرج ( لعلي ) عم علي ..

**علي** : نعم

**الطفل ١** : نخرج من اليمين أم من الشمال .

**علي** : من أي مكان تريدون ؟

( يتجه الأطفال نحو اليمين ، نسمع نباح كلب ، يفر الأطفال مسرعين . يضحك علي وهو يقول موجهاً كلامه للجمهور : « مايزالون يخافون من الكلب » . يتنحنح ، ويمشي بخطوات واثقة فوق الخشبة ، ثم يتوجـــه الى الجمهور ) .

**علي** : تعرفون أيها السادة ، كما قلت لكم في السابق ، أن الأمر لايعـدو كونه مجرد فعل سريع خفيف باطش . الحكاية هي هـذه : يغتنم الانسان الفرصة ، ولا يتخيل أن هناك قوانين ممنوعة تقيده . ثم تنتهي الحكاية .

لقد قال الأطفال ، الذين كانوا أمامكم قبل لحظة ، إنني أصبحت مشهوراً في الحي . هذا صحيح .. وأما كوني مغموراً فهذا شيء حقيقي كذلك .. لماذا لايقف رجل مغمور ذات يوم ،مثلي،ويقوم بعمل شجاع ( يمشي .. يسعل ) .. أنا شخصياً ، وبلا تواضع ،لاأريد

الشهرة . هذا الدور الذي أختاره لي المؤلف : قتل الكلب الأسود اللعين ؛ الذي يعني به إسرائيل ، هودور إنساني ... وإنه ليشرفني فقط القيام بهذا الدور ، دون أدنى مكافأة . وأتمنى أن أجد فيكم الشجاعة قبل أن نكمل المسرحيـــة في أن تنادوا معي بسقوط إسرائيل هكذا ( يلوح بقبضة يده ) .

الموت لاسرائيل .

الجمهور ......

علي : الموت لمؤيديهـا !

الجمهور .....

علي : النصر للعرب .

الجمهور ......

علي : أيها السادة أطلب منكم الآن بعض الهدوء ، لأن المؤلف شاء إلى هذا الحد أن أنسحب ( ينسحب بهدوء الى الخلف ) .

ظلام ..

يسمع نباح ..

## المشهد الرابع

نفس المشهد الأول . باحة بيت تقليدي الخ . تدخل زهرة ورابحة وعائشة من أي جهة يشأن وهن يتحدثن .

عائشة : منظره فظيع حقاً . إنه كلب قذر . يقـــال إن الكلاب لاتموت بسهولة . لها سبعة أرواح .

زهرة : نعم ، هذا مايقال . يقتل الكلب فيرفع رأسه من جديد ، ويجر جسده ، حتى إذا ماأدرك مكاناً مظلماً اختفى فيه حتى يسترد أنفاسه وعندما يستردها لايرعوي ولا يأخذ العبرة من التجربة السابقة . يعود بنفس الوقاحة الى المكان الذي كاد أن يلاقي فيه حتفه .

رابحة : هذا ينطبق بالخصوص على الكلاب السود . إنها نذير شؤم . عندما كنت صغيرة رأيت بعيني كلباً أسود يفترس يد طفل . ياللفظاعة !

زهرةوعائشة: ( بصوت واحد ) يا للفظاعة !

زهرة : ان هذا الكلب الأسود المقتول من سلالة ذلك الكلب المفترس . لو أن الفرصة أتيحت له لأنقض على الكبار وافترسهم ، فما بالك بالصغار .

عائشة : ( باحتجاج ) لا أعتقد . إن هذا الكلب نذير شؤم حقاً ، لكنه لايستطيع أن يفعل شيئاً ، إلا ومن ورائه العجوز والشيخ . انه كلب لا كالكلاب . إذا كانت لهسبعة أرواح لأنه كلب فهذالايعني أنه قوي . إنه يقفز من وراء السور . يفاجىء الانسان ، لكن عندما يدركه أحد يتخلى عن شجاعته ويعود إلى البيت ، وإذ ذاك يحصل مايحصل .

زهرة : ماذا يحصل !

رابحة : أنت تعرفين .تظهرالعجوز البلهاء وتبدأ في صب الشتائم والاتهامات ان فلان فعل ، وابن علان فعل . ثم تهدد باللجوء إلى الشيخ ليكون شاهداً لدى رفع الدعوى ضد « المعتدي » في المحكمة .

عائشة : هذا ما كان في السابق . أما الآن ، وقد مات الكلب ، فلا يدري

أحد ماعسى أن تفعله . لطالما قالت ان حياتها لاتكون إلا بوجود هذا الكلب ، خصوصاً وأن لا أليف لها الآن في الحياة . لازوج ، ولا عشيق ولا أي شيء .

زهرة : تدعي ذلك فقط . إنها مولعة بتربية الكلاب . أصبح لديها ذلك عــادة . سترين ، بعد أسبوع أو أسبوعين ستحصل على كلب آخر .. من مكان آخر .

رابحة : ومن أدراك أن العجوز ستعيش أسبوعاً أو أسبوعين بعــد وفاة الكلب . لاشك انها ستموت عليه من الألم والحسرة .

عائشة : ستحاول أن تسجن نفسها في البيت الآن لفترة من الوقت .

زهرة : هل تعتقدين أنها تستطيع .

عائشة : لم لا !

زهرة : أنت لاتعرفينها جيداً ( صمت ) إنها مصابة بمرض الكلاب . بمرض امتلاك الكلاب . ستخرج على الفور وستبحث عن كلب ثان .

رابحة : هل عرفت بموت كلبها الأسود الملعون أم لا !

زهرة : ( وهي تضحك ) وماذا تعتقدين ! إنك لاتعرفينها . ما إن تسمعه إلا وتخرج ، فما بالك بموته .

رابحة : قيل إنها لم تخرج ولم يرها أحد . وقيل أيضاً إنها لم تكن في البيت .

زهرة : غير صحيح . كانت هناك .

رابحة : لكنها لم تخرج .

عائشة : يمكن أنها خرجت . لكن من هول الصدمة تراجعت وأغمي عليها . لأنها لاتحتمل رؤية كلبها المدلل العزيز وقد سحق .

زهرة : ان علياً عندما ضربه بالمطرقة ، تحرك بهدوء ولم يخف بل فعل كل ذلك ببرودة دم .

رابحة : لو أنها رأته لأمسكت بتلابيبه وبدأت تصرخ وتستغيث بالشيخ .

عائشة : ( بسخرية ) أنت لاتعرفينها ، تلك العجوز البلهاء . إنها حتى ولو رأته لاتفعل شيئاً . يجري الخوف في فرائصها وتلزم الصمت ، ثم تدخل لتكمش على نفسها دون حتى أن تفكر في عليّ . إنهاجبانة وخوافة .

رابحة : ترى ماذا ستفعل الآن بعد أن تتلقى النبأ !

زهرة : لقد تلقته . من المحتمل أنها تعرف .

عائشة : ( لرابحة ) إنها مولعة ، كما قالت زهرة بتربية الكلاب . إنهامريضة بتلك العادة .

أعتقد أنها ستبحث عن كلب آخر وتستريح .



زهرة : قدْ وقدْ .

رابحة : المضحك في الأمر هو أننا سنرى فيما اذا تحقق ذلك — محاكمة فريدة من نوعها ، أحد الطرفين في القضية كلب ، وفوق ذلك كلب أسود .

عائشة : لا محاكمة ولا أي شيء . العجوز ستدخل إلى جحرهـــا ، وعليّ لاشك أنه كان يعرف أن المسألة تتطلب فقط قدراً من الجرأة والشجاعة . وكان يعرف مسبقاً أن النتيجة في صالح الحي ، لا في صالح العجوز وكلبها .

رابحة : محال أن يكون قد عرف ذلك .

عائشة : ومن أدراك ؟

رابحة : تخميني .

زهرة : لاتخمني أبداً تخميناتمن هذا النوع . نستطيع أن نسأل علياًبنفسه في الأمر .

عائشة : إنه مستعد لشرح أي التباس في القضية ، وفوق ذلك ، هو شجاع وجريء أكثر من أزواجنا .

رابحة : ( تنادي جهة اليمين ) علي ، علي .

زهرة : هل ترينه ؟

رابحة : نعم . إنه هناك .

عائشة : لماذا تنادين عليه ؟

رابحة : ليشرح الموقف . ولنعرف فيما اذا كان حقيقة يدرك النتائج الحتمية لفعلته .

زهرة : ( لعائشة ) دعيها تنادي عليه ( تنادي هي بدورها جهة اليمين ) علي ، علي .

علي : ( لم يظهر بعد على الخشبة ) نعم . حاضر .

رابحة : تعال ، نحن نطلبك .

علي : ( يدخل مبتسماً ) الحكاية نفسها ؟ تردن ولا شك أن أشرح لكن شيئاً آخر عن ذلك الفعل الشجاع الجريء .

عائشة : تماماً . المسألة الآن هي : هل كنت حقاً تدرك النتائج التي تترتب عن قتلك للكلب الأسود الملعون ؟ هـذا هو السؤال .. أليس كذلك يازهرة ؟

زهوة : نعم ( موجهة كلامها لعلي ) وهل كنت تعرف مسبقاً أن العجوز لن تفعل شيئاً إذا أقدمت على ذلك العمل .

علي : إنكن تسألن في أشياء مهمة حقاً . وأنا أعرف أنكن في الواقع لاتحتجن إلىجواب بقدر ما يحتاج اليه هؤلاء الناس(مشيراً للجمهور ) أليس كذلك ؟

النساء : ( بصوت واحد ) . نعم .

( للجمهور ) إن الأمر يعنيكم .

أيها السادة .

علي : نعم . إن الأمر يعنيكم أيها السادة . وما هؤلاء النساء سوى ممثلات .

زهوة : (للجمهور) أرجو ، أيها السادة ، أن تفهموا جيداً جوانب العمل الذي أقدم عليه هذا البطل ( مشيرة لعلي ) وسيشرحه لكم رغم أنه ليس في حاجـــة الى شرح ( لعلي ) والآن سننسحب وسنترك لك المجال لتتحدث .

( يخرجن . الواحدة تلو الأخرى بهدوء وفي صف واحد )

علي : ( يسعل ) أيها السادة . السؤال هو - كما قلن - ترى هل كنت أعرف النتائج التي تترتب على قتل ذلك الكلب الأسود اللعين . الإجابة ، في نظري ، تكون حتمية بهذا الشكل . نعم . هكذا ببساطة ( يمشي كما لو كان يفكر ) كنت أعرف جيداً ، أن أي إنسان يقدم على قتل هذا الكلب سيكون قد قام بفعل انساني . إن القتل هنا ، كما يجب أن تعرفوا جيداً أيها السادة ، ليس جريمة . ولكنه فقط مجرد دفاع عن النفس . وبالفعل دافعت عن نفسي وعن الحي . وكنت أعرف مسبقاً ، أن ضربة واحدة قاضية في غفلة من الشيخ

والعجوز تجعلنا نربح الرهان ، ونعيش بعدها في اطمئنان تام .
الآن، الكلب مات . ما هو في الواقع إلا كلب مثل مئات الكلاب الضالة في العالم . وإذا كان هذا الكلب الأسود مدللا ، فإن نهايته لاتختلف في قليل أو كثير عن نهاية مئات الكلاب الأخرى الضالة.
أستسمحكم عن هذا الكلام الطويل ، ولكن ، أعتقد أنه لابد منه.
إن قتل كلب شيءصعب وسهل في نفس الوقت . وهذا شيءفكرت فيه ملياً . وفي النهاية ، وجدت أن الأمر سهل . لذلك أقدمت على ما أقدمت عليه ، وكنت في الواقع ، أنا الشخص المغمور في الحي ، أرمي من وراء ذلك الى القيام بما لم يقـــم به غيري ، رغم توفر إمكانياتهم . خذوا مثلا السيد ( صمت ) لن أذكر اسمه ( يشيربيده ورأسه نفيا ) إن هـذا السيد يملك بندقية صيد . وهو الذي عض الكلب طفله ذات يوم وخدشه في وجهه . لكنه لم يستطع أن يفعل شيئاً . استسلم للأمر وقال : أضع لابني صبغة اليود على وجهـــه وينتهي الأمر . أما أنا فقد استغربت الأمر . وقلت : الحل هو الحل ، لابد أن انفذه ، وبعد ذلك ليكن ما يكون . هـذا هو تفسير ما حدث . باختصار أيها السادة ( متوجهاً الى الجمهور بصرامة) إذا كان أحدكم يجد في نفسه الشجاعة لفعل مافعلت فليفعل . هذا كل ما في الأمر . وأرجوكم بعـــد اليوم ألا تخافوا من الكلب ( يسمع نباح ) هل ترون ؟ إنني لاأخاف من نباح الكلب .

**ستار**

# مغامرة رأس المملوك جابر

مسرحية



سعد الله ونوس

● أحاول في هذه المسرحية تجربة اخرى من تجارب «مسرح التسييس» التي بدأتها من قبل . — ينبغي هنا التنبيه الى ان هناك فارقاً كبيراً بين « المسرح السياسي » و « مسرح التسييس » ، لا مجال الآن للبحث فيه — واحدد بسرعة مفهوم هذا «المسرح » على انه حوار بين مساحتين . الأولى هي العرض المسرحي الذي تقدمه جماعة تريد ان تتواصل مع الجمهور ، وتحاوره . والثانية هي جمهور الصالة الذي تنعكس فيه كل ظواهر الواقع ومشكلاته .. وحتى الان لايزال هذا الحوار صعبا . فمن جهة ، هناك التقاليد المسرحية المبنية على الغاء مثل هذا الحوار او اقامته بصورة غير مباشرة وضمنية . وهناك ايضاً — وهذا أهم — طبيعة المتفرجين انفسهم وموانعهم الداخلية التي تحول بينهم وبين مباشرة الحوار والانسياق مع نوازعهم الداخلية التعبير عن انفسهم . لهذا فاننا نقوم بتجربة بعض الوسائل المصطنعة لتقديم مثل على امكانية مثل هذا الحوار . كأن نضع في سياق العمل متفرجين يتحدثون لحسابهم ، ويناقشون ، ويقدمون نموذجا لما يستطيعه المتفرج او لما ينبغي ان يكون عليه . طبعــاً نحن لسنا من السذاجة بحيث نعتقد — كما ظن أحد الكتاب في تعليقه على « حفلة سمر » — ان المتفرجين الحقيقيين لن يكتشفوا أن هؤلاء الذين يجلسون بينهم ، ويشتركون في النقاش والحوار هم ممثلون مدربون على ادوارهم . . ولكن كما قلت سابقاً : اننا نحاول ببعض الوسائل الاصطناعية كسر طوق الصمت ، وتقديم نموذج قد يؤدي تكراره الى تحقيق غايتنا الاساسية في اقامة حوار مرتجل وحار وحقيقي بين مساحتي المسرح : العرض والمتفرج .

ومن المؤكد ان هذه الوسائل ليست كافية وحدها ، وقد تتحول الى مجرد مسألة شكلية في التكنيك المسرحي مالم يتوفر الأمر الاهم والاساسي في اثارة الحوار وتشجيعه . وأعني أن تتوفر في العرض المسرحي — أي في

المساحة الاولى – الشروط اللازمة لاثارة الحوار .. كارتباط الموضوع بحياة المتفرج ومشاكله ، ونوع المعالجة ، وشكلها .. و.. على ان هذه الشروط لاتكفي الموهبة فقط لتحقيقها ، وانما تحتاج الى بحث طويل في ظروف البيئة وبنيتها .. وللأسف ، حتى الان لم نشرع جدياً في هذا البحث . .

اني احلم بمسرح تمتلىء فيه المساحتان . عرض تشترك فيه الصالة عبر حوار مرتجل وغني يؤدي في النهاية الى هذا الاحساس العميق بجماعيتنا وبطبيعة قدرنا ووحدته .

• هذه المسرحية ليست الا مشروع عمل لن يتم الا بعـــد ان تتوفر له مجموعة متجانسة ولها رؤيتها . تقوم ببنائه وبلورة امكانياته من خلال بحث دؤوب لا تتوقف حدوده عند الهواجس الجمالية ، بل تتعداها الى المشكلات السياسية والاجتماعية للواقع . ان كل تجربة عرض لهذه المسرحية ينبغي أن تكون في نفس الوقت تجربة بحث في ظروف البيئة الراهنة ، وشروط الاتصال بالمتفرج والتفاعل معه . دون ذلك هذه المسرحية تفقـــد كل مبرراتها و قيمتها ايضاً .

• عندما اقول ان هذه المسرحية ليست الا مشروعاً للعمل ، فانني أعني وجود بعض الثغرات والمساحات الفارغة التي تركت عمداً كي يملأهـــا « العرض المسرحي » بما يلائم الظرف والمكان . ليست لهذه المسرحية بداية دقيقة ، والسياق نفسه يمكن ألا يتخذ شكلاً صارماً ومعمارياً . نحن في مقهى .. والمقهى ليس مكاناً للحدث المسرحي ، بل هو المسرح نفسه خشبة وصالة . والجو الذي يسوده له دور صميمي في المسرحية . فمن خلاله سنعمد الى كسر الطوق اليابس للعرض المسرحي ، وسنتخلص من طقوس العمل الدائري التام، لنبعث بعد ذلك نوعاً من الالفة بين المتفرجين يتيح لنا تقديم صورة عفوية تتخللها حكاية ذات مغزى . لهذا فان البداية ليست مرهونة بساعة معينة او بافتتاح صارم . اننا نبدأ فقط عندما يعم احساس منشود بالالفة ، وتتلاشى الغرابة الاولى التي يحسها المرء حين يجد نفسه وسط جماعة هي الاخرى بمجموعها تحس بالغربة ازاء قصة وشخصيات ومناظر تراها لأول مرة .

باختصار اني اقترح شكل « سهرة المنوعات » لعرض مسرحي، ولاشك

ان جو المقهى يتيح لنا فرصة ممتازة لذلك . وهذا الشكل لايلتصق بهذه المسرحية فقط ، وانما يمكن التوسع فيه واستنفاد امكانياته في اعمال كثيرة . لأن المهم في النهاية هو ان نتجاوز شكلاً صارماً لمسرح .. حتى الان لايزال المتفرج عندنا يجد نفسه غريباً إزاءه، وهو يبذل مجهوداً خاصاً – مجهوداً ثقافياً بالطبع – كي يتلاءم مع هذا الشكل او يألفه .

• وباعتبار ما سبق ، فان كل احاديث الزبائن ، وتدخلهم في مجريات الاحداث وتعليقاتهم ليست الا اقتراحات ، او ماهيته وسيلة اصطناعية لتشجيع المتفرج على الكلام والارتجال والحوار .. ولهذا فن الممكن على ضوء اي اخراج جديد ان يعاد النظر في هذه الأحاديث ، أو ان تبدل صيغتها ، وتحول الى العامية . .

• يمكن تقديم هذه المسرحية في اي مكان ، وفي أية مساحة .. انا أضعها الان في مقهى ، ولكن ذلك لايمنع من تقديمها في اي مكان . .

• وبكلمة واحدة . . اني أبحث عن عرض حي لحكاية تهمنا جميعــاً . . ولذا اتصور استخدام كل الوسائل الممكنة كي نصل الى هذا العرض الحي الذي أتمناه « فرجة » ممتعة ومفيدة تدفع المتفرج الى تأمل مصيره .

( نحن في مقهى شعبي .. ثمة مجموعة من الزبائن يتفرقون على المقاعد المبعثرة في أرجاء المقهى .. معظمهم يدخنون النرجيلة ، ويشربون الشاي . وبينهم يروح الخادم ويجيء حاملاً صواني الشاي أو القهوة . . انه لن يتوقف عن الرواح والمجيء طوال السهرة .

يسيطر على المقهى جو من التراخي والفوضى الشعبية . وتسود ضجة الكلام مختلطة بقرقرة النراجيل ، وبأغان تنبعث من راديو عتيق في المقهى .

الأغاني تلعب دوراً هاماً في تهيئة الجو لبدء المسرحية . إنها ستتيح لنا الفرصة لتحقيق التآلف الذي يمهد للبدء بحكاية السهرة . ينبغي أن يحس المتفرجون بنوع من الاسترخاء ، وربما الطرب شأنهم في ذلك شأن زبائن المقهى .

وكما قلت في الملاحظات السابقة . . ليست هناك ساعة معينة للبدء . فالأغاني التي تذاع يمكن أن تطول فترتها أو تقصر حسب تقدير العاملين في المسرحية . . . كما سيتم اختيار هذه الأغاني عند تقديم العمل ، ووفقاً للظروف التي يقدم فيها . . )

**زبون ١ :** ( يصفق ) يا أبو محمد [(١)]

**الخادم :** نعم

**زبون ١ :** فنجان شاي ثقيل وفارة .

**الخادم :** حاضر

( تنتهي أغنية ، وتبدأ أغنية أخرى . . الضوضاء تنتشر في المقهى . كلام وأحاديث جانبية وقرقرة نراجيل وسعلات جافة . . وأحياناً نسمع بعض الحوارات الجانبية التي تعلو فوق الأغنية )

---

(١) كلام الزبائن رغم أني أضعه بالفصحى ، يجب أن يؤدى بالعامية . . وكما قلت ، يمكن أيضاً إجراء بعض التعديلات عليه ، وإضافة بعض العبارات المرتجلة خلال تجربة العرض . . والمهم بالنسبة لي هو التأكيد على عفويته . . وعدم تسلسله . . وتقطعه بفجوات من الصمت .

زبون ٢ : صحيح .. شفت اليوم أبوابراهيم ، وبعث لك سلام معي .

زبون ٣ : الله يسلمك ويسلمه . كيف حاله ؟

زبون ٢ : مسكين لايزال مهموماً ، ولا يعرف كيف يدبر أحواله .

زبون ٣ : الله يساعده ويساعدنا .. ومن منا خال من الهم .

زبون ٢ : في هذه الأيام .. والله لاأحد ..

زبون ٤ : ياأبومحمد .. هات اثنين شاي ..

الخادم : ( مقترباً بصينية الشاي من زبون ١ ) حاضر

زبون ١ : الشاي خفيف .

الخادم : هذا خفيف . والله مثل الدبس . على كلٍّ هل تريد أن أبدله ؟

زبون ١ : لا . ماشي الحال .

( تسود ضجة الأغنية فترة يبدو فيها الحاضرون وكأنهم يصغون باستمتاع . تظل الرؤوس تتقارب في أحاديث جانبية .. )

زبون ٤ : تأخر مونس الحكواتي .. ما القصة !



الخادم : لاتخف .. العم مونس كالساعة لايقدم ولا يؤخر .. بين لحظة ولحظة ستراه آتياً يحمل كتابه .

زبون ٣ : والله نعيش من قلة الموت .

زبون ٢ : ماذا نفعل ؟ الأمر بيد الله والمهم سترة الآخرة .

زبون ١ : ثارة ..

الخادم : حاضر .

( تنتهي أغنية .. وتبدأ أغنية جديدة .. )

زبون ٥ : ألن يأتي العم مونس اليوم !

زبون ١ : لم يتخلف يوماً منذ عرفناه .

الخادم : ( وهو يضع جرة على نرجيلة الزبون ) مونس آت لاريب كعادته .

( الوصلة الغنائية مستمرة ، ومعها الضوضاء العادية للمقهى . الخادم لايكف عن الدوران حاملاً إما صينية شاي أو موقد الفحم ) .

زبون ٤ : اليوم سيبدأ العم مونس حكاية جديدة .

زبون ٢ : حكاية البارحة كانت قاتمة النهاية .

زبون ٣ : من زمان ماسمعنا من العم مونس حكاية تفرح السامع .

الخادم : ( من طرف المقهى ) هاهو العم مونس . كل الزبائن ينتظرون تشريفك .

أصوات : ( تتدافع . وتحدث جلبة مختلطة ) – أهلاً وسهلاً .

– جاء العم مونس .

– بان القمر .

– السهرات مضجرة لولا رواياتك .

الحكواتي : ( رافعاً يده للجميع ) السلام عليكم .

( يتقدم بحركة بطيئة ، حاملاً بيده كتاباً سميكاً وعتيقاً )

الزبائن : ( معاً ، وبشكل متفاوت ) وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

زبون ٢ : إي والله لولا العم مونس ما كنا نعرف كيف نقضي السهرة ..

الحكواتي : من ألطافكم .

( العم مونس رجل تجاوز الخمسين . حركاته بطيئة ، وجهه يشبه صفحة من الكتاب القديم الذي يتأبطه . التعابير في ملامحه ممحوة ، حتى ليحس المرء أنه بإزاء وجه من شمع أغبر . عيناه جامدتا النظرة ، ورغم اختباط لونيها ، فانها توحيان بالحياد البارد . على العموم .. ام تعبير يمكن أن نلحظه في وجه مونس الحكواتي هو الحياد البارد الذي سيحافظ عليه تقريباً خلال السهرة كلها )

زبون ٥ : اقفل الراديو مادام العم مونس قد وصل .

الخادم : سنقفله .. سنقفله . ولكن دعوا العم مونس يشربَ فنجاناً من الشاي ، ويرتاح قليلاً قبل أن يبدأ .

الزبائن : والله حق

— شاي للعم مونس

— وهات لنا نحن أيضاً شاي ..

( تخفت الأغنية ثم تتوقف بعد وقت . يأخذ العم مونس مكانه ، ويضع كتابه في حجره مواجهاً الزبائن الذين بدؤوا يعدلون من أوضاعهم ، ويزيحون الكراسي ، كي يكونوا في مواجهة الحكواتي ، وأكثر تهيؤاً للاستماع إليه . كل شيء يتم بعفوية . الخادم يحضر الشاي للعم مونس ) .

زبون ٤ : هات نارة يا أبو محمد .

زبون ٢ : ( وهو يخرج من جيبه ورقة ملفوفة ) وخذ هذا التنباك .. حضر لي نفساً على ذوقك .



( الخادم يروح ويجيء موزعاً كلمة « حاضر » لكل طلب جديد )

زبون ٣ : إي .. وماذا يحمل لنا العم مونس هذه الليلة ؟

زبون ٢ : هذه المرة جاء دورها .

زبون ٣ : تقصد السيرة !

زبون ٢ : طبعاً سيرة الظاهر . نفذ صبرنا . ونحن ننتظرها .

زبون ١ : إي والله صار أوان سيرة الظاهر بيبرس .

زبون ٣ : ياعيني على أيام الظاهر .

زبون ١ : أيام البطولات والانتصارات .

زبون ٣ : أيام الأمان وعز الناس وازدهار أحوالها .

زبون ٢ : من زمان ونحن ننتظر سيرة الظاهر .

زبون ١ : إي ياعم مونس .. هل تحمل سيرة الظاهر أم لا .؟

الحكواتي : ( بهدوء،وهو يشرب الشاي ) ماجاء دور الظاهر بعد

الزبائن : ( اصواتهم مختلطة ) ـ ماجاء دور الظاهر بعد !

ـ ننتظرها منذ نهاية الصيف الماضي .

ـ كل مرة نطلبها تقول ماجاء دور الظاهر بعد .

ـ بالله قل لنا .. متى سيأتي دور الظاهر إذن ؟.

الحكواتي : قدامنا حكايات كثيرة قبل أن نصل الى سيرة الظاهر .

زبون ١ : اقلب هذه الحكايات ، وافتح كتابك على سيرته .

زبون ٢ : جفت قلوبنا يارجل .. نريد أن نسمع عن البطولات ..

زبون ٣ : وأخبار الانتصارات .

زبون ١ : نريد أن نسمع عن الحق الذي يغلب الباطل .



زبون ٥ : والعدل الذي يغلب الظلم .

زبون ٣ : ياعيني على أيام الظاهر ..

زبون ١ : اقلب صفحات كتابك ياعم مونس ، وافتح على سيرته .

الحكواتي : ( نفس الصوت الهادىء ) الحكايات مربوطة بعضها ببعض . لاتأتي واحدة قبل الاخرى . سيرة الظاهر يجيء دورها عندما نفرغ من قصص الزمان الذي بدأنا حكايته .

زبون ٢ : أي زمان !

الحكواتي : زمان الاضطراب والفوضى .

زبون ٢ : هذا الزمان نعيشه .

زبون ١ : نذوق مرارته كل لحظة .

زبون ٣ : فلا أقل من أن ننسى همنا في حكاية مفرحة .

زبون ٢ : حكاية البارحة كانت كئيبة يسودُّ لها قلب السامع .

الحكواتي : هذه الحكايات ضرورية .

الزبائن : ضرورية !

الحكواتي : وينبغي ان نرويها ..

زبون ٢ : لماذا ينبغي ان نرويها ؟

الحكواتي : لأنها .. في تسلسل الكتاب ، هي التي تقود الى زمن الحكايات المفرحة .. لكل شيء أوان وسيرة الظاهر دورها بعد قصص هذا الزمان . لا تخافوا .. ستأتي سيرة الظاهر .. وستسمعونها ليلات وليلات .. لكن القصص مرهونة بتسلسلها وأوانها .. لكل قصة أوان ( يفرغ من فنجان الشاي ) والآن .. نفتتح الكتاب ، ونبدأ بالسلام على النبي ..



الزبائن : ( في طبقات صوتية متفاوتة ) اللهم صلي على النبي .

ـ الف الصلاة والسلام على النبي .

زبون ١ : وإذن خاب الأمل بسماع حكاية الظاهر .

زبون ٣ : ياسيدي ما دام العم مونس موجوداً ، سنسمعها عاجلاً او آجلاً .

زبون ٢ : ألم ينته تحضير النفس يا ابو محمد !

الخادم : حالاً .

زبون ١ : انما الرجاء الآن أن تكون الحكاية طيبة .

الحكواتي : تسمعون وتحكمون بأنفسكم .

الزبائن : يا الله ياسيدي ..

ـ هات وأسمعنا .

**الحكواتي :** ( يبسمل بصوت خافت ، وعندما يبدأ القراءة يتضح جيداً الحياد البارد الذي ينضح من صوته ومن تعابير وجهه كلها ) ياسادة يا كرام .. قال الراوي وهو الديناري رحمه الله تعالى ..

**الزبائن :** آمين ..

ـ والله تستحق روحه الرحمة .

ـ حكايات الديناري حبل لا ينقطع .

**الحكواتي :** قال الراوي .. كان في قديم الزمان وسالف العصر والأوان خليفة في بغداد يدعى شعبان المقتدر بالله وله وزير يقال له محمد العلقمي . وكان العصر كالبحر الهائج لا يستقر على وضع . والناس فيه يبدون و كأنهم في التيه . يبيتون على حال ، ويستيقظون على حال . تعبوا من كثرة ما شهدوا من تقلبات ، وما تعاقب عليهم من أحداث . تنفجر من حولهم الاوضاع فلا يعرفون لماذا انفجرت ، ثم تهدأ حيناً من الزمن فلا يعرفون لماذا هدأت . يتفرجون على ما يجري ، لكنهم لا يتدخلون فيما يجري .. ومع الأيام اعتقدوا انهم اكتشفوا سر الأمان في مثل هذه الأزمان ، فقنعوا بما اكتشفوا ، ورتبوا حياتهم على اساس ما اعتقدوه أسلم الطرق الى الأمان .

( يدخل خمسة ممثلين .. ثلاثة رجال وامرأتان .. يمثلون جميعاً اهالي بغداد في ذلك الزمان . يتقدمون من الزبائن ، ويتوزعون امامهم ) ..

**الرجل الأول:** عندما يجلس على العرش الخليفة لا احد يطلب من عامة بغداد رأياً او نصيحة .

الرجل الثاني : وعندما يسمي الخليفة وزيره يأمرنا بطاعته .
المجموعة : فنطيعه .
الرجل الثالث : وإن غضب الخليفة من وزيره ، وأفلح في عزله .
المجموعة : أيدنا الخليفة ، واعرضنا عن وزيره .
الرجل الثاني : وكذلك الحال بالنسبة لقاضي القضاة .
الرجل الثالث : وكذلك الحال بالنسبة للقواد والولاة .
المجموعة : لا يطلبون من عامة بغداد رأياً او نصيحة .
الرجل الأول : يأمروننا بالبيعة .
المجموعة : فنبايع
الرجل الثاني : ويأمروننا بالطاعة .
المجموعة : فنطيع
المرأة الأولى : ذلك هو سر الأمان في هذا الزمان .

الرجل الثالث : تعاشاه من الجلادين وسياطهم المرصعة بالمسامير .
الرجل الأول : ومن حراب الحراس وعيونهم الزجاجية
المرأة الثانية : ومن السجون التي لا تنفتح ابوابها إلا الى الداخل .
المرأة الأولى : من اين نطعم اولادنا إن اهترأ رجالنا تحت السياط ووخز الحراب؟
المرأة الثانية : وماذا نفعل إن انطبقت ابواب السجون على أحبتنا ؟
الرجل الثالث : وتعودنا تغير الاوضاع .
الرجل الثاني : وتعاقب الخلفاء والوزراء .
المرأة الثانية : وقتل الرجال لأتفه الاسباب
المرأة الأولى : وغياب رجال لكذبة أو وشاية .

الرجل الثالث : مالنا نحن وشؤون السادة .

الرجل الأول : يأمروننا أن نبايع .

المجموعة : فنبايع .

الرجل الثاني : يأمروننا أن نطيع .

المجموعة : فنطيع

الرجل الثالث : وفي هذا العصر المضطرب من يعرف اليقين ؟

المجموعة : ونحن عامة بغداد آثرنا السلامة والأمان . ننزف دماءنا الليل والنهار بحثاً عن لقمة العيش . ومحظوظ من تتوفر له في بغداد لقمة العيش .

( بحركات بطيئة ينسحب الممثلون خارجين من المكان ) .

زبون ٢ : إي .. والله كأن الأحوال لا راحت ولا جاءت .

زبون ٣ : ياسيدي من زمان هذا هو طريق الأمان .



زبون ٤ : هات واحد شاي كان .

الخادم : حاضر .

الحكواتي : هكذا كان حال الناس في بغداد في سالف العصر والأوان حين كان الخليفة شعبان المقتدر بالله ووزيره محمد العلقمي على وفاق . وكذلك كان حالهم حين بدأ بينهما الخلاف والشقاق . وفي البداية كان الخلاف سراً ، ثم انفجر ، وبدأ يشيع في ردهات القصور ، وينتقل منها إلى المدينة وأسماع الناس . وكان عند الوزير محمد العلقمي مملوك يقال له جابر . ولد ذكي .. وذكاؤه وقاد . أينما حل يحل معه اللهو والمجون .. وكان كأهل بغداد آخر من يعنيه ما يجري بين الخليفة وسيده الوزير .

( يدخل ممثلان يحملان قطع ديكور بسيطة جداً تشكل ما يشبه

رواقاً في قصر بغداد . ويمكن هنا وفي كل المشاهد التالية الاستعاضة عن قطع الديكور بلوحات مرسومة . بعد تركيب المشهد . يلتقي الممثلان في المقدمة . الأول يمثل المملوك جابر . شاب تجاوز الخامسة والعشرين من عمره ، معتدل القامة ، شديد الحيوية ، يمتاز بملامح دقيقة وذكية . في عينيه خاصة يتراءى بريق نفاذ يوضح انطباع الذكاء ، ويؤكده . أما الثاني فهو المملوك منصور في حوالي الخامسة والثلاثين من عمره أو أكثر قليلاً . قامة قصيرة ، وبنية قوية . ملامح وجهه الحادة تشف عن وداعة وطيبة ) .

جابر : ( يتقدم نحو رفيقه لاهياً .. مدندناً ) عندما أصبح للمسلمين خليفة سأسميك وزيراً للدولة

منصور : هس .. لو سمعك سيدنا وهو في هــذه الحالة ، لأمر بجلدك حتى يهترىء جلدك .

جابر : ( يفرك مؤخرته بباطن كفه ، وكأنه يساط فعلا ) ولم كفى الله الشر !

منصور : ألا ترى ما يجري ! سيدنا الوزير متكدر المزاج للغاية .

جابر : أعرف انه متكدر المزاج .. وأن الحظ يبتسم لجاريته وشمس النهار .

منصور : ولماذا يبتسم الحظ لجاريته شمس النهار ؟..

جابر : ( هامساً في اذنه ، وعلى وجهه تتخايل ابتسامة الخبث ) لأن سيدنا الوزير لا يشبع من وصالها عندما يتكدر مزاجه . لو استمر الحال كذلك ، فستصبح شمس النهار سيدة كل شيء في هذا القصر .

منصور : ( يهز رأسه ) كف عن الهذار ياجابر .

جابر : وحياتك ليس هذراً . خادمتها زمرد هي التي تنقل إليّ الأخبار . لقد روت لي أشياء وأشياء ( تبرق عيناه ) آه .. من هـذه البنت يامنصور . لها طريقة لاتجارى في رواية الأخبار . ( يؤدي مع الكلام حركات تمثيلية ) تغمز ، وتضحك ، وتتثنى جسدها مع الكلام حتى يغلي دم السامع . في كل مرة أراها تجعلني أخور كالثور . إنها

محنكة كسيدتها . تمنيني بالوعود ، لكنها لاتترك لي سبيلاالوصال .

منصور : ( متأففاً ) انظروا ماذا يشغله الآن !

جابر : وماذا تريد أن يشغلني ؟.

منصور : ألا ترى أن الأمور لاتجري على ما يرام .!

جابر : ومتى كانت الأمور تجري على مايرام !

منصور : هذه المرة يختلف الحال . تعقد الوضع ، وأصبح في غاية الاضطراب .

جابر : يستطيع الوضع أن يتعقد ، ويضطرب حتى يصبح كمياه دجلة ، ولكن بعيداً عني .

منصور : بعيداً عنك ! الأحوال تضطرب بيننا ومن حولنا . ان الخلاف على أشده بين الخليفة والوزير .

جابر : وما لنا نحن ! هل تريد أن نمنعهما من الاختلاف ؟

منصور : ومن نحن حتى نتدخل بين الخليفة والوزير !

جابر : إذن .. ليختلفا ، وليفقأ كل منهما عين الآخر . لن ألطم خدي ، وأمزق ثيابي لأن الخليفة والوزير مختلفان .

منصور : هس .. ( ويتلفت حوله خائفاً أن يكون من حولها سامع ) اغسل فمك ، وإلا رموا عنقك . لن أندهش لو رأيتك يوماً مقطوع اللسان .

جابر : وأنا لن أندهش لو رأيتك مشنوقاً لأسباب سياسية . أم نسيت أن المشانق في بغداد لاتنشطها إلا الأسباب السياسية . ما الذي يعنيك في خصام الخليفة والوزير حتى تنشغل الى هذا الحد .؟(لحظة،وبحيوية) اسمع .. لقد بدلت رأيي .

منصور : بدّلت رأيك .؟

جابر : لا يعجبني اهتمامك بهذه الشؤون . ستكون بارعاً في حوك المؤامرات لو سميتك وزيري . ( يبدأ منصور بالتأفف ، ويحاول مقاطعته ، لكن «جابر» يتابع بنفس المرح ) عندما اصبح خليفة سأبحث عن وزير غبي وأمين . ذلك أضمن .

منصور : هو .. هو .. بالله دعنا من مزاحك .

جابر : ولكن لا أفهم لماذا تبدو كالصوص الغارق في الماء ! كل هذا لأن الخليفة والوزير مختلفان .

منصور : وصل الخلاف حداً شديد العنف .

جابر : ينبغي أن يكون الخلاف شديد العنف كي يليق بخليفة ووزير .

منصور : وإذن لا تقدر الخطر الذي يحيط بنا . النتيجة هي الأخرى ستكون عنيفة . من رأى سيدنا الوزير يخرج من الديوان أمس ، حسب أن عاصفة تهب . كان قاني العينين كامد الوجه ، يقضم شاربه بأسنانه



جابر : إذا بدأ سيدنا الوزير يقضم شاربه بأسنانه ، فهو ينوي شيئاً مريباً دون شك .

منصور : فور خروجه بادر الى الاتصال بأصحابه . لا أحد يعلم ما يجري إلا أنني أشم رائحة خطر عظيم .

جابر : لو ذبح احدهما الآخر ، فستصبح في بغداد وظيفة شاغرة .

منصور : ونحن ؟ .. هل فكرت ماذا سيحل بنا ؟

جابر : ماذا سيحل بنا ! ننزوي جانباً ، ونتفرج .

منصور : قد تتفرج على جهنم قبل ذلك .. بالله كيف تريدنا أن نتفرج على فتنة تقع بين الخليفة وسيدنا الوزير .

جابر : كما يتفرج كل الناس .. نفتح أعيننا ونتسلى بمتابعة مايجري

منصور : ويريد ان يتسلى أيضاً ! أما مجنون .. هل فكرت في مصيرنا لو شبت نار الفتنة .

جابر : وماعلاقة مصيرنا ! قد تنفجر مرارة سيدنا الوزير من الكمد .. أو يتوقف قلب مولانا الخليفة من الغضب ، أما نحن ، فلن تنفجر لنا مرارة ، او يتوقف لنا قلب .

منصور : من السهل أن تقول ذلك ؛ ولكن لو اندلعت النار ، فسنكون الحطب الذي يغذيها .

جابر : يغذي النار من أوقدها .. ولم كل هذا القلق ! تستطيع أن تتدفأ بالنار بدلا من ان تحرق اصابعك بها .



منصور : لن نستطيع .. سيجروننا وراءهم .. وسنجد أنفسنا فجأة وسط اللهب .. في النهاية نحن من يدفع الثمن .

جابر : وماأدراك ! ربما قبضنا بدلا من أن ندفع .

منصور : أهذا ماتأمله ؟

جابر : ولم لا .. لكل عملة وجهان . والمهم أن تميل في الوقت المناسب الى الوجه الكاسب ..

زبون١ : ابن زمانه ..

زبون٢ : هذا المملوك شيطان .

جابر : ( اثناء حديث الزبونين ، يكون لايزال منغمراً في متابعة مجرى مايريد قوله .. تبرق عيناه .. وقد خطرت له فكرة مفاجئة ) أقول لك .. تعال نتراهن !

منصور : وعلام نتراهن؟..

جابر : على الوجه الكاسب .. انتظر .. انتظر ( يزداد بريق عينيه .. وهو يفتش في جيوبه ) اللعنة نسيت اني أعطيت كل ماأملك لزمرد . آه من النساء يتجملن بنقودنا ليأخذن نقودنامرة أخرى.. ألديك قرش؟ فتش في جيبك عن قرش ..

منصور : ( يتابعه ببلاهة ) ماذا تريد أن تفعل ؟

جابر : ( يمد يده ملحاً والبريق يتقد في عينيه ) هات قرشاً ، وسترى ..

منصور : لن أعطيك قرشاً هكذا لوجه الله ..

جابر : لاتخف . قرشك محفوظ ، ولن آخذه . ( يخرج منصور على مضض قرشاً من جيبه ، فيخطفه جابر ، ويفركه بين أصابعه .. انه يبدأ لعبة.. حركاته تتسارع ، وكذلك كلماته ) انظر . الحكومة كلها في هذا القرش.. ( يتوقف الخادم فجأة وهو يحمل صينية ويلتفت ناحية المثلين متابعاً لعبتهم باهتمام .. )



زبون : بعّد من قدامنا ياأبو محمد .

( يغير الخادم مكانه .. بينما جابر يوالي كلامه ولعبته دون ان يتوقف )

جابر : الخلافة والوزارة معاً . الوجه الأول يمثل الخليفة ، والوجه الثاني يمثل الوزير . كلاهما في هذا القرش ، فلنتراهن على الكاسب . ( يرميه في الجو . ثم يلتقطه ، ويخفيه بين راحتي يديه ) أيها تختار ! الوجه الأول أم الثاني ؟ الخليفة أم الوزير ؟ يالله .. اختر أحد الوجهين . كل الدولة في هذا القرش . الخليفة أم الوزير ؟ ( لحظة) أخمن انك ستقول الخليفة .

منصور : ( انساق مع جابر على غفلة منه . تفاجئه العبارة ) ماالذي يجعلك تخمن ذلك ؟

جابر : أعرف كيف تفكر . تحسب ان الخليفة لمجرد انه خليفة هو دائماً أقوى . لا .. لاتعتمد على ظواهر الأمور . فكم من خليفـــة لايقدم ولايؤخر مثقال ذرة . له من الخلافة اسمها وسرايا الحريم فقط . معاذ الله ان أقصد مولانا الخليفة بسوء . لكن أحذرك من الاعتماد على ظواهر الأمور . والآن ماذا قلت ؟ .. هل بدأت تميل نحو سيدنا الوزير !

منصور : ( لايزال منساقاً ببلاهة مع اللعبة . وعلى وجهه انزعاج وضيق ) أميل نحو سيدنا الوزير ؟

جابر : ربما .. ولكن تذكر أن هـذا الأمر أيضاً مخاطره . اذا كانت مؤخرة الخليفة تملأ العرش وعلى مقاسه ، فقد راهنت على وجه خاسر .

منصور : ( منتبها الى نفسه . بدأ يغضب ) لم أراهن على أحد .. ولم أقل شيئاً.

جابر : ماذا تنتظر إذن ؟ التردد هو الآخر لمغبته . الخليفة أم الوزير ؟.

منصور : ( ملتفتاً حوله ) أعوذ بالله .. أرجو أن أحداً لا يرانا أو يسمعنا .

جابر : هدىء أعصابك ولا تفسد الرهان . الربح قرش .. والخسارة قرش . وبينهما خليفة المسلمين ووزيرهم معلقان . فقل كلمة وخلصنا .

منصور : لعنة الله عليك . لم أر في حياتي أكثر منك مجوناً . ردّ لي قرشي.

جابر : قد أكسبه لو أخطأت التخمين يصبح قرشين

منصور : لا أريد أن أخمن .. هات قرشي .

جابر : ولماذا لا تفك عقدة وجهك يا منصور ؟ دعنا نتسلّ قليلاً . طيب.

إذا شئت سألعب بمفردي .. وسأقول ( يتلكأ ) ماذا أقول ؟. وما الفرق ! لنقل ... ( وبعد لحظه ) الخليفة ( يرفع كفه التي تخفي القرش ، وينظر ... يتخذ صوته طابعاً مأساويا نادبا ) يا خيبتي ... إنه الوزير .. فليبكِ المسلمون إذن خليفتهم . أراهم يحزّون عنقه ويسيل الدم كالنافورة .

منصور : ( مرتبكا . وفي غاية الحرج والضيق ) أستغفر الله العظيم ...

جابر : معنى ذلك أننا نرتفع مرتبة . إذا علا مقام سيدنا الوزير ، يعلو أيضاً مقام مماليكه . لكن شوطاً واحداً لا يكفي . السباق الصحيح لا يستقيم إلا بثلاثة أشواط . والآن إلى الشوط الثاني . لنرم القرش مرة أخرى . ( يرمي القرش برشاقة . يهم منصور بخطفه ، لكن جابراً يلتقطه كالمرة السابقة ويخفيه بين كفيه ... ) ساعدني يا منصور . قل شيئاً .



منصور : لن أشترك في عبثك وجنونك . الخطر يحيط بنا كالهواء ، وأنت تلعب . رد لي قرشي .

جابر : انتظر .. انتظر . يجب أن نعرف النتيجة . والآن ماذا أقول . لو تكرر ظهور الوزير تنتهي اللعبة . ( موجهاً الكلام إلى القرش المختفي بين يديه ) على أي وجه تستقر أيها القرش . ستقرر مصير دولة بأسرها . أعرف أن تقلباتك مجنونة لا يحكمها ضابط ، ولكن قد يجعلنا الحظ نتلاقى . وجدتك ميالا الى الوزير . فلنراهن اذن على الوزير (الى منصور) تعال وانظر .. ( ويبدأ يرفع كفه تدريجياً ) بأي وجه ستطالعنا .. بأي وجه .. بأي

وجه .. أنه الخليفة . واحـدة بواحدة . بقي شوط أخير وعليه تتوقف أمور كثيرة .

( يفرك جابر القرش ، ثم يرميه من جديد ، لكن « منصور » يسرع ، فيلتقطه غاضباً ، ويضعه في جيبه .. )

منصور : ( وهو ينسحب ) لعنة الله عليك .. لاحدّ لاستهتارك .

جابر : بقي شوط واحد فلم تفسد لعبتنا ! ( يبتعد منصور ولايجيبـه . فيلتفت جابر صوب الزبائن ، متأهباً بدوره للانسحاب ) لو أعرف فقط ماالذي يعنيه في خلاف ينشب بين الخليفة والوزير ! .

( ثم يهز كتفيه ويمضي .. )

زبون : (لجاره) ماقولك .. والله ولد ابن زمانه .

زبون٢ : لاشيء يشغل باله

زبون١ : لاخليفة ولاوزير



الخادم : ( وهو يدور بالموقد ) نارة

زبون٢ : تعب قلب ووجع رأس بلا فائدة ..

زبون٣ : تعال هنا ..

( الخادم يقترب من الزبون الذي يناديه ، حاملا الملقط وموقد النار )

الحكواتي: ( يستأنف بعد أن يخلو المسرح ) هذا مابدا من المماوك جابر حين سمع عن الخلاف الدائر . وكانت الأمور تتطور بسرعة، وتشيـع الانباء بين الناس كالوباء . فقد قضى الخليفة ليله مجتمعاً بقواد الأمن . وفي الصباح ظهرت في بغداد إجراءات حازمة ومنـذرة . وكان الوزير يرغي في ديوانه ، وحوله عدد من اصحابه ، امراء وتجار كبار .

أما أهل بغداد فما ان شاعت بينهم الانباء حتى اسرعوا كعادتهم يتزاحمون حول الافران ، ليؤمنوا خبزهم لأيام .

( يدخل الممثلون الخمسة الذين رأيناهم من قبل يمثلون أهل بغداد وهم يحملون معهم شباك فرن وبعض القطع الأخرى التي يمكن ان توحي بمنظر شارع عام . يضع الممثلون قطع الديكور ويركبونها امام المتفرجين ، يمكن هنا كما في كل المشاهد الاستعاضة عن ذلك ، باليافوهات المرسومة . بعد اعداد المنظر يبدأ التمثيل . انهم ينتظرون بنفاد صبر وقلق امام شباك الفرن . يتطلعون الى الداخل ، ويتعجلون الفران . متعبون وعلى وجوههم اضطراب وشعور عميق بانعدام الأمن ) .

**المرأة الأولى** : أف .. منذ الصباح وأطفالي وحدهم في البيت . لو كنت أعلم لحملتهم معي .

**الرجل الثالث** : انتصف النهار ونحن في الانتظار .

**الرجل الأول** : ( مادا عنقه فوق رؤوس الاخرين نحو شباك الفرن ) ولكن ماذا يفعلون بحق الله ؟ أخشى ان يكونوا نائمين .

**الرجل الثاني** : ( وهو أقربهم الى الشباك . يوجه الكلام الى الفران ) يا الله يا أبو عمر !

**صوت الفران** : ( من الداخل ) وهل ترانا نتثاءب ؟ منذ منتصف الليل لم تهدأ أيدينا .

**الرجل الأول** : ومع هذا .. نحن ننتظر منذ وقت طويل .

**صوت الفران** : ماذا نفعل ؟ .. كل واحد يطلب اليوم أضعاف حاجته .

**الرجل الأول** : أمر طبيعي في مثل هذا اليوم .

**المرأة الأولى** : اذا وقعت الواقعة فمن يعرف متى تنتهي .

صوت القوان : إذن امسحوا وجوهكم بالرحمن وانتظروا .

المرأة الثانية : ( وهي تجلس ) أف .. يبست أقدامنا ونحن ننتظر .

الرجل الثاني : ماالفائدة ! سننتظر . لابد من الخبز .

الرجل الثالث : ( يجلس بدوره ) في هذا الوقت الخبز أهم شيء . اذا توفر في بيتك ضمنت نصف السلامة .

المرأة الأولى : ووراءنا أطفال سيصرخون إن لم يجدوا لقمة الخبز .

الرجل الثاني : لن نذهب قبل ان نؤمن خبزنا لثلاثة أيام أو أربعة .

المرأة الثانية : أربعة أيام ( تتنهد ) محظوظ من يستطيع ان يشتري خبزاً لأربعة أيام .

الرجل الثاني : أختي . لاتظني بي اليسر . والله سأفرغ كيسي كله في يد الخباز .

الرجل الأول : أفضل لنا جميعاً ان نفرغ أكياسنا المزيلة الآن . بعد قليل سيصبح مافيها كالعملة الباطلة .

المرأة الأولى : ماذا تقصد ؟ .

الرجل الأول : ( خافض الصوت ، كأنه يسر لهم ) حتى الآن .. لم يرتفع سعر الخبز إلا قليلاً ، ولكن خلال ساعات ..

المرأة الثانية : ( تقاطع باندهاش وقلق ) هل رفعوا سعر الخبز ؟ ..

الرجل الأول : ألم تعلمي ؟ ..

الرجل الثالث : بدأ الغلاء مع الصباح .

الرجل الأول : رفعوا السعر قرشاً . ولكن خلال ساعات سترتفع الأسعار كالحمى وستصبح قروشنا كالعملة الباطلة .

**المرأة الثانية** : أعوذ بالله .. لاتفتح علينا هذا الباب .

**الرجل الأول** : أأنا الذي أفتحه ! كأنك لاتعرفين تجار بغداد . إنهم يزقزقون اليوم .

**الرجل الثاني** : يزقزقون . ويغردون .

**المرأة الأولى** : خزاهم الله . لو استطاعوا لأكلوا لحومنا نيئة .

**الرجل الثالث** : هذا يومهم .. ولو تطورت الأزمة لأصبح كل شيء أغلى من الذهب .

**الرجل الأول** : لو تطورت !. وماذاتسمي مايجري إذن ! إنهاتتطور وبسرعة مخيفة .

**الرجل الثاني** : فعلاً .. وإلا ماذا يعني خروج الحراس من ثكناتهم !

**المرأة الأولى** : ( تشهق ) آه .. بالله لاتذكرنا

**المرأة الثانية** : أجارنا الله .. فاجأتني وجوههم عند المنعطف ، فارتخت ساقاي، وكدت أسقط .

**المرأة الأولى** : رؤية الموت أهون .

**الرجل الثاني** : اكتسحوا الأسواق كالعاصفة . كان الناس يختفون في الجدران وهم يرتعشون .. لا أستغرب لو أن بعضهم بال في سرواله .

« بينا الحوار مستمر . يدخل رجل رابع يحمل كيساً فارغاً . ينبغي أن يقوم بدوره نفس الممثل الذي يقوم بدور منصور ، وإن بدا الآن أكبر سناً . ينضم الى الجماعة ، ويجلس واضعاً كيسه في حجره . يلتفت الآخرون اليه ، إلا أنهم لايعيرونه كبير اهتمام » .

**الرجل الثالث** : عشت عمراً طويلاً ، ومع هذا لا أذكر يوماً أن أهل بغداد لم يبولوا في سراويلهم عندما يظهر الحراس في الشوارع .

**الرجل الثاني** : أما اليوم فأكثر وأكثر ، كالعاصفة اكتسحوا المدينة ألم ترَ أسلحتهم المشهرة ووجوههم العابسة . من المؤكد أنهم ينفذون قرارات خطيرة .

**الرجل الأول** : ملؤوا الشوارع والساحات . كيفما تحرك المرء يصطدم بهم .

**المرأة الثانية** : سترك يارب .. ينتفض قلبي كلما تخيلت وجوههم .

**الرجل الثاني** : كل الظواهر تدل على أنها واقعة بين لحظة وأخرى

**المرأة الأولى** : ولا أحد يعلم ماتخبئه لنا الغد .

**الرجل الثاني** : سبحان علام الغيوب . ومن أين لنا أن نعرف ماتخبئه الغد .

**الرجل الأول** : لهذا خير مانفعله هو أن نؤمن خبزنا ، ونختفي في بيوتنا .

**الرجل الثالث** : هذا هو الصواب . نشتري أرغفتنا ، ونمضي إلى بيوتنا .

**المرأة الثانية** : ولكن متى ينتهي الخباز ، ويتركنا ننصرف ؟

**المرأة الأولى** : لو علمت أننا سننتظر كل هذا الوقت لحملت أطفالي معي .



**الرجل الأول** : ( يلقي نظرة على الرجل الرابع ) وكلما تأخروا ازدادت جمهرة الناس أمام الفرن . لن يبقى للشاطر رغيف .

**الرجل الثاني** : ( الى داخل الفرن ) أنظل واقفين يا أبو عمر ، انكسرت ظهورنا .

**صوت الفران** : عليكم بالصبر إلا إذا أردتم أن تشتروا عجيناً بدلاً من الخبز .

**الرجل الثاني** : اسمعوا .. بعد كل هذا الانتظار يريد أن يبيعنا عجيناً بدلاً من الخبز .

**المرأة الأولى** : أعوذ بالله ما هذا اليوم .

**الرجل الثالث** : لاخيار لنا . سننتظر ونحن مضطرون . في هذا الوقت الخبز أهم شيء .

المرأة الثانية : حتى ولو كان عجيناً يغص به الآكل .

الرجل الثاني : إننا منتظرون على كل حال .

( تأفف ... بعضهم ينفخ وتسود لحظات من الصمت ) .

الرجل الرابع : لامؤاخذة .. وهل بينكم من يعرف بالضبط مايجري ؟

( تلتفت اليه الجماعة ، وتتفرس فيه العيون ، كأنهم يكتشفون وجوده لأول مرة بينهم )

الرجل الأول : ( ساخراً ) بالضبط !

الرجل الثاني : ومن أين لنا أن نعرف بالضبط مايجري ؟

الرجل الأول : ألست من أهل بغداد .؟

الرجل الرابع : إي وحق الله مولود فيها ، وكذلك أبي وأجدادي .

الرجل الثاني : وإذن فأنت تعرف مانعرف . لم يعد الاضطراب سراً .

المرأة الثانية : اضطراب الأحوال كالحريق لايخفى دخانه .

الرجل الثالث : نعرف مانراه.. وما نراه هو غيوم سوداء كالفحم تخيم على بغداد.

الرجل الثاني : كل الظواهر تؤكد أن العاصفة ستهب بين لحظة وأخرى ..

المرأة الأولى : ارحم عبادك يارب ..

الرجل الثالث : وإذا هبت العاصفة ما علينا إلا أن ندخل بيوتنا ، ونغلق نوافذها جيداً .

الرجل الأول : ألم ترَ الحراس وهم يجتاحون الشوارع ؟ .

الرجل الرابع : إي وحق الله رأيتهم وتعوذت من رؤيتهم .

الرجل الأول : والتوتر ! ألم تسمع بأن الوضع متوتر .. وأن الخلاف شديد بين الخليفة والوزير .

الرجل الثاني : كلاهما متصلب أكثر من الآخر . ولا يبدو أن هناك سبيلاً للوفاق أو التراجع .

الرجل الرابع: إي وحق الله سمعت عن هذا أيضاً .

الرجلان الأول والثاني : ( معاً وبغيظ ) ما الذي تجهله إذن ؟ ..

الرجل الرابع : ما أجهله كثير . كنت أسأل إن كان بينكم من يعرف سبب الخلاف أو توتر الأوضاع ؟

الرجل الأول : يسأل عن سبب الخلاف ؟..

المرأة الأولى : وكيف يمكن أن نعرف لماذا يختلف السادة ؟

الرجل الثالث : وما علاقة أمثالنا في ذلك ..؟

المرأة الثانية : إنهما يختلفان والسلام . المهم أن نخلصنا الفر"ان ونذهب الى بيوتنا.

الرجل الرابع : وحق الله أظن من الضروري أن نسأل عن سبب الخلاف . وأن يكون لنا رأي فيه .



الرجل الثالث : أيها الرجل .. تثير شؤوناً خطيرة ، عاقبة البحث فيها وخيمة .

المرأة الأولى : هل تريد أن تدهور الناس ؟

المرأة الثانية : بالله عليك .. العب بهذه الشؤون المفزعة بعيداً عنا . من نحن حتى نسأل عن سبب الخلاف بين وزير وخليفة !

الرجل الثالث : الضروري بالنسبة لنا هو الخبز والأمان لا سبب الخلاف .

المرأة الثانية : إي والله .. هذا كل شيء .. الخبز والأمان .

المرأة الأولى : سلامة أولادنا أغلى من الدنيا كلها ..

الرجل الثاني : وما علاقتنا ؟ ابعد عن الشر وغن" له .

الرجل الرابع : ( دائماً هادىء اللهجة ، واثقاً من نفسه ) وحق الله لا أخالفكم الرأي .. ولكن طريق الخبز والأمان وأسفاه بمر في هذا السؤال .

المرأة الثانية : ( هامسة للأولى .. يبدو الضيق وكذلك الدهشة على وجوه الجميع ) ويلح في إثارة شؤونه .

المرأة الأولى : قلت لكم .. يريد أن يدهورنا .

الرجل الأول : ولماذا بمر فيه؟أتأمل أن يكون الخلاف من أجل تخفيض الضرائب !

الرجل الثاني : أو من أجل تحسين أحوال الرعية !

الرجل الثالث : عشت عمراً طويلا .. يا ما رأيت سادة يعلون وآخرين يولّون. أما عامة بغداد فحالهم هو .. هو .. وإن ضمنوا السلامة كان فوزهم عظيماً .

الرجل الأول : أمر معروف .. لا يختلف السادة من أجل عـــامة بغداد . (لحظة.. هامساً) وربما كانت الخزينة تروب .

الرجل الثاني : أو كان نزاعاً على قيادة العسكر .

الرجل الأول : أو على تعيين الولاة ..

المرأة الثانية : ( قلقة ، تحاول أن تقطع الحديث ) بالله ابعدونا عن هذا الحديث .

الرجل الأول : المهم .. لا يختلف السادة من أجل عامة بغداد .

( يظهر في الشارع حارسان مدججان بالسلاح . يبدو أنهما يقومان بأعمال الدورية . تلحظهما المرأة الثانية ، فيرتعش وجهها بالخوف .. وترتبك.. تمسك الرجل الأول وهو يتكلم من طرف سترته ، لتنبيهه.. )

الرجل الرابع : ( وكان مطرقاً ) وحق الله .. ما تقولونه ..

المرأة الثانية : ( برعب ، والحارسان يقتربان ) هس ..

**الرجل الرابع** : ( يلتبه الى اقترابها .. يغير الكلام ، ويواصل دون تلعثم .. يتابعه الآخرون بخوف ودهشة ) فلمّا حط الحمال حمولته على تلك المصطبة ليستريح خرج عليه من الباب نسيم رائق ( كلما اقترب الحارسان يعلو صوته ) ورائحة ذكية ، فاستلذ الحمال لذلك ، وجلس على جانب المصطبة فسمع نغماً وأوتاراً وعوداً وأصواتاً مطربة .

( يتوقف الحارسان قرب الجماعة ) فعندئذ تعجب وتقدم يتبع الصوت ، دفع الباب ، ودخل .. فوجد أمامه بستاناً عظيماً ، ورأى فيه غلماناً وخدماً وحشماً . ثم هبطت عليه رائحة أطعمة ذكية من جميع الألوان المختلفة والشراب الطيب ، فرفع طرفه إلى السماء ، وقال : ماذا قال .. ( يتوقف لحظة وكأنه يشوق السامعين . )

**الحارس ١** : يتسلون ، ويروون حكايات



**الحارس ٢** : أشعر بالجوع

**الحارس ١** : لم تنته النوبة .. هيا بنا ..

**الرجل الرابع** : ( يوالي .. بينما يبتعد الحارسان ) قال .. سبحانك يارب ياخالق وعندما لمح صبية ذات حسن وبهاء ، جمالها يند عن الوصف .

( يختفي الحارسان ، فيتوقف الرجل الرابع . يتنهد الجميع بارتياح ، وكأنهم خرجوا من محنة . بعضهم يجفف حبات عرق تفصدت من الوجوه )

**المرأة الأولى** : ( ساقاها ترتجفان ، فتجلس ) آه .. لاتحملني ساقاي بعد .

**المرأة الثانية** : عمري ما رأيت سحنة الحراس مخيفة مثل اليوم .

**المرأة الأولى** : سحنتهم دائماً مخيفة حتى ولو لم ينظروا إلينا .

الرجل الأول : ( بما يشبه الحنق ) أرأيت إن كان ضرورياً أن نسأل !

الرجل الثاني : لماذا لم تسألهم عن سبب الخلاف ؟

الرجل الثالث : ولكنك تصرفت بفطنة أيها الرجل .

الرجل الرابع : وحق الله أخافهم مثلكم .. وشعرت قلبي يكاد أن يتوقف . لكن أنظل كالعميان لانعرف إلى أية مهاو تدفعنا الأحداث .

المرأة الأولى : ( بعنف ) إذا كنا عمياناً ونحن بين أهلنا أفضل من أن نعمى في ظلام الزنزانات .

المرأة الثانية : بالله عليك كفى .. ألم تر بعينيك ! سنشتري خبزنا ، ونزوي مع أهلنا في بيوتنا .

الرجل الأول : لدى السادة دائماً أسباب كافية للخلاف .. أما نحن فلا ناقة لنا ولا جمل .. ( لغط بين الزبائن ، ثم يتوضح .. )



زبون ١ : هو بعينه ..

زبون ٢ : كان مع المملوك جابر .

زبون ١ : ( بصوت عال ) أخي نزّل هذا السلم عن ظهرك ..

الرجل الرابع : ( يقطع التمثيل ملتفتاً الى الزبائن ) آه .. لو أستطيع ..

زبون ٣ : هذه « سوسة » ، إذا سكنت الرأس صعب انتزاعها .

الحكواتي : ( يعلو صوته ، ليسيطر على الموقف ، فيمتنع انقطاع خيط الحكاية بالنقاش ) وتناول الرجل العجوز الكلام ، فأورد ما علمته الأيام .

الرجل الثالث : سأقول لك شيئاً .. عشت عمراً طويلا يكفي لكي يتعلم المرء كيف تجري الأمور هنا . مها اشتدت الخلافات بين سادتنا ،

وفرقت بينهم المصالح ؛ فانهم يظلون متفقين على شيء واحد ..
أتعرف ما هو أيها الرجل الذي لا تنقصه الفطنة ؟

**الرجل الرابع** : أتمنى أن أعرف ما هو ..

**الرجل الثالث** : هو ألا نتدخل نحن العامة في شؤونهم وخلافاتهم .. ولو فعلنا لتوحدوا فوراً ، واتجهوا بكل قواهم نحونا .

**المرأة الأولى** : وبعدئذ تمتلىء السجون .

**الرجل الثاني** . ويختفي الرجال .

**الرجل الرابع** : وحق الله وأنا عشت طويلا . مافات من العمر أكثر مما بقي . أعرف أن ما تقوله صحيح . أعرفه كما أعرف سجون بغداد وسياط جلاديها .

**المرأة الثانية** : هل كنت في السجن ؟

**الرجل الرابع** : إي وحق الله كنت فيه .

**المرأة الأولى** : ليس غريباً أن تعرف السجون مادمت تحب كثيراً طرح الأسئلة .

**الرجل الثاني** ، ( بانتصار ولوم ) أرأيت .. هذا كل مايجنيه المرء في النهاية .

**المرأة الثانية** : وبما أنك خرجت اعتبر نفسك مولوداً ، وتعلم ألا تتدخل فيما لا ينبغي التدخل فيه .

**الرجل الرابع** : كنت مثلكم أعتقد أن هذا ما ينبغي أن يتعلمه الانسان كي يجد طريق الامان .

**الرجل الأول** : ثم وسوس لك الشيطان ، فبدلت اعتقادك ، فاستضافتك السجون .

**الرجل الرابع** : إي وحق الله قضيت فترة ليست قصيرة في السجون .. ومع

هذا فقد ازددت يقيناً بأن ما تقولونه لا يقود إلا إلى ما نحن فيه . نهترىء كالنفايات .. ونجري قلقين كالكلاب الملدوغة ، وندفع ضريبة خلافات لا نعرف أسبابها ولا مغزاها .

**المرأة الأولى** : تلك قسمتنا

**الرجل الثاني** : ستعود حتماً إلى السجن .

**المرأة الثانية** : تريد أن تودي بنا جميعاً

**المرأة الأولى** : إي والله هذا ما تريد أن تفعله .

**الرجل الأول** : نحن لا نحب السجون .

**الرجل الرابع** : وحق الله وأنا مثلكم لا أحب السجن ولا أتمنى أن أتذكره .

**الرجل الأول** : إذن اترك هذه الشؤون ، وابتعد عنها ما استطعت ..

**الرجل الرابع** : إلا أني لا أحب أيضاً عيشة الكلاب التي أعيشها .. كما لا أحب أن أدفع رأسي ثمناً لاضطراب لا رأي لي فيه ..

**الرجل الأول** : ومـاذا يستطيع أن يفعل مثلك ومثلي . ! الخلاف يدب بين الخليفة ووزيره

( هنا ينقسم الممثلون الخمسة الى مجموعتين يتوزعـان الحوار الشبيه بالمونولوج . انهم جميعاً في مواجهة الرابع .. )

**المجموعة ١** : مولانا الخليفة عنده حراسه وقواته .

**المجموعة ٢** : وسيدنا الوزير له حراسه وقواته .

**المجموعة ١** : قد يقع الصدام بين لحظة ولحظة

**المجموعة ٢** : فلماذا نرمي بأنفسنا الى التهلكة . !

**المجموعة ١** : الخلاف بين وزير وخليفة .

المجموعة ٢ : لكل منها قصد وخطة

المجموعة ١ : أما نحن فلا ناقة لنا ولا جمل .

الرجل الرابع: (يحاول أن يحتفظ بهدوئه) أراكم تنسون أيها الناس الطيبون أنهما يتعاركان فوق رؤوسنا .

المجموعة ٢ : ولهذا خير ما نفعله هو أن نخفي رؤوسنا بين أكتافنا .

المجموعة ١ : لا رأينا .. ولا سمعنا .

المجموعة ٢ : ننتظر ونرقب النتائج ..

المجموعة ١ : ومن يتزوج أمنا نناديه عمنا ..

المجموعة ١ : هذا هو .. من يتزوج أمنا نناديه عمنا ..

( تتدافع من الزبائن تعليقات تختلط بها احتجاجات الرجل الرابع )

زبون ١ : والله .. عين الصواب ..

زبون ٢ : هذا مقال من يريد راحة البال ..

زبون ١ : صرعة ما لنا فيها

الرجل الرابع: لا .. لن تنجو رؤوسنا ..

زبون ٣ : طريق مأمون من قديم الزمان .. من يتزوج أمنا نناديه عمنا .

الرجل الرابع : فوق رؤوسنا يتعاركان . فوق هذه الرؤوس البائسة ستنزل أقسى الضربات .. إننا نتخلى عن رؤوسنا . نسلمها الى الجلادين ، وأسوأ من الجلادين ..

زبون ١ : انتبهوا .. يحرضكم على الفتنة ..

زبون ٣ : نوع من الرجال يحب إثارة المشاكل ، لكي يتفرج بعد ذلك على المشاكل .

المرأة الثانية : بالله عليك افتح جرابك الخطير بعيداً عنا ..

الرجل الثالث : إذا شئت يمكنك أن تتصرف برأسك كما يحلو لك ..

المجموعة : ( تقلد طريقته في الكلام ) وحق الله فكرة .. لك رأس كسائر الناس . فافعل به ما يحلو لك .. واترك رؤوسنا لنا .

المرأة الأولى : (صائحة ، تقف فجأة) أتشمون .! رائحة الخبز ...

أصوات : الخبز

– جاء الخبز

– دوري أنا !

– أخيراً بعد هذا الانتظار ..

(ينهضون جميعاً باستثناء الرجل الرابع الذي يتابعهم بعينين حزينتين . يتدافعون أمام شباك الفرن في هياج وتعجل )



صوت الفران : لمن الدور ؟ ..

المرأة الأولى : أولادي وحدهم في البيت منذ الصباح .

الرجل الثاني : وراءنا جميعاً أهل ينتظرون في البيت .. جئت قبل الكل ..

صوت الفران : اتفقوا على الدور أولاً

الرجل الثاني : لي .. بالتأكيد لي . تذكّر . ألم أكن أول من جاء يطلب خبزاً .

صوت الفران : ربما .. ولكن المهم أن تكونوا بالدور ..

المرأة الأولى : ( راضخة ، تقف وراء الرجل الثاني ) لم تعد هناك شفقة ..

الرجل الثالث : ( يقف آخر الصف ، بينما يظل الرجل الرابع جالساً) ليأخذ كل دوره .

ذلك أفضل ( يبدأ الجميع بالانتظام في صف أمام الشباك .. وكل واحد يشتري خبزه ويمضي .. )

**الرجل الثالث** : ( للرابع ) انهض وخذ دورك قبل أن يأتي من يأخذه ..

**الرجل الرابع** : وحق الله .. ليس هذا هو طريق الأمان ...

**الرجل الثالث** : اشتر خبزك .. وتحصّن في بيتك .. لن تصلح العالم على كل حال ..

**الرجل الرابع** : لا أستطيع بمفردي أن أصلح ولو زاوية صغيرة في غرفة ..

**الرجل الثالث** : إذن خذ مكانك .. واشتر خبزك ...

( يشتري الناس خبزهم ويمضون مسرعين .. يصبح الرجل الثالث عند الشباك فينهض الرجل الرابع متثاقلاً .. ويقف وراءه منتظراً دوره. )

**زبون ٢** : إي انهض أخي .. انهض .. ذلك أفضل ..

( يشتري الرجل الرابع بضعة أرغفة ، يدسها في كيسه .. ثم يلقي نحو الزبائن نظرة عاتبة وحزينة )

**الرجل الرابع** : ( وهو يمضي ) وحق الله .. ليس هذا طريق الأمان ...



**الحكواتي** : هذا ما كان من أهل بغداد .. من استطاع منهم اشترى خبزه ومضى مسرعاً إلى بيته . أما قصر الوزير محمد العلقمي فلم تكن تهدأ فيه الحركة . المماليك ينزلون الى المدينة ، ويعودون الى الوزير بالأخبار .. يدخلون ديوانه ، ويخرجون مرتعدين يتبعهم السباب والصياح الغاضب ، لكن لا يمر بعض الوقت حتى يأتي الأمر بالنزول مرة أخرى الى المدينة ، فيذهب من يتسقط الأنباء ويراقب مجرى الحال . وشاعت في الأروقة اخبار وحكايات . وكان الجميع يتمنون لو تظل الأحداث بعيدة عنهم ، فلا تقربهم أو تصيبهم . لكن المملوك جابر سمع أمراً أثار اهتمامه ، وانتزعه من لا مبالاته . فانخرط رغم دهشة من يعرفه في الأحداث الدائرة حوله .

زبون : المملوك جابر نفسه

زبون ٢ : عرفناه فطناً يتدفأ بالنار بدلاً من ان يحرق اصابعه فيها ..

الحكواتي: وهو لا يزال فطناً كما عرفتموه

زبون ١ : واذن كيف يسقط !

الحكواتي: لاتستبقوا الحوادث .. انتظروا وسيأتي الجواب ..

الخادم : ( متحيزاً الفرصة ، يدور بموقد الفحم ) نارة .

زبون : هنا يا ابو محمد ..

الخادم : حاضر .

( اثناء الحوار السابق ، يعود بنا المشهد الى رواق في قصر الوزير . . يظهر المملوك ياسر . طويل القامة ، وافر الصحة . . وجهه عريض تطفو على ملامحه بلادة توحي بالجلافة والطيبة ، يمشي مهرولاً ، حاملاً على وجهه أمارات الاضطراب والفزع . يلتقي بالمملوك جابر ، ويكاد يصطدم به ، فيستوقفه . . )



ياسر : يا حفيظ

جابر : مالك .. يظن من يراك أنهم حشوا مؤخرتك فلفلا أحمر .

ياسر : يا حفيظ .. تحدث في هذه المدينة أمور جسيمة .

جابر : ماذا أصابكم اليوم جميعاً ؟ . لن تقول انه يوم الحشر .

ياسر : لا ادري اذا كان يوم الحشر ام لا . . لكني اكاد لا أصدق اني خرجت من الديوان بسلام (يمسح العرق عن جبينه) شعرت روحي تتخطف من جسدي ..

جابر : أكاد أعتقد أن سيدنا الوزير تقمّصه عفريت .. قل لي .. هل نبت في رأسه قرنان ، أم تدلّى من فمه نابان .

ياسر : أنزعج . ! آه لو ترى وجهه وهو يتلوّن ويختنق . نظر إلي وكأنه يريد أن يسحقني عن وجه الأرض . يا حفيظ . . لو تعثرت قدماي في الخروج لرمى عنقي دون تأخـــير . . ولو أعرف ما ذنبي ! . وصفت له ما يحدث دون زيادة او نقصان . . هل أستطيع أن اكذب . . كل الناس يعرفون ان أبواب بغداد أصبحت مسدودة . وان الحراس ينتشرون عليها كأنهم جند الموت . .

جابر : أي حراس ؟

ياسر : حراس مولانا الخليفة . . يا حفيظ إن أحداثاً رهيبة تقع حولنا . . سمعت أن الخليفة لم يغادر البلاط هذه الليلة ، ولم ينم لحظة واحدة . .

جابر : ولم ؟ هل خاف ان يجردوه من سرواله وهو نائم . .

( يقترب منها منصور . . وينضم اليها ) .

ياسر : بل كان . . ( يتوقف فجأة ، وكأنه اكتشف شيئاً مزعجاً ) ياحفيظ . . مازلت تمزح . . ؟

جابر : الطاعون يفتك ببغداد يا منصور . . أصبحت الرعية كلها تشتغل بالسياسة . .

ياسر : ( فزعاً ) أأنا أشتغل بالسياسة ! كنت أروي ما سمعت لا أكثر .

منصور : لا تلق بالا اليه . . ألا تعرف لسانه . ! ماذا سمعت . ؟ ألديك انباء جديدة . !

ياسر : كل الناس يقولون ان مولانا الخليفة لم ينم لحظة واحدة هذه الليلة . . ( يخفض صوته ) ظل مجتمعاً بقواد الأمن حتى الصباح .

منصور : كنت أعلم أنها لن تنتهي ببساطة . .

ياسر : يبدو أنهم اتخذوا قرارات خطيرة . . فمع طلوع النهار خرج الحراس

من القصر يحملون عتادهم وكأنهم يمضون الى الحرب .. اخترقوا الشوارع فأرهبوا الناس ثم انتشروا على أبواب المدينة . أصبح الخروج من بغداد اصعب من دخول الجمل في ثقب الإبرة ..

جابر : إجراء يوفر على الخليفة بناء سجون جديدة

منصور : أرأيتهم بعينيك ؟ .

يامر : رأيتهم . يا حفيظ .. منذ قليل كنت هناك .. سيدنا الوزير منزعج للغاية .. أرسلني كي أتجسس له وأخبره بما يجري على الأبواب .. وعندما أخبرته غضب مني .. ولكن ماذا افعل ؟ . هل استطيع أن أكذب ؟! وصفت له ما يحدث دون زيادة أو نقصان .. رأيتهم بعيني يقفون على كل الأبواب . ويفتشون كل من يحاول الخروج تفتيشاً أدق من حساب الآخرة .. ياحفيظ يرتعد المرء كأنه امام الموت . لا يتركون جيباً أو ثنية . جردوا بعض الناس من ملابسهم ومزقوا بطانتها .. والويل لمن يتباطأ او يحتج ..



جابر : والنساء ايضاً !

يامر : لا يفرقون بين رجل وامرأة ..

منصور : إذن يتوقعون ان يتسرب شيء هام من بغداد .

يامر : هام وخطير .. هناك رسالة تحوم راغبة في الخروج .

منصور : أهو سيدنا الوزير ؟..

يامر : لم يعد ذلك سراً .. عندما علم بأمر الحراس وإغلاق المدينة احمر وجهه ، وتدافعت من فمه الكلمات يا حفيظ .. الغضب عدو الحذر .

منصور : هذه المرة ستمضي الفتنة الى نهايتها .. قل لي .. أتعرف الى أين سيبعث الوزير رسالته ؟..

جابر : تساله و كأنه كاتم أسرار الدولة .

ياسر : يا حفيظ .. ومن أين لي أن أعرف . ! كل ما استطيع تأكيده هو أن الرسالة هامة وخطيرة للغاية . كاد الوزير ان يصاب بالفالج عندما علم بإجراءات مولانا الخليفة . لاشك أنه يعطي أي شيء من أجل وصول هذه الرسالة ..

جابر : ( ينتبه .. ويبدأ اهتمامه بما يحكى ) ماذا قلت ؟..

ياسر : ( كأنه فوجىء ) ماذا قلت !

جابر : أعد .. أعد ماقلته

ياسر : إنك تربكني .. قلت إن سيدنا الوزير يعطي أي شيء من أجل وصول هذه الرسالة .

جابر : ( ساهماً ) يعطي أي شيء !

ياسر : ذلك مؤكد . لم أر في حياتي وجهه يتلون مثل اليوم .

منصور : الحوادث تجري بسرعة ، ولا أحد يعلم ما يدبّر حولنا .

جابر : هل وعد سيدنا الوزير بمكافأة معينة ؟

ياسر : مكافأة ! أتقول مكافأة ! من يخرج بهذه الرسالة يستطيع أن يتحقق على سيدنا الوزير ما يشاء .

جابر : أيعتق مملوكاً لو طلب ذلك ؟

ياسر : يعتق دزينة مماليك لا مملوكاً واحداً .

جابر : ( والبريق يشتد في عينيه ) يعطيه كيساً مليئاً بالذهب ..؟

ياسر : يعطيه أكياساً .. ولكن من يجرؤ على المخاطرة .. ياحفيظ سيصبح حاملها جثة قبل أن يخطو خطوة واحدة خارج بغداد . .

منصور : ولك جابر .. أراك تهتم بالأمر .. ماذا يدور في ذهنك ؟.

جابر : يدور شيء باهر يامنصور .. ولكن انتظر .. لنر مرة اخرى كيف يتم التفتيش ؟.

ياسر : لاتسأل عن التفتيش .. قلت لك ادق من حساب الآخرة .. ينبغي أن تذهب وترى بنفسك .. ياحفيظ .. لايتركون شيئاً على الاطلاق رأيتهم بعيني يزقون رغيف خبز نتفة ،نتفة ،خشية أن يكون فيه شيء مخبوء .. والثياب والأحــذية .. وفوق ذلك الاستجوابات الدقيقة .. لا .. لاتأمل شيئاً .. الهواء نفسه لايستطيع ان يمر من بين أيديهم .

جابر : مع هذا قد تكون الحيلة أبرع من الهواء .

منصور : (لاهثا) جابر .. ماذا تفكر ؟.

جابر : أفكر بأشياء جميلة يامنصور .. أشياء مثيرة تختلط فيها وهج الذهب وعطر زمرد والحرية .. ( الى ياسر ) أمتأكد أنت ان سيدنا الوزير لن يرد طلباً لمن يحمل رسالته ..

ياسر : متأكد كوجودي .. ياحفيظ ربما كان مستعداً لأكثر من ذلك ..

جابر : سنرى اذن ..

( ويهم بالانصراف )

منصور : ( يزداد خوفه ) لاأعرفك مجنوناً الى هذا الحد .؟ أين تمضي؟

جابر : سأبحث عن الالهام يامنصور .. اني بحاجة اليه الآن .. ألم أقل لك قد نقبض بدلاً من أن ندفع .. إذا ظلت رأسي ملتهبة كما هي الآن .. فلن تضيع الفرصة ..

منصور : لاتكن احمق .. رغم كل شيء لاأريد ان يصيبك سوء .. انك تتبع غواية مهلكة ..

جابر : كل شيء يتعلق بهذا اللهيب الذي اتقدت به رأسي فجأة .. اشملني بدعواتك وأنت تصلي .. ( ويمضي مغنياً وسط ذهول الآخرين )

عندما أصبح المسلمين خليفة

سأسميك وزيراً للدولة

عندما أصبح المسلمين خليفه ..

سأسميك وزيراً..

( ويختفي مبتعداً )

منصور : أي جنون .!

ياسر : ( تغلف وجهه البلاهة ) أتعتقد أنه جاد ؟

منصور : إنك لاتعرفه اذن .

ياسر : ياحفيظ لو رأى الحراس لخاف من مجرد التفكير .

منصور : ( وهو ينصرف ) اللهم أتمّ علينا خير النهاية ..

ياسر : ( يتوقف لحظة شبه مذهول ، ثم ينصرف بدوره ) ياحفيظ ..

( يخرج الاثنان حاملين معهما قطع الديكور )

الحكواتي: والمملوك جابر ذكي وذكاؤه وقاد . لمح الفرصة تواتي ، فانقض عليها بلا تراخي . يؤمن أن الفرصة قد لاتأتي مرتين . ومن الفطنة ألا تحتاج الفرصة مرتين . وإن اسعفه الخيال ، صارت الأماني سهلة المنال . ماذا يعنيه ماتجري في بغداد مادام هو الرابح في الختام . ونزل الى أبواب المدينة مرات وعاد .. وأعمل الفكر ، ونقب عن حيلة أو ممر . وجابر ذكي وذكاؤه وقاد . إذا أكدذهنه فهولاريب

بالغ مراده .. ولم يزل في تفكير حتى وجد التدبير . عندئذ أشرق وجهه بالسرور وطلب بالعجل الدخول على الوزير ..

( خلال كلام الحكواتي توضع قطع ديكور تمثل ديوان الوزير . قاعة فاخرة الرياش والأثاث ، يظهر في الديوان الوزير ومعه أحد اصحابه . عبد اللطيف أحد امراء بغداد ذوي الغنى والنفوذ . الوزير تجاوز الاربعين وهو بدين وفي تقاطيع وجهه لؤم قديم ومزمن . منقبض الأسارير ، يمور في عينيه حقد كظيم .. يبدو شديد القلق والانفعال .. يجلس لحظة، ثم ينهض بعصبية فيدور في ارجاء القاعة .. وبحركة لاارادية يد شفته السفلى . فيتناول شعرة من شاربه يقضمها باسنانه . ثم ينتف .. ومن حين لحين يخرج من جيب صدريته علبة نشوق ، فيتناول بين اصبعيه قليلا منها يدسه في فتحتي أنفه .. ويعطس .. نراه يفعل ذلك مرتين على الاقل قبل أن يدخل عليه الحارس . عبد اللطيف هو الآخر لايقل عصبية عن الوزير ، لكنه يحاول أن يتماسك في مقعده . يدخل الحارس ويقترب من الوزير ) .

**الحارس** : سيدي .. على الباب واحد من مماليككم يطلب المثول بين أيديكم .

**الوزير** : ماذا يريد ؟

**الحارس** : لم يفصح عن قصده ، لكنه يلح في مقابلتكم على انفراد .

**الوزير** : ( بحركة ضجرة ) دعه ينتظر .

**الحارس** : سمعاً وطاعة .

( ينسحب من الديوان )

**الوزير** : ( وهو يدور قاضماً شاربه باسنانه ) والآن ..

**عبداللطيف**: لنعترف انهم كسبوا نقطة . لم يتخيل أحد أن المقتدر سيتحرك بهذه السرعة .

**الوزير** : ( بعنف ) أما أنا فقد تخيلت . منذ فترة وتحركات أخيه عبد الله تزداد وتتسع . هو الدماغ الذي يدبر كل شيء . الصالات بكبار

التجار . رسائل الى الولايات . اجتماعات سرية بالخليفة .
( يتحول صوته صياحاً ) كان ينبغي ان نتوقع ضربة مفاجئة على رؤوسنا .

عبداللطيف : هوت الضربة قبل أن نجد الفرصة لتوقعها .

الوزير : كانت لدينا كل الفرصة ، ولو أصغيتم إلي لما فقدنا المبادرة.

عبداللطيف : من كان يعلم أن الاحداث ستجري بهذه السرعة !

الوزير : لا .. لن تأتي الان لتقول لي من كان يعلم . نبت الشعر على لساني وأنا استحثكم . كان واضحاً انهم يريدون تصفيتي وتشتيت الامراء المؤيدين لي وانت على رأسهم . ذلك سبيلهم الوحيد كي ينفردوا بالحكم ، ويديروا الدفة على هواهم . لا .. لاتقل لي من كان يعلم . الأوراق مكشوفة حتى قبل انفجار الأزمة الاولى.. ولولاترددكم لابتلعهم ابليس قبل ان يجدوا الوقت لتطويقنا .

عبداللطيف : ليس سهلا ان تطلب غزواً أجنبياً دون تقدير جيد للموقف .. أنت تعرف ماذا يعني الجيش الغازي عندماينتصر .. انه خراب طائش قد تستحيل السيطرة عليه . .

الوزير : ولكن الجيش الغازي يأتي ليحمي مصالحنا ، ويجهز لنا كرسي السلطة . فماذا يهمنا بعد ذلك ! بالتأكيد سيكون هناك خراب .. لن يدخل الجيش بالدفوف والغناء ، ولن يوزع الورود والعطور . هذه حرب .. سيقتلون ، ويخربون .. طبعاً لن يبقى من ذرية الخليفة حي ، وستصبح قصوره خرائب .. كما لن يوفروا المدينة . هي الأخرى سينهبونها . على أي حال هذه ضريبة الانتصار .أمانحن

فماذا يخيفنا ؟ . يأتون ليدعموا لنا السلطة .. فهـل نطلب أفضل من ذلك !

**عبداللطيف**: المهم .. كان لابد من دراسة الظروف المحيطة بنا ..

**الوزير** : ليست الظروف المحيطة بنا لغزاً مستعصياً . الصراع واضح الابعاد. وأمامنا اختياران لاثالث لهما . إما أن نقبل تصفيتنا . أو نطلب عوناً خارجياً يحسم لنا الصراع

**عبداللطيف**: أنت نفسك تمهلت ، ووافقت على أن الأمر يحتاج الى استعداد .

**الوزير** : بالتأكيد .. كان ضرورياً ان نضمن ولاء عـدد من القواد ، وان نتخـذ بعض الترتيبات . كيف نغريهم بالغزو ان لم نضمن لهم النصر هنا !

**عبداللطيف**: على كل حال .. لا فائدة الآن من تبادلنا اللوم . لقد حزمنا الرأي في النهاية . وأجمعنا على أن تبعث الرسالة .

**الوزير** : ( يتناول نشوقاً ، ويعطس ) نعم .. حزمنا الرأي عندما أفلتت من أيدينا المبادرة .

( يعطس مرات متلاحقة .. ويسود قليل من الصمت المتوتر .. )

**عبداللطيف**: قل لي .. هل تعتقد انهم اكتشفوا خطتنا . أم هي مجرد احتياطات وقائية ؟

**الوزير** : من المؤكد انهم يرتابون . عند عبد الله جهاز من العملاء والمخبرين لا يستهان به . ألم تلاحظ ان الفرقة التي استخدموها لاغلاق بغداد هي فرقة القصر التي يشرف عليها عبد الله بنفسه . أي .. الفرقة التي ليس لنا فيها اعوان .. ربما لايعرفون الخطة بتفاصيلها ، ولكن من المؤكد انهم يرتابون ، ويحتاطون لكل احتمال ...

عبداللطيف: إذا كانوا يعرفون حقاً ، فسيعجلون إذن بالصدام . وقد تكون تلك خطوتهم التالية .

الوزير : الصدام . ! لا .. ( ينشق ويعطس ) لن يقامروا الآن .. عبد الله دقيق في الحساب . وهو يعرف ان النتائج غير مضمونة . ( لحظة ) خطوتهم التالية مكشوفة . سيحاولون قبل كل شيء الاتصال بحكام الولايات ، وضمان الامدادات . سيقدمون كل التنازلات التي يطلبها الولاة .. سيمنحونهم الاستقلال إذا لزم الأمر مقابل ان يضمنوا وصول القوات أما قبل ذلك . فلن يقامروا بالصدام . سيكون أمامنا الآن فترة من الترقب ، والهدوء المحتقن .

عبداللطيف: ومع ذلك من المفيد ان نتخذ بعض الاحتياطات . هناك دائماً مفاجآت غير محسوبة . ومن يدري قد تستغل العامة هذه الظروف ، فتشعل نار الشغب . حينئذ لا أحد يعرف كيف يتحول الموقف ..



الوزير : ( باحتقار ) العامة . ! ومن يبالي بالعامة . ؟ لا .. هؤلاء لا يثيرون أية مخاوف .. يكفي أن تلوح لهم بالعصا حتى ينمحوا وتبتلعهم ظلمات بيوتهم ..

عبداللطيف: وخطيب الجامع . ! أي موقف سيتخذ في رأيك . ! إذا شاء يستطيع ان يهيج العامة ، وان يلعب دوراً مؤثراً .. لا أكتمك .. أنا لست شديد الثقة به .

الوزير : لا تخف .. أعرف خطيب الجامع اكثر منكم .. إنه دقيق النظر ، وبعيد في حساباته . لا يورط نفسه ، ولا يمشي خطوة الا إذا كان

واثقاً أن خط الرجعة مأمون . ستكون خطة الجمعة أدق من إبرة الميزان . وسيختار كل كلمة بحيث لا يوحي بأي انحيــاز .. ( تعبير ازدراء على وجهه ) لا .. كل هذه المســائل ثانوية ، ولا ينبغي أن نضيع وقتنا فيها . أمامنا فترة قصيرة من الهدوء .. لكننا في سباق مع الوقت . لو نجحوا في اتصالاتهم قبلنــا ، فلن تكون السيوف رحيمة . سيقطعون رؤوسنا واحداً بعد الآخر . وسيعلقونها في ساحات بغداد كمشاعل النصر .. أتسمع .. رأسي، ورأسك ، ورؤوس الآخرين .. ستعلق في الساحات والدم يقطر منها على وجوه الراقصين حولها .. إننــا في سباق مع الوقت .. والمبادرة في أيديهم . هذا هو وضعنا .

**عبداللطيف:** وضع دقيق تحفه المخاطر . كل شيء مرهون بالرسالة .. ولكن

**الوزير :** ( مقاطعاً بحدة ) دعنا من هذه الـ « لكن » . اذا لم تخرج الرسالة من بغداد فقل علينا جميعاً السلام . قضية حياة أو موت . ينبغي أن تنفذ الخطة مها كان الثمن . يعرفون أو لا يعرفون .. لم يعد مهماً . سنقبل كل المخاطر ، كي تخرج هذه الرسالة من بغداد .

**عبداللطيف:** ألديك اقتراح معين ؟

**الوزير :** لنعقد اجتماعاً هذا المساء . لا مجال للاختيار . إما ان ننفذ الخطة أو ننتهي . مهما كان القرار خطيراً يجب اتخاذه .

**عبداللطيف:** ( بعد لحظة ) فكرة معقولة . وربما كان لدى الآخرين اقتراحات نافعة .

**الوزير :** لابد من أن نجد مخرجاً .

عبداللطيف: هل ندعو الجميع ؟..

( يدخل الحارس ) .

الوزير : نعم .. الجميع .. ولا تنس أن جواسيس عبد الله يتشرون حولنا كالذباب .. ( لحظة ) ه .. كسبوا نقطة . إلا أنهم لم يكسبوا الجولة ، ولن يكسبوها مادمت حياً .

الحارس : ( مرتبكاً وخائفاً ) سيدي .. المملوك يلح كثيراً في الدخول عليكم. يزعم أن لديه أمراً هاماً لايقبل التأجيل .

الوزير : ( غاضباً ) يلح .. يلح .. ماذا يريد هذا الغراب ؟..

الحارس : لا أعلم يا سيدي ..

عبداللطيف: طيب .. سامضي الآن .

الوزير : لاتنس أنهم يشددون الرقابة أيها الامير .

عبداللطيف: كن مطمئناً ..

( ويخرج الامير عبد اللطيف .. يتنشق الوزير ويعطس. يرتعد الحارس...)

الوزير : ( بعد فترة ) دع هذا الغراب يدخل . سأجعله عبرة إن كان يدخل علي لشأن تافه .

الحارس : ( وهو يتراجع بانحناء ) سمعاً وطاعة ( عندما يصل الى الباب..ينادي ) ليدخل مملوك سيدنا الوزير .

( يدخل جابر.. قسمات وجهه يتراقص عليها الفرح. وفي عينيه تتوهج النظرة الذكية ... يبالغ في الانحناء ، ويزيد في مظاهر الاحترام ، حتى ينكشف النفاق واضحاً ).

جابر : ( لايزال ينحني ) السلام على مولاي وولي نعمتي وزير بغداد المعظم.

الوزير : ( باهمال ) ألست المملوك الطويل اللسان جابر !

جابر : أطال الله عمر سيدنا الوزير ، وقصر عمر أعدائه . هو أنا مملوككم جابر .

الوزير : ماذا تريد ؟

جابر : أن تكون أيام مولاي عامرة بالهناء ، ومسعاه مقروناً بالنجاح .

الوزير : (يتناول تشوقه) هيا ولا تطل علي الثرثرة .. ويلك ان كنت تدخل علي لأمر تافه ..

جابر : (فيما يبدأ الوزير يعطس) حاشا يامولاي .. ورب الكعبة ، حين علمت أن سيدنا الوزير مكدر البال ، تكدر بالي ، وضاقت بي الأرض حتى صارت كالكشتبان ..

الوزير : (يبدأ يغضب ويزوي مابين حاجبيه) أجئت تبثني العواطف ! إن كان لديك ماتخبرني به ، فقله وأوجز . لايدخل علي واحـــد منكم إلا بأخبار السوء ، وخلقة يتعوذ منها البوم .

جابر : لاعشت إن حملت لسيدنا الوزير مايسوؤه . جئت ألبي له حاجة إن كان هناك مايحتاجه .

الوزير : (يدقق فيه النظر) قلبي لي حاجة لومتى كان فيكم خير . ما إن ألوح لواحد بمهمة حتى يبدأ بالارتجاف كأنه مقبل على الموت .

جابر : ها أنذا قدام مولاي . حياتي رهن اشارته ، وفي المواقف العسيرة لانعدم حيلة .

الوزير : أعرفك طويل اللسان .. فأفصح عما في نفسك حالاً . جئت تتملقني أم تخبىء شيئاً وراء ما تقول .

جابر : عندما يمتحنني سيدي يعرف إن كان تملقاً ما أقول .

الوزير : هل تعرف المهمة التي أبحث لها عن رجل ، يحملها ويخاطر من أجلها.

جابر : لا ينبغي أن أدس أنفي فيما لا يعنيني . ولكن حين علمت أن سيدي مكدّر البال ، انشغل فكري ، وبدأت أسأل عن السبب . .

حاملت أنا العبد المملوك ان أعمل شيئاً يبدد كدره ، ويبلغه أربه .. وبعد بحث وطول سؤال عرفت أن ما يشغل سيدنا هو رسالة يريد أن تخرج سالمة من بغداد .

**الوزير** : أصبح أمرنا مشاعاً في كل المدينة .

**جابر** : ليغفر لي سيدي هذا الفضول .. ما قصدت أن أدس .

**الوزير** : ( مقاطعاً .. وقد اثير اهتمامه ) لا عليك أيها المملوك . فات أوان الحرص . ما يهمنا الان أن نجد رجلاً يحمل المهمة ولو اجتاز في سبيلها الأهوال .

**جابر** : قدامك يا سيدي ..

**الوزير** : ( مندهشاً .. يتناول النشوق ويحركة آلية يدس منه في أنفه ) أنت ! . وماذا دبرت .. ؟ أرأيت ما يفعله الحراس على أبواب المدينة ؟ .

**جابر** : إي والله رأيتهم يا مولاي .. أعوذ بالله .. لانجاة من أيديهم حتى ولو لبس المرء قبعة الخفاء . يفتشون الداخل والخارج كأنه في يوم الحساب .. ( يتمهل .. يخفض صوته ، ويقرب وجهه من الوزير ) ومع هذا .. فسنسخر منهم .. ونجعلهم أضحوكة بغداد لأعوام وأجيال ..

**الوزير** : ( منفعلاً .. يعطس ) تسخر منهم . ! ماذا تقول أيها المملوك ؟ .. إن كنت تعبث فسأصنع من جلدك طبلاً ودربكة . هيا .. أخبرني كيف تريد أن تسخر منهم . هل وجدت تدبيراً نافعاً ؟

**جابر** : التدبير جاهز يا مولاي .

الوزير : (لشدة انفعاله ، يتناول لشوقه ايضاً .. ) هات مالديك بالعجل . . إن كان ما تقوله صحيحاً . .

( يحاول أن يعطس .. يتقبض وجهه ، ولكنه لا يفلح . )

جابر : ( بابتسامة خبيثة ) إن كان ما أقوله صحيحاً .. ؟

الوزير : فسأجزل لك العطاء .

جابر : لا أبتغي إلا مرضاة سيدي . إلا أني أجد نفسي ضعيفاً أمام كرمه .

الوزير : لا تساوم . سأعطيك ماتريد .

جابر : أبين على عبد بالعتق ؟

الوزير : أنت معتوق لو بلغت رسالتي .

جابر : ويكرمني فيزوجني زمرد خادمة سيدتي شمس النهار ؟ ..

الوزير : ( نافد الصبر ) هي لك . . وفوقها مال كثير . ولكن أرنا أولاً تدبيرك .

جابر : ( ينحني مقترباً من الوزير . . لهجة بطيئة مع تشديد على الكلمات ) إني أهبك رأسي يا مولاي ..

الوزير : تهبني رأسك . ؟ وماذا تريدني أن افعل برأسك ؟ . . مرة أخرى أحذرك أيها المملوك . . إن كنت تعبث فسأجعل من جلدك طبلاً ودربكة .

جابر : لو لم تكن رأسي نافعة ماقدمتها لمولاي ..

الوزير : وما نفعها لي ؟ . .

جابر : راقبت الحراس ساعات طويلة يا مولاي .. رأيتهم كيف يفتشون، وكيف تتغلغل أصابعهم كالثعابين في كل شيء . يزقون الثياب .

يقطعون الأحذية .. يؤلمون الناس وهم يغرسون أظافرهم في كل بقعة من أجسادهم . البطون، والظهور .. وأحياناً ما بين الأفخاذ .. ولكن أحداً منهم لم يخطر بباله ان يفتش تحت شعر الرأس .

الوزير : ( ببلاهة ) وماذا سيجدون تحت شعر الرأس سوى القمل والبراغيث .؟

جابر : قد يجدون الرسالة التي يفتشون عنها يا مولاي ..

الوزير : ( مندهشاً ، تتوقف يده التي تبحث عن بعض النشوق .. ) الرسالة .!
( لحظة تلتقي فيها عيونهما وهي تبرق ) أتعني .. !

جابر : نعم يا مولاي .. ( يلتفت حوله بحذر ) أرجو ألا تكون حولنا آذان فضولية ..

الوزير : من يجرؤ على الاقتراب من الديوان .. !

جابر : إذن اسمع التدبير .. تنادي الحلاق ، فيحلق شعري .. ! وعندما يصبح جلد الرأس ناعماً كخد جارية جميلة ، يكتب سيدنا الوزير رسالته عليه . ثم ننتظر حتى ينمو الشعر ويطول ، فأخرج من بغداد بسلام .

( يلهث الوزير منفعلاً .. يضع النشوق في أنفه .. ولشدة انفعاله لا يعطس . فيصبح وجهه كالقناع المدهوك . تثور همهمة وهمسات ، وتعليقات بين الزبائن .. )

زبون : يحرز دينك ..

زبون ٢ : من أين وجدها ..

زبون ٣ : الله يحميه .. يا عيني عليه .. ما هذه الفطنة !

زبون ١ : إي هيك تكون الرجال . مثله يستطيع أن يلعب بدولة .

زبون ٢ : ابن زمانه .. قلت لكم منذ رأيته أول مرة هذا ابن زمانه ..

الوزير : ( يحاول التخلص من انفعاله ) انتظر .. انتظر .. نحـــلق شعر رأسك أولاً ..

جابر : إي نعم ..

الوزير : ثم نكتب الرسالة عليها ..

جابر : إي نعم ..

الوزير : وننتظر حتى تكتسي الرأس مرة أخرى بالشعر ، وتختفي تحت سواده الكلمات ..

جابر : إي نعم ..

( يحلق الوزير فيه بعينين مندهشتين ، وكأن ذهولاً قد ألم به . فجأة يعطس بشدة )

زبون ٣ : يبدو الوزير وكأنه لا يصدق ..

زبون ٢ : أجزل له العطاء إذن .

زبون ١ : فكرة تساوي كنزاً .

الوزير : ( مقترباً من جابر ، في وجهه خليط الذهول حنان ) والله وجدتها أيها المملوك .

جابر : ( بنظرة ذات معنى ) لعل مولاي لا يندم على وعوده ما دام قد أعجبه تدبير مملوكه .

الوزير : ( عيناه سارحتان ، يخفق فيها فرح وتشف ) لا تخف . الوعـــود محفوظة ..

( بعد أن يلقي بإهمال هذه العبارة ، يدور في أرجاء القاعة ، وكأنه يتابع حيليه السارحتين )

زبون ٣ : منذ قليل كان يبدو كفأر في مصيدة ..

زبون ٢ : بعد تدبير جابر تغيّر الحال ..

الوزير : كسبوا نقطة .. ربما .. ولكن ها أننا أكسب الجولة .. تسلمنا المبادرة منهم ، وإني أمسك المقتدر وأخيه في قبضتي .. وسأعصرهما .. سأعصرهما ( يشد قبضته ) حتى يصبحا عجيناً فاسداً .. ستكون المفاجأة كبيرة هذا المساء .. لكن أصبح الحذر ضرورياً .. لنتابع الخطة ، ولنتحسس جيداً مواطىء أقدامنا .

جابر : ( متعجلا ) هل يأمر مولاي بالبدء .. كلما أسرعنا كان ذلك أفضل .

الوزير : ( ينتبه من شروده ) حقاً .. ينبغي ألا نضيع دقيقة واحدة .. إننا في سباق مع الوقت .. ( يقف قبالته ، وينظر اليه باعجاب وفرح ، ثم يمد يده الى رأسه ، ويعبث في شعره بحركة غريبة ) سيكون لتدبيرك شأن في المستقبل أيها المملوك جابر .

جابر : ما يهمني هو أن يكون مولاي راضياً .. وأن يشملني عطفه وكرمه .

الوزير : ( باسماً ) خلف جميل المقال أنت لجوج .. كأنك تشك في عهودي .

جابر : معاذ الله ..

الوزير : قلت لك .. ما إن تبلغ الرسالة حتى تصبح حراً لوجه الله .. وفي بغداد ستنتظرك المرأة التي تشتهي وكوم من المال .

جابر : أمد الله في عمر مولاي ، وجعل أيامه موصولة بالظفر والمسرة ..

الوزير : والآن .. إلينا بالحلاق ..

جابر : أجل .. إلينا بالحلاق .. وليحمل من الأمواس أحدها .

( يخفت الضوء في القاعة ، بينما يشتد على الكرسي الذي يجلس عليها الحكواتي . سيتم المنظر على شكل تمثيل إيمائي وطقسي ، فالحركات ذات

إيقاع بطيء ، ومدروس جيداً .. يزيدها صمت الممثلين ثقلاً حتى لتصبح شبيهة بطقوس غامضة ، وسحرية . تمتزج الحركات بكلام الحكواتي ، وتشكل معها ما يشبه اللحن الحزين ) .

**الحكواتي:** وطلب الوزير أن يحضر الحلاق في الحال . وأن يحمل معه من الأمواس أشدها بريقاً ، وأمضاها حداً . وعلى الفور جاء الحلاق الى الديوان يتبعه ثلاثة من الغلمان .

( يدخل الحلاق ووراءه الغلمان الثلاثة . يسيرون بخطوات موزونة بطيئة بالغة التأدب . يلبسون ثياباً ناصعة البياض . ويحملون معدات الحلاقـة . أحد الغلمان يحمل كرسياً عالياً وسنادة للقدمين . والثاني يحمل حقيبة فيها عدة الحلاقة وبعض المناشف . أما الثالث ففي يديه دورق وطشت من الفضة الخالصة . يتقدم الجميع نحو منتصف الديوان . وبين الفينة والفينة لا ينسون أن ينحنوا باتساق ، ويشكل احتفالي . عندما يصلون الى حيث يقف الوزير وجابر . يبدؤون في الإعداد للحلاقة . يوضع الكرسي في مواجهة الجمهور وأمامه السنادة . الجو ثقيل بطابعه الاحتفالي .. )

**الحكواتي:** وقاد الوزير مماوكه جابر حتى أجلسه على الكرسي العالي ؛ فاستقام ظهره فوقها ، وامتلأ بالزهو . وكانت عيناه تبرقان ، وتدغدغ مخيلته الأحلام . فتح الحلاق حقيبته . أخرج موساً له بريق ، ومعه مسنه الجلدي . وراح يسن الموس .

« اشحذ موسك أيها الحلاق .. اشحذه حتى يصبح كالومض البراق ..

الرأس التي ستجز شعرها لها في هذا الزمن المضطرب دورها ..

اضغط بيدك جيداً .. حركها برشاقة واضغطها

الرأس التي ستجز شعرها .. لها في هذا الزمن المضطرب دورها .

فاصقل حد الموس حتى يصبح كالومض البراق .. »

وكان الصبية يهيئون كل ما تحتاجه حلاقـة يشرف عليها الوزير

بنفسه .. ولما صار الموس ذا حد يفري الحديد ، تناول الحلاق برقة رأس المملوك جابر . فارتخت عضلات رقبته ، واستسلم هادئاً، بينما سرت في العينين نشوة كالحلم ..

**الوزير** : ( منفعلا ) هذه الرأس لها قدرها عندي . أريدك بارعاً كما عرفتك .. احلق الشعر من الجذور .. من أعمق منابته .. أريد أن تصبح رأس مملوكي جابر أكثر نعومة من خدود العذارى ..

**الحلاق** : ( منحنياً في طقسية ) سمعاً وطاعة .

**الصبيان** : ( وهم يصطفون وراء الحلاق متهيئين لكل خدمة .. بصوت غنائي رقيق وخافت أثناء الحلاقة )

د يا معلّمنا احلق ونعّم الحلاقة ..
خل الرأس يصير مثل خدود العذارى
يا معلم الحلاقين ..
بفن ومهارة ..
خل الرأس يصير مثل خدود العذارى ،

**الحكواتي**: ( على صوت الغناء الرقيق والخافت ) وأخذ الحلاق يجز شعر المملوك جابر .. وبخفة يده ومضاء حد موسه ، لم يكن جابر يشعر إلا ببرودة لطيفة تشبه الأنسام .. وترخي لها الأجفان . وتساقطت خصلات الشعر .. خصلة بعد خصلة تساقطت .. وبان جلد الرأس .. يد الحلاق ماهرة رشيقة ، تتحرك فيلتمع الجلد ..

**الوزير** : نعّم يا حلاق .. نعّم ما استطعت .

**الحلاق** : ( منحنياً للوزير ) سمعاً وطاعة ..

**الصبيان** : خلّ الرأس يصير مثل خدود العذارى ..

**الحكواتي**: وشعر جابر برأسه يعرى ، أحس بالبرودة ، لكنه لم يرتعش ، ولم تضطرب عيناه، بل ظلت النشوة تختلج فيها. والموس يروح ويجيء.. حتى صار لرأسه لمعان المرايا ..

( تسقط حزمة ضوء على رأس جابر ، فينبثق منه لمعان ) ..

**الحلاق** : ( يعطر الرأس ، ويمسح عليها فتنزلق اصابعه .. ) نعيماً.. (ثم يلتفت الى الوزير ) نعيماً لمولانا ومملوكه .

**الصبيان** : نعيماً لمولانا ومملوكه .

**الوزير** : ( يتحسس هو الآخر رأس المملوك جابر ، فتثيره نعومته ) عظيم .. عظيم . اصبحت تغار من رأسك خدود اجمل العذارى .

( ثم الى الحلاق وصبيته ) انصرفوا الآن .

( بعد أن يجمع الحلاق وصبيته ادواتهم ينسحبون وهم يتمتمون : « نعيماً لمولانا ومملوكه » ، مكررين نفس الطريقة الطقسية التي دخلوا بها )



**جابر** : أرتعش من السعادة إذ يسبغ مولاي على رأسي الوضيعة هذا الاهتمام .

**الوزير** : رأسك تساوي مملكة يا جابر ..

**جابر** : هي لك يامولاي ( لحظة حتى يخرج الحلاق من الباب ) والآن .. ابحث يا مولاي عن ريشة وحبر لا يمحى الا بالحفر .

**الوزير** : ( منفعلاً ) هذا ماسنفعله بلا ابطاء .

( يبحث الوزير عن ريشته والدواة . بينا يرفع جابر لأول مرة يده الى رأسه ، فيلامسها ، ويبتسم ابتسامة طويلة تغص بالمعاني . يأتي الوزير ومعه الدواة والريشة ) .

**جابر** : بين يديك يا مولاي ..

( يركع جابر بحركة بطيئة ووجهه للجمهور بحيث تبـدو واضحة كل الانفعالات التي يمكن أن تعبره . يأتي الوزير بكرسي منخفض ، ويجلس خلف جابر واضعاً الدواة قربه . يمسح مرة أخرى على الرأس التي تلمع تحت الاضواء . ثم يقط ريشته بالدواة ، ويبدأ في الكتابة . عندما يضع الدواة على رأس جابر تتقلص ملامحه تحت تأثير الوخزة ، لكنه يتحمل ، وتخفق عيناه )

**جابر** : ( ووجهه يتقلص ) آه .. ليت مولاي يختـار من الكلمات أليَنها واكثرها ايجازاً .

**الوزير** : لا تخف . سأوجز الكلام ما استطعت .

( من حين لحين يتوقف الوزير لحظة ، يفكر فيها باحثاًعن كلمة،ثم يعود الى الكتابة )

**جابر** : ( متقلصاً من الألم ) هذه الكلمة احسها تتغرز في دمـاغي . ليت مولاي يجد كلمة اخرى .

**الوزير** : انتهيت تقريباً .

( ينهي الجملة التي كان يكتبها.. يضع الريشة ، ويغلق الدواة ، لكنهيتوقف فجأة ويبسم مفكراً )

**جابر** : بعد ان فرغ مولاي من كتابة رسالته ، هل يسمح لي بالنهوض ؟.

**الوزير** : ( ساهماً ) لا .. لا .. انتظر قليلا .

( ثم ينهض ، ويذرع الديوان جيئة وذهاباً . يتناول نشوقاً ويعطس )

**الحكواتي**: وفكر الوزير . كانت هناك حاشية ناقصة فيما يبـدو . وتردد .. عطس وتردد . وبعد أن اجتاز الديوان مراراً في غدو ورواح ، التمعت عيناه وعاد يجلس على كرسيه .

**الوزير** : انتظر .. انتظر . هي جملة اخيرة وننتهي .

( يكتب الوزير جملة جديدة ، وينقبض وجه جابر بألم )

**الوزير** : ( يربت على كتفه بابتسامة ) والآن .. تستطيع ان تنهض

**جابر** : ( وهو ينهض ) هل يشرفني مولاي الآن بمعرفة الجهة التي سأحمل اليها رسالته ؟

**الوزير** : ليس الآن .. ستعرف فيما بعد ، المهم أن ينبت شعرك بسرعة ، وان يكسو جلد رأسك كطاقية سوداء .

**جابر** : وإلى ان يحين ذلك الوقت !

**الوزير** : إلى أن يحين ذلك الوقت .. ستقيم في غرفة منعزلة ومظلمة حتى لايراك أحد ، ولا يقرأ ماهو مخطوط على رأسك أنس ولا جن ..

**جابر** : من أجل مولاي مستعد لكل شيء ..

**الوزير** : إذن تضع على رأسك كوفية .. وتستعد للمكوث في غرفة مظلمة .. هيا معي .

(يمسكه الوزير بيده ، ويخرجان ..)

**الحكواتي**: وهنا نستأذن المستمعين الأكارم باستراحة قصيرة نشرب فيها فنجاناً من الشاي . طبعاً من يشاء الخروج لقضاء حاجة يستطيع الخروج، ومن يشاء البقاء يمكنه أن يبقى ..

( تنفر من بين الزبائن تعليقات وردود فعل سريعة .. )

**زبون** : لا .. بالله عليك كمّل ..

**زبون ٣** : نريد أن نعرف بقية الحكاية ..

**زبون ١** : دائماً تقطعها في لحظة حرجة ..

**زبون ٢** : هات شاي للعم مونس ..

زبون ١ : تستطيع أن تشرب الشاي ، وأنت تقرأ ..

الحكواتي: لاتخافوا .. سنكمل القصة .. دعوني أسترد أنفاسي قليلاً ..

زبون ٣ : اتركوه على راحته .. لن يغير العم مونس عاداته .

زبون ٢ : هات نارة ياأبو محمد ..

الخادم : حاضر .

( يعود جو المقهى الى التراخي ، والفوضى .. كلام .. وتعليقات .. وصياح على أبي محمد الذي تنشط حركته الآن .. بعض الزبائن يستغلون الاستراحة للخروج قليلاً من المقهى .. )

زبون ١ : أريد أن أعرف إلام سينتهي هذا الولد ..

زبون ٢ : يبن بالله أحببته ..

زبون ٣ : يفهم الحياة كأنه جربها أجيالاً ..

زبون ٢ : ويعرف كيف يقتنصها أيضاً ..

زبون ٣ : الحياة كالمرأة لاتعطي جسدها إلا لمن يعرف كيف يأخذ جسدها.

( الخادم يحمل صينية عليها عدد من كؤوس الشاي .. يضع كوباً أمام الحكواتي .. ويوزع الباقي .. ثم يعود بعد قليل حاملاً موقد الفحم ليوزع الجمر على النراجيل )

زبون ١ : أنا أقول إن شأناً كبيراً ينتظر هذا المملوك ..

زبون ٢ : بمثل هذه الفطنة ، والجرأة يستطيع أن يتسلق عرش سلطنة .

زبون ٤ : لاتزيدوها .. ماهو إلا ولد زكي ونهاز للفرص ..

زبون ٢ : نهاز للفرص .. لكن . هذا هو الطريق للوصول إلى أعلى المراتب.

زبون ٤ : وأحياناً إلى أسفل المراتب إذا كنت لاتعرف..

زبون ٢ : نعرف ونرى كيف يسير دولاب الدنيا !

زبون ١ : ولد بهذه العياقة ، يخرج من ألف مصيدة بسلام .. بالله ياعم مونس عجل .. أنا أقول إن شأناً كبيراً ينتظر هذا المملوك فما رأيك .

الحكواتي: اصبروا .. اصبروا .. هي دقائق وتعرفون بقية الحكاية .

زبون ١ : طيب .. العم مونس لايريد أن يجيب .. ولكن هل تراهن على ماأقول ..

زبون ٢ : وأنا أنزل معك بالرهان ..

زبون ٤ : لاأراهن .. قد يصح ماتقول إلا أن المنطق السليم هو ألا يصح ماتقول ..

زبون ١ : هذه فذلكة ، نحن نعرف الدنيا ، ونرى كيف يسير دولابها ..

زبون ٢ : ستأتي بقية القصة على كل حال

زبون ١ : هات شاي ياأبومحمد ..

زبون ٣ : مادام العم مونس يطلب استراحة افتح لنا الراديو ..

زبون ٢ : إي .. افتح هذا الراديو يا أبومحمد ..

( أبومحمد يفتح الراديو .. )

صوت مذيع : وفي الساعة السابعة من مساء اليوم عقد اجتماع هام بالقصر الجمهوري حضره السادة الوزراء ..

زبون ١ : غيّر المحطة ياأبومحمد..

زبون ٤ : دعونا نسمع نشرة الأخبار .

زبون ١ : بلا أخبار ووجع قلب ..

زبون ٢ : ابحث عن أغنية تبلّ الريق ..

زبون ٣ : إي .. أسمعنا غنوة حلوة ...

( يد محمد تحرك المؤشر بحثاً عن أغنية .. ينبثق صوت أم كلثوم في أغنية « الحب كده » ) ...

**اصوات زبائن :** – أيوه

– اتركه

– ياسلام

( يستقر المؤشر على المحطة .. ويتوضح غناء أم كلثوم ، وهي تكرر « الحب كده » . العم مونس يرقب الزبائن ، ويهز رأسه بينما يشرب الشاي بهدوء .

تستمر الأغنية بضع دقائق هي تقريباً فترة الاستراحة .. ومن حين لحين لسمع آهة « ياسلام » . )

**بعد الاستراحة**

( يخفت صوت الغناء ، ويصبح خلفية .. )

**زبون ٢ :** أنهى العم مونس فنجان الشاي .

**زبون ١ :** لنسمع إذن بقية الحكاية .

**زبون ٣ :** لابأس بهذه الحكايات .. ولكن بيني وبينك أين هي من سيرة الظاهر ! تلك حكاية تملأ الدماغ فعلاً .

**زبون ١ :** والله صحيح ..

**زبون ٢ :** حلفتك بالله ياعم مونس لماذا تدلل علينا بسيرة الظاهر ؟

**الحكواتي:** العم مونس لايعرف الدلال ، ولكنه يعرف جيداً ترتيب الحكايات في كتابه .

**زبون ٢ :** تبالغ في الحرص على الترتيب وكأنه تنزيل حكيم .

**الحكواتي:** لن نفهم أيام الظاهر إلا إذا فهمنا ماتقدمها من أوضاع وأزمان . لاتنسوا أن التاريخ متسلسل .

زبون ٢ : ولكن متى تنتهي حكايات ماقبل الظاهر ؟ . .

الحكواتي: كل شيء وله أوانه . .

زبون ٢ : أتكون حكاية اليوم هي الأخيرة . !

الحكواتي: من يدري . ! ( ويفتح كتابه مبسملاً بصوت خافت )

زبون ١ : لافائدة . .

زبون ٢ : كتوم وعنيد .

زبون ٣ : لماذا لاتساعدنا ياأبو محمد في اقناع العم مونس بافتتاح السيرة غداً .

الخادم : وهل أستطيع . ! والله مشتاق لسماعها أكثر منكم .

الحكواتي: ونعود إلى الصلاة على النبي .. ونتابع مجرى قصتنا . .

أصوات : — ألف الصلاة والسلام عليه . .

— سنرى الآن نهاية جابر .

— اقفل الراديو . .



( ثم تهدأ الضجة ، ويختفي صوت الراديو .. يرين الصمت والانتظار )

الحكواتي: فقال الوزير لمملوكه جابر .. هيا معي . وبعـــد ان ستر رأسه بكوفية سوداء ، وضعه في غرفة مظلمة على بابها حارس ترتعد لمرآه الفرائص . متيبس على الباب لا يسمح لأحد بالاقتراب منه . وكان لابد من الانتظار حتى ينمو الشعر ، ويخفي سر الوزير . . والتوتر في ازدياد . ترقّب في قصر الوزير . وحركة ومشاورات في قصر خليفة بغداد . وكلعبة الشطرنج . كلٌ يحك رأسه ، ويفكر كيف يحرك أحصنته وجنوده . اللاعبان خليفة بغداد ووزيرها ، ورقعة الشطرنج بغداد وعامتها . .

( أثناء كلام الحكواتي يدخل الممثلان اللذان قاما بدوري الوزير والأمير عبد اللطيف .. هما الآن يمثلان دوري الخليفة المقتدر بالله وأخيه عبدالله . يضعان مايحملان من قطع ديكور بسيطة تمثل ديوان الخليفة وهو شبيه جداً بديوان الوزير . يتخذان مكانيهما ، وينتظران سكوت الحكواتي .. بعد لحظات . )

عبد الله : أصبحت اللحظة مناسبة للخطوة الحاسمة .

الخليفة : أواثق من النتائج !

عبد الله : لو لم أكن واثقاً من النتائج ما كنت لأقول أصبحت اللحظة مناسبة .

الخليفة : لاتنس أن له أعواناً مخلصين داخل قيادات الحرس .

عبد الله : وهل أجهل ذلك ؟ما قيمة هؤلاء الأعوان بعد أن أفرت مراسلاتنا .
( ويلوح برسائل في يده ) .

الخليفة : ( لايخفي ضيقه ) مراسلاتنا ! بل قل تنازلاتنا التي ستجردنا تقريباً من معظم ولاياتنا .

عبد الله : ( باحتداد ) لن نعود لنناقش هذه النقطة . أحياناً من الضروري أن تتنازل عن شيء كي تكسب شيئاً أهم . دون تنازلات ما كان ممكناً أن نقنع بعض الولاة بارسال إمداداتهم .. وبلا إمدادات لن يكون سهلاً أن ننتصر عليه .. قل لي .. أتريد أن ننفض أيدينا ، ونترك الوزير يسرح ويمرح في بغداد .. يدعم قواه ، ويعزز مراكزه ، وحين تواتيه الفرصة ينقض علينا ، ويصفينا .

الخليفة : ( يختبط وجهه ) لا تستفزني .. انت تعرف اني مصر هذه المرة على ألا نتراجع . ماعدت أحتمل ان يكون في بغداد خليفتان وقيادتان . سيصيبني الشلل لو اضطررت بعد كل هذا الى استقباله في ديواني ورؤية وجهه المريب .

عبد الله : إذن لماذا نتردد ! المناورة اساس الحكم . نوقف بعض العداوات لنتفرغ لعداوة اهم . وبعدها سيكون لكل حادث حديث . إننا نمسك بالخيط .. قطعنا عليه كل فرصة للاتصال بالخارج ، وأقنعنا ولاة اقوياء بالانضمام الينا .. الآن لدينا قوات تنتظر اشارة ، وأعتقد انها اللحظة المناسبة كي تصدر لها الاوامر بالتحرك الى بغداد .

الخليفة : مع هذا أريد أن تكون حساباتنا دقيقة . وضعنا لا يحتمل خطأ أو هفوة .

عبد الله : تعرفني بارعاً في الحساب .. إني أؤكد لك أن الفرصة حانت كي نتخلص منهم ، ونعيد للسلطة حزمها ومركزها .

الخليفة : أتعلم ! مجيء هؤلاء الولاة الطامعين على رأس قوات كبيرة .. رغم ضرورته يقلقني . أخشى أن نخلص من شر لنقع في شر آخر . لو أوقظ النصر شراهتهم فسنواجه مساومة غالية الثمن .



عبد الله : اترك لي هذا الأمر . بعد أن ننتهي من الوزير ، ونعيد لقوات بغداد وحدتها ، سيكون سهلاً أن نواجه احتمالات طارئة كهذه . ولا تنس أني أعرف التناقضات القائمة بين الولاة أنفسهم . من اليسير دائماً أن نشعل بينهم معارك تستنزفهم وتضعفهم .. حتى التنازلات يمكن أن تكون مؤقتة .

الخليفة : إنها مواثيق يا عبد الله .

عبد الله : القوة هي ميثاق كل المواثيق يا خليفة المسلمين . وعلى كل حال الوقت مبكر للخوض في هذا الحديث . لا تزال أمامنا المهمة الأساسية .. أن نخلص من الوزير وأعوانه .. وهذه هي اللحظة . فأصدر الأمر

لولاك بالتحرك نحو بغداد .. أما نحن فعلينا أن نهيء ما يحتاجه قدومها .. أمامنا ترتيبات كثيرة لا بـد من اتخاذها ، والوقت لا يرحم .

الخليفة : ( مفكراً وساهماً .. بعد فترة ) هل تتخيل ما تحتاجه قوات كهذه تأتي لتحل في بغداد . أنت تعرف أن بطون العساكر كالبراميل لا تشبع ولا ترتوي ..

عبد الله : هوذا واحد من الترتيبات التي تنتظرنا .

الخليفة : الخزينة لا تشكو التخمة يا عبد الله .. وحتى ثرواتنا الخاصة لا تكفي فمن أين سنسدد نفقات إقامتهم ومكافآتهم .

عبد الله : لن نعدم وسيلة لتدبير المال وتسديد كل النفقات .

الخليفة : أتعتقد أن التجار لن يبخلوا ..

عبد الله : التجار !

الخليفة : ولم لا . ! يعنيهم الأمر مثلنا . إننا نحمي مصالحهم أيضاً .

عبد الله : الحقيقة ينبغي أن نقتصد في استـــنزاف التجار . لم يبخلوا أبداً وخزائننا شاهدة ..

الخليفة : إذن .. من أين سنجد ما يسدد نفقات هذه العساكر ؟

عبد الله : مسألة بسيطة للغاية .. لماذا تأتي هذه القوات ؟ إنها لا تأتي لتتنزه ، وتتفرج على عاصمة المسلمين بغداد ، وإنما لتؤدي واجباً مقدساً . ! إنها تأتي لتحمي للمسلمين خليفتهم ، وتحفظ لهم وحـــدتهم . حماية الخليفة واجب على كل مسلم . فمن قوته يستمدون القوة ، ومن ضعفه تدب اليهم الفرقة والشقاق .. ولهذا فعلى الجميع أن يسهموا

بتصيبهم في حماية الخليفة ، وصون خـلافته .. ذلك أول واجباتهم كمسلمين ..

**الخليفة** : ( مبهوراً ) أوضح لي ماذا تعني ؟ .

**عبد الله** : الم تفهم مـا اعنيه . ! سنفرض ضريبة مقدسة على الناس في بغداد ، وبذلك نوفر كل النفقات اللازمة .

**الخليفة** : ( باسماً ) ضريبة مقدسة . حماك الله من دهائك . هي فكرة معقولة ، لكنها لا تخلو من مزالق . اخشى ان تثير الضريبة تذمر الناس . وفي مثل هذا الظرف من السهل ان يتحول التذمر إلى فتنة . حينئذ قد تنقلب الأمور رأساً على عقب .

**عبد الله** : فتنة . ! عامة بغداد تحدث فتنة ! ( تلوح على وجهه أبشع علامات الازدراء ) . . ينقصك يا خليفة المسلمين ان تعرف رعيتك . اما انا فأعرفهم جيداً . . قد يتذمرون ، ولكن ما إن يروا وجه حارس حتى يضغوا تذمرهم ، ويبلعوه مع ريقهم .. وفي النهاية يهرولون ، لينبشوا الأرض من اجل تسديد الضريبة .

**الخليفة** : كم تبدو واثقاً من خططك وتقديراتك !

**عبد الله** : تعرفني بارعاً في الحساب .. والبارع في الحساب لا يضيع اللحظة الملائمة للتحرك . . كل شيء محسوب وهـذه هي اللحظة ، فأصدر يا خليفة المسلمين اوامرك .. ولنتهيأ للضربة القاصمة ..

**الخليفة** : ما دمت واثقاً إلى هذا الحد .. فلتكن مشيئة المولى

**زبون** : مشيئة المولى ، أم مشيئة هذا الداهية .!

**الحكواتي**: ( فيما ينسحب الممثلان حاملين معهما قطع الديكور ) هـذا ما كان من

الخليفة واخيه عبد الله .. وأما عامة بغداد فحالهم من سيء إلى أسوأ يسكن قلوبهم القلق ، ويجمدهم الخوف .. ينـامون ولا يعرفون علام سيستيقظون .. وبدأت المعيشة تزداد صعوبة .. ندر الرغيف، وازداد القل . وبدأ يمتزج الخوف بالجوع ، والتعاسة بالحاجة .. والألسنة الجافة تهتف : يا بصير ..

( أثناء كلام الحكواتي تدخل امرأة ما زالت صبية على حضنها طفل .. تقوم بدورها الممثلة التي أدت دور المرأة الثانية ، ديكور لغرفة بائسة شبيهة بالكوخ .. تجلس شاحبة تعيسة ، واضعة طفلها في حجرها .. الطفل لا يكف عن الصراخ والعويل .. المرأة شديدة البؤس والتعاسة وتبدو وكأنها تنتظر .. )

**الزوجة** : ( تهدهد الطفل .. وهي تغني ) هي يا الله .. هي يا الله .. نام يا عيني نام هي .. يا الله .. ( الطفل لا يزال يبكي ) يا الله .. ماذا افعل .. ( تفتح ثوبها ، وتخرج ثديها لترضعه ) تعرف ان ضرعي جاف .. لا توجد فيه قطرة واحدة من الحليب .. منذ يومين لم تضع امك في فمها لقمة خبز .. من اين سيأتي الحليب اذن .. ( الطفل لا يجد ما يرضعه ، فيعود الى البكاء ) هي يا الله .. هي يا الله ...

( يدخل الزوج وهو شاب في حوالي الثامنة والعشرين، يقوم بدوره الرجل الأول .. وجهه مكفهر وحزين .. يجلس على الأرض متحاشياً النظر الى زوجته .. )

**الزوجة** : ( مبهوتة ، تحدق اليه .. ولكنها للحظات تخاف أن تتكلم .. بعد قليل ) .. أراك تعود بسرعة

**الزوج** : ....

( الطفل يبكي دائماً )

الزوجة : هل توسلت إليه كما وعدتني ؟

الزوج : لافائدة .

الزوجة : ( يائسة ) أعرف كبرياءك .. فضلت أن تكابر على أن تتوسل .

الزوج : أقسم أني توسلت ..

الزوجة : وشرحت إليه كل مانقاسيه !

الزوج : لم أترك اليه سبيلا .

الزوجة : هل أقسمت له أننا لم نذق طعاماً منذ يومين .. منذ يومين لم نضع في أفواهنا لقمة خبز .. هل قلت له إن ابنتا سيموت من الجوع لأن ثديي ناشف لايدر إلا الهواء .. لو قلت له كل هذا ، لايمكن أن يمنع عنك العمل ولو كان قلبه من حجر .

الزوج : ولكن قلبه من حجر .

الزوجة : حلفتك بالله .. هل ألححت عليه .. وشرحت له كل مانقاسيه ؟

الزوج : ( بعنف ) والله كدت أبوس قدمه .. بقيت ألح حتى طردني وهددني بالضرب .. يقول إنه ليس مجنوناً ليدفع أجرة عمال في مثل هـذا الكساد .

الزوجة : ( بعد فترة ) يارب ماذا حل بالدنيا ؟. عملت عنده سنتين .

الزوج : وإذ بدأ الكساد رماني كالكلب .

( يعلو صراخ الطفل ، فتنظر اليه المرأة بحزن وتهدهده )

الزوجة : خلت كل القلوب من الرحمة .. ماذا حل بالدنيا .. ( الصراخ يعلو ) نم ياحبيبي نم .. آه .. لو استطيع لعصرت لك قلبي واطعمتك .. ( تهدهده ) هي يا الله .. هي يا الله .. ( بعد لحظة ) والآن .. ما العمل ؟.

الزوج : لست ادري .

الزوجة : ومن الذي يدري إذن . سيموت الصغير بين ايدينا .

الزوج : ( مقهور الصوت ) ماذا افعل ؟ .

الزوجة : اي شيء .. لن نتركه يموت بين ايدينا .

الزوج : ( بعد تردده .. بلهجة يرعشها الخجل والغضب وهو مطرق الرأس ) لماذا لاتذهبين إلى جارنا .. في بيته مؤونة تكفي المدينة لسنة . يمكنك ان تسأليه شيئاً نا كله .

الزوجة : ( يتغير وجهها .. بعد لحظة تتأمله بعينين جاحظتين ) أتطلب مني ذلك؟ .

الزوج : ( لايزال مطرقاً في الأرض ) لعله الحل الوحيد .

الزوجة : أأنت جاد ! إنك تعرف ما يعنيه الذهاب الى بيته .. ( يغص صوتها بالبكاء ) لا .. لايمكن أن تطلب مني ذلك .. لايمكن .. (تتفجر دموعها)

الزوج : ( يتفجر قهره ) ماذا أفعل ؟ تضعين كل شيء على رأسي و كأني المذنب.. أأنا المسؤول عما يحدث في بغداد .. ! أأنا من أوقع الفتنة بين الخليفة والوزير .. ! أأنا من أحدث الكساد ، وأوقف الأعمال ! قولي لي ماذا أفعل .؟ لست ساحراً ولا رجل معجزات . تعرفين أن قلبي ينزف ، وأن صراخه يكويني في الأعماق .

( خلال ثورته .. تنهض المرأة .. وتجلس الى جواره ثم تمسح على شعره )

الزوجة : ( مع شهيق دموعها .. بحنان ) أعرف .. أعرف .. إني إمرأة موجوعة وحمقاء .. لا أريدك أن تغضب .. الجوع بعض كالتعرف .

( ويسود الصمت .. الرجل يدفن وجهه بين يديه .. بعد قليل تنهض المرأة ، فتضع الطفل على حشية من القش ، وتهم بالخروج .. )

الزوج : ( كالمجنون ، يمسك معصمها ) ماذا تفعلين ؟

الزوجة : الله بصير ، ولن يضنّ علينا بالغفران .

الزوج : ابقي هنا .

الزوجة : الله يغفر .. لن نتركه يموت ونحن نتبادل النظر .

الزوج : لا .. ليس الآن .. لا أستطيع .. لاأستطيع ..

(يشدها الى جواره . يجلسان ، وتتساقط دموعها معاً ، بينما يعول الصغير)

الزوجة : يابصير ..

زبون ٢ : أستغفر الله العظيم .

زبون ٤ : في النهاية لاتقع إلا على رأس المساكين ..

زبون ٣ : الله يساعد .

الحكواتي: وكان المملوك جابر لايزال في الغرفة المظلمة لايدخل اليه الضوء إلا من نافذة صغيرة كفتحة العين .. ينتظر أن ينمو شعر رأسه كي يخرج من حبسه، ويرحل حاملا الرسالة .. ( أثناء كلام الحكواتي يجري تركيب غرفة على المسرح لها باب ونافذة ضيقة جداً . النافذة مشبكة بالحديد ، والباب مغلق يقف عليه حارس ) وكان الوزير وكأنه على جمر . يبـــدو نافذ الصبر . وفي كُل يوم ينفتح له باب الغرفة ، ( الحارس ينحني ويفتح الباب أمام الوزير الذي يدخل ) فيـدخل على جابر .. يمسح بيده على رأسه ، ويقيس نمو شعره ،. ولو ملك لأمر الشعر أن يطول لساعته ، ويصبح كجدائل امرأة .. لكنه كان يخرج كل يوم ضيق الصدر ، يحمل في يده علبـــة نشوقه ، ويمضي لينتظر يوماً آخر . ( يخرج الوزير. تحية احتفالية من الحارس. ينغلق الباب) ولم يكن يستطيع أحد أن يزور جابر في عزلته أو يقترب من غرفته، فأمر الوزير صارم ، وغضبه عات لو علم .. لكن للنساء حيلهن .

وقد استطاعت زمرد بعد تعب وجهد أن تجعل الحارس يغمض عينيه ، وأن تسرق لحظات من وراء النافذة .. تتحدث خلالها مع المملوك الذي يخفق قلبها لمجونه وحسن كلامه .

( تكون زمرد قد ظهرت ، واقتربت بخطوات حذرة من النافذة الصغيرة تبرز مشيتها مفاتن صبية يضج جسدها بالحياة . على وجهها نقاب نصفي لايخفي جمال عينيها ، ولا القلق الذي يطلي سوادهما ... )

جابر : ( يندفع صوته بفرح من وراء النافذة ) زمرد . ! لم يخطيء إحساسي إذن . قبل ان تصلي عرفت انك تأتين . تلك هي العلامة .. فجأة التهب راسي ، وانتفض كل ما في جسدي ، فأيقنت انك تأتين ، وها انت ذي بلحمك ودمك .. لم تفارقي خيالي يازمرد .. دائماً معي في هذه الغرفة . ارى عينيك تضيئان العتمة . وجسدك يتثنى حولي نضراً ، حياً ، معطراً . أتصدقين .. احياناً احس عطرك ينفذالى مسامي ، فتأخذني رعشة كاللذة .. ينتفض جسدي ، ويرتعش كالو كنت احتويك .. ولكن بحق الله ارفعي هذا النقاب .

زمرد : ( القلق والحزن واضحان في صوتها ونظرتها ) جئت متسترة ولا ينبغي ان يلمحني احد . تعبت كثيراً حتى نجحت في الوصول اليك .

جابر : ولم .؟ ألا يعرفون انك اصبحت لي ؟

زمرد : لم يصبح لك شيء بعد .

جابر : ماذا تقولين ؟ وافق الوزير وكانت وعوده صريحة .

زمرد : ربما وافق ووعد .

جابر : ( بعنف ) لاتقولي .. ربما . بل وافق بالفعل .

زمرد : اصدقك . ولكن لم يصبح لك شيء بعد .. انت الآن سر محبوس في غرفة مغلقة .

جابر : كلها فترة وتمر .. عندئذ ساحتوي هذا الجسد الذي يكويني ولن ادعه يفلت مني إلا بالموت . فعلت كل هـذا من اجلك يازمرد . انت من اوقد ذهني ، ومدني بالالهام . كنت احلم بك عندما لمعت في ذهني الفكرة . اصبحت لي .. كل هذا الجسد الدافيء لي .

زمرد : ( شاخة العينين ) لاتزال بيننا مسافة محفوفة بالمخاطر

جابر : ماذا تعنين ؟ . لم اسمعك مرة تتحدثين بهذه الجدية ، اعرف صوتك يغنج مرحاً .. والكلمات تنزلق بين شفتيك لاهية مثيرة . ماذاهناك؟

زمرد : هذه الرحلة !

جابر : اتخافين علي ؟ ! سانهب الأرض كالخيال ، وسأكون اسرع من طير البراري . لو بدأت زينتك فسأكون الى جوارك قبل أن تفرغي منها .

زمرد : إني قلقة ياجابر .

جابر : ولم القلق ؟ .

زمرد : لاأدري .. أحياناً يعصر قلبي إحساس غريب . إني أحبك ياجابر .

جابر : آه .. لو سمعت هذا التصريح في ظرف آخر . ! ولكن بحق الله ارفعي هذا النقاب .

( تتلفت زمرد حولها قلقة ، ثم تفك طرف النقاب ، فيظهر وجهها الجميل والمتناسق التقاطيع )

زمرد : او لمحني أحد فسيسلخون جلد الحارس .

جابر : ليسلخوا جلده ، وجلدي أيضاً إذا شاؤوا . ثمن عادل لرؤية هذا البهاء ( يتحلب الريق في صوته ، ويمد يده ) لو أستطيع أن ألمس هاتين الشفتين النديتين ، أو هذا العنق الشفاف . ( تصطدم يده بالقضبان ) لعنة الله على هذه النافذة .. لكنها أيام وأعود .. حينئذ ستحرق شفتاي كل ثنية في هذا الوجه .

زمرد : أشعر قلبي ينقبض ، ويتقلص . كان من الأفضل ألا تزج نفسك في هذه القصة .

جابر : أفعل ذلك من أجلنا .. هل تريدين رجلا بلا طموح وبلا قيمة .. كنت أظنك فخورة بي .. ستتزوجين رجلا حراً ولديه ثروة .. وسأعرف كيف أوظف هذه الثروة . الذكاء لاينقصني . وبالذكاء يستطيع المرء أن يصبح خليفة بغداد يازمرد .

زمرد : إلا أن ما حولنا غامض ومليء بالمهالك . أصبح القصر كالقلعة . الحراسة شديدة ، والأوامر صارمة ، والجميع يحملون أسلحتهم استعداداً لطارىء أو مفاجئة . العبوس يخيم حولنا . وكل واحد يضع يده على قلبه خائفاً .. حتى سيدتي شمس النهار بدأت تهمل زينتها . يدخل عليها الوزير مهموماً يزمجر ( يتحول صوتها هامساً ) وأحياناً تفلت منه كلمات يتطاير منها الهول . الواقعة بين الخليفة والوزير يا جابر .

جابر : فخار يكسر بعضه يازمرد . المهم أن أبلغ الرسالة ، وأنال مكافأتي .

زبون ١ : مثلك يربح ولا يخسر .

زبون ٣ : يفهم سر الحياة واصولها .

زمرد : هل تعرف ما تحتويه الرسالة ؟

جابر : وماذا يعنيني ما تحتويه الرسالة ! لاشك انها مليئة بالحماقات . أعرف

كيف تكون مراسلات الحكام . ولكن ليكتب مايشاء . تعنيني المكافأة لامحتوى الرسالة .

زمرد : ( مترددة بقلق ) لا أدري .. كنت أتمنى ألا تورط نفسك .. ومن يعرف .. لو افتضح الأمر ، فلن تلمسني إلا يد باردة ميتة .

جابر : لاتقلقي . ستكون يدي مشتعلة بالحياة عندما تلمسك . لست ذبابة حمقـاء تسقط في أي فخ . الأمر أبسط مما تتصورين . سأنطلق كالريح . أبلغ الرسالة ، وأعود لئلا نفترق بعدئذ .

زمرد : إني خائفة ياجابر .. لابد أنها خطيرة . ولعلها تمس مولانا الخليفة .. لو علم أحد ..

جابر : وتشغلين نفسك بالخليفة والوزير إفختار يكسّر بعضه يازمرد . لن نحمل همومهم أبداً . مستقبلنا أهم . تصوري . فجأة وجدت أمامي فرصة عمري . فهل أتركها ! أكون مجنوناً لو لم أثب عليها . كل الفرق بين الفشل والنجاح هو أن يعرف المرء كيف يقبض على الفرصة .. لا .. لاتخافي .. المهمة سهلة ولا مبرر للقلق .. سأعود .. وستكون أمامنا كل الأيام . أيام حافلة وبهيجة .

زمرد : ( شبح ابتسامة على وجهها ) أدعو الله أن يكون صحيحاً ما تقول .. تراودني هواجس ثقيلة .

جابر : اطردي هذه الهواجس ، ودعي وجهك يشرق كعادته .. أحبه مشرقاً كالصبـاح . سأخبىء صفاء عينيك ، وإشراقة وجهك في صدري .. وسيمدانني بالقوة طوال الرحلة .

زمرد : أواثق حقاً أنه لاخطر عليك ؟

جابر : هناك خطر واحد فقط .

زمرد : ( بلهجة وجدية ) ماهو ؟.

جابر : أن تبالغي في التثني حين تسيرين في أرجاء القصر . لو فعلت .. فسيكتشف الوزير نفسه أن لك إليتين تتلاحق لهما الأنفاس .. كأني أراه .. سيتناول نشوقه ، ويسوقك الى مخدعه . حينئذ لن يبقى للمسكين جابر إلا أن يموت كمداً .

زمرد : ( باسمة ) متى تتعلم الحشمة !

جابر : كل هذه المفاتن أمامي ، وتريدين أن أحتشم ! ( يضرب بيده على القضبان .. متحسراً ) لولا قضبان النافذة .. ! ولكني عائد . فور خروجي ابدئي زينتك .. عندما أعود ، ينبغي أن أشم عطرك على بعد فراسخ من بغداد .

( يظهر الحارس ، ويتنحنح )



زمرد : ( بحركة عاجلة ترفع نقابها ، وتربطه ) حان الوقت . يجب أن أمضي . كن حذراً ياجابر وتحاش المخاطر ،، سأقضي الوقت كله أبتهـــل لعودتك ، فحافظ على نفسك .

جابر : لاتخافي .. سأسبق طيور البراري .

( اشارة وداع ، ثم تغادر النافذة وهي تتلفت من وقت لآخر ناحيـــة جابر وتغمز بعينها ) .

الحكواتي : ( بعد فترة ) وبقي جابر حبيس غرفته ، يتردد عليه الوزير كعادته .. حتى جاء يوم قدر فيه الوزير أن الشعر طال حتى صار كافياً لستر الكتابة . لايظهر جزء من كلمة ولو تغلغت الأبصار بين الشعرة والشعرة ..

حينئذ طاف السرور بوجهه ، وقاد مملوكه ليهيء أمر رحيله دون إبطاء . . فالوقت ثمين ، والبرهة قد تقلب أوضاعاً ، وتغيّر مصيراً . .

( يظهر الوزير محمد العلقمي ، ومعه المملوك جابر وقد بدا شعره نامياً وان كان أقصر مما كان عليه أول مارأيناه . . انها في ركن من الديوان ) .

**الوزير** : حانت اللحظة ياجابر . لحظة لن ينساها لك لاوزير ولا أمير ولا مؤرخ في بغداد .

**جابر** : يبهج القلب ألا ينساني سيدنا الوزير . أما الآخرون فلا شأن لي بهم . أيأمر سيدي مملوكه بالرحيل ؟ .

**الوزير** : نعم حان الوقت ، والدقائق ثمن .

**جابر** : وإلى أين يريد سيدي أن أتوجه برسالته ؟

**الوزير** : قبل أن أخبرك . اسمع ياجابر تحذيري ، وإني أعني ما أقول . لو عرف إنس أو جن المكان الذي تقصده فاعلم أنك مفقود ، وأن جهنم تفتح أبوابها لابتلاعك .



**جابر** : معاذ الله . . أيشك سيدي بأمانة مملوكه . لا عشت إن كنت ممن يخونون السر أو الأمانة .

**الوزير** : أتوسم فيك الاخلاص ، إلا أن التحذير لا يضر .

**جابر** : التجربة محك الاخلاص . وسيرى سيدي إن كنت أستحق ثقته أم لا .

**الوزير** : طيب . . ستتوجه ياجابر قاصداً بلاد العجم . تطلب حاضرتها ، وتسلم الرسالة الى ملكها .

**جابر** : بلاد الملك « منكتم بن داوود » !

الوزير : نعم .. بلاد الملك « منكتم بن داوود » . والرسالة لا تقبل التأخير. كلما أسرعت كانت الخدمة أجل والجزاء أعظم .

جابر : ( بحماس ) سأقطع المسافة كالبرق الخاطف . لن تشرق الشمس بعدد أصابع اليد إلا وأكون أمام الملك « منكتم بن داوود »

الوزير : ( يبتسم ، ويمسح على شعره . بطـوف في نظرته معنى غامض ) كم تعجبني همتك ! لو كان لدي عشرة من أمثالك لغزوت بهم الدنيا . تدبيرك ياجابر لن ينساه وزير ولا أمير ولا مؤرخ في بغداد .

جابر : جاد علي سيدنا الوزير بأغلى مما تستحقه خدمتي التافهة . وعوده لا يحلم بمثلها ملوك .

الوزير : الوعود محفوظة . سننفذها ونزيد إن كنت تسأل عنها .



جابر : والله أردت التعبير عن الامتنان لا أكثر . أنا رهن الاشارة فمتى يأمر سيدي بالرحيل ؟

الوزير : في الحال .. وكل شيء جاهز . أسرجوا أفضل جواد وهيأوا كل ماتحتاجه الرحلة . ينبغي أن ينجح سباقنا مع الوقت .. ولا داعي للتنبيه مرة أخرى ياجابر .. الحذر أهم من زاد الطريق . وإن وقعت في مأزق ، فلا تضيّع نباهتك وأحسن التخلص .

جابر : سأفعل أي شيء لأكون كما يرجو سيدي

الوزير : هيا إذن .

جابر : ( متردداً ) أيسمح لي برجاء صغير قبل الرحيل ؟ .

الوزير : اطلب ماتريد .

جابر : أن ترعى سيدتي شمس النهار خادمتها زمرد . وأن يتم تجهيزهـــا

خلال غيبتي .

الوزير : ( يضحك) عرفت سر العجلة . هو العشق إذن . لاتخف . سيكون لك ماتريد . نرعاها ، ونأمر بتجهيزها كأنها أميرة . وعندما تعود لايكون عليك إلا أن تدخل الحمام، وتخرج منه إلى مخدع الأحباب .. هيا بنا .

جابر : يعجز اللسان عن الشكر والدعاء .

( ويخرجان ... )

الحكواتي: كانت عدة الرحيل جاهزة . وعندما تهيأ المملوك جابر لاعتلاء جواده عانقه الوزير وسط دهشة الحاضرين ، وتمنى له السلامة .. ثم أمر أن يرافقه بعض المماليك إلى باب المدينة ، حتى يتأكدوا من خروجه بأمان . ومن باب سري في القصر خرج الجميع يتقدمهم جابر . وساد الترقب والقلق حتى عاد المماليك يحملون بشارة النجاح . وخروج حامل الرسالة بسلام . حينئذ بدا القصر كله ، وكأنه يتنهد بارتياح واختلاج الصمت الذي كان يخيم على الأروقة . كثر الكلام ، ودار الحديث عن المملوك الذي عانقه وزير بغداد ، وخرج يحمل سراً خطيراً ، وتنتظره إذ يعود هبة وفيرة .

( يدخل المملوكان ياسر ، ومنصور. يلبسان ثياب القتال ، ويحملان السلاح كأنهما في معركة .. يضعان ديكوراً لبرج مراقبة على أحد أسوار القصر.. ويتخذان وضعية الحراسة . منصور مطبق الملامح ، يبدو عليه الضيق.. ياسر مرتبك ، يعكس وجهه رغبة في الكلام .. ولكن ملامح منصور لاتشجعه .. يمتد بينهما صمت ثقيل ، يتململ ياسر .. يرمق زميله بعين حذرة وفي النهاية يتغلب على تردده ، ويبدأ الكلام .. حديثه مقطع في البداية ).

ياسر : ( يبدأ بصوت خافت ونبرة مليئة بالاعجاب ) بأحفيظ .. رجل

مثله يجب أن يعلق خرزة زرقاء ، ويتّقي شر الحاسدين . ( صمت ) مثله يُحسد حقاً . ( صمت ) رأيته ينسل من بينهم كما تنسل الشعرة من العجين . خرج ضاحكاً وكأنه يتجول في ردهات هذا القصر . ( صمت ) لو لم أكن أحد الذين رافقوه ، لما صدقت أنه يفلت من الحراس بهذه السهولة . ياحفيظ . يخطف الكحل من العين لو أراد . ( صمت ) لا أحد يجرؤ على مواجهة نظراتهم . أما هو فقد مازحهم وأضحكهم . لم نصدق عيوننا ، لكنهم كانوا يضحكون بالفعل ، وكأنه يدغدغهم . ( صمت ) لديه بداهة لاتخونه ابداً .. أرادواحد منهم ان ينهب زوّادته ، فواتته الحيلة على الفور ، ولم يفقد حتى لقمة الخبز . ( يضحك ) سمعت بعضاً من حديثه ، روى حكاية عجيبة عن امرأته التي تدير قتله ، لأنها تؤثر عشيقها عليه .. وقال إنه اكتشف السم مراراً في طعامه .. ويخشى أن تكون قد فعلتها هـذه المرة أيضاً . ( يضحك ) آه .. لو رأيت الحراس كيف نفضوا أيديهم بخوف ، وتجنبوا الزوادة كأنما قطة ميتة . لم يفقد ولو لقمة خبز ( لحظة صمت طويلة .. يستأنف الكلام بعدها ، وقد اختلج صوته بنبرة حالمة ) سينال كل مايشاء . لن تخيب له رغبة قط .. ياحفيظ .. لديه كل الامكانيات اللازمة لينال مايشاء . من كان يتخيل أن هناك رجلاً يجرؤ على ركوب هذه المخاطرة !. ألا تذكر .. كنا سوية عندما نبتت في رأسه الفكرة . حسبناه أحمق .. لاشك انه أبزعنا جميعاً .. انقضّ على الفرصة كالباشق ، ونالها مثل باشق .. لو ان لي قليلاً من ذكائه لطافت في ذهني بعض الأحلام .. ياحفيظ .. خرج

من بغداد كما يخرج الى النزهة .. رجل مثله يجب أن يتقي شر الحاسدين .

منصور : ( يفقد هدوءه . ينفجر صوته نافد الصبر ) ورجل مثلك يجب ان يردموا فمه بالحجارة ، ويسدّوه بالطين . أوقف هذا النول .. منذ ساعة وانت ترغي . ألا تترك سيرته ! لااريد ان اسمع شيئاً عنه ،

ياسر : ( فوجيء ) يغضبك حديثي ؟.. ياحفيظ اعرف انك تحبه كثيراً .

منصور : أحبه !. أنا أحبه ! ليت الطاعون يفتك به قبل أن تغيب بغداد عن بصره .

ياسر : تقول ذلك .. لكني أعرف أنك تحبه ، الغضب لايخفي حزنك . ( لحظة صمت ) .

زبون٢ : ( ينتهز فرصة الصمت ) ردّنا إلى جابر ياعم مونس .

ياسر : ( يتابع كلامه ) ياحفيظ . أحياناً أشعر أني لا أفهمك يامنصور . لماذا يغضبك مافعله ؟. أهناك من يملك القدرة على اقتناص فرصة كهذه ، ويتركها !

منصور : (منفجراً ) تسميها فرصة ! لافائدة .. لن تروا أبعد من أنوفكم . يلقي بنفسه وهو معصوب العينين في دوّار جيّاش .. أهذا ماتسميه فرصة ؟

ياسر : دوّار جيّاش .! ياحفيظ .. ولكن في هذا الدوّار امرأة جميلة ، وثروة كبيرة .. وفوق هذا حريته .. إنه يرى جيداً ماذا يوجد أمامه .. ليس جابر بالرجل المعصوب العينين .

منصور : المرأة والثروة .. نعم .. هذا كل مايراه .. وخلفها هل يرى أن في

الدوّار يجيش الهلاك أيضاً .؟ هلاكه .. وربما هلاكك أنت الذي تتحدث بغباء، وتحلم بفرصة .. وربما هلاكي أنا .. وربما هلاكنا جميعاً ..

**ياسر** : ( خائفاً ) إنك تقسو وتبالغ .. ياحفيظ .. أحياناً لا أفهمك. الهلاك يحيط بنا دائماً سواء ذهب جابر أم بقي ..

**منصور** : ( حزيناً .. كأنه يتحدث الى نفسه ) طبعاً يحيط بنا .. كيف لاتريده أن يحيط بنا !.. الأذكياء يلقون بأنفسهم معصوبي العيون في الدوّارات .. لايلجون فيها إلا نساءً وثروات .. والأغبياء مثلك يحسدون الأذكياء . طبعاً إن الهلاك يحيط بنا كرطوبة هذا الليل ..

**ياسر** : ياحفيظ .. كلماتك قاسية ولها وخز .. لاشك أنك حزين وغاضب .. أحياناً أشعر أني لا أفهمك يامنصور ..

**منصور** : ( وهو ينصرف ) ولهذا ستموت سعيداً ..

**ياسر** : ياحفيظ .. لاشك أنه غاضب وحزين .

( ثم يحمل قطع الديكور .. ويخرج هو الآخر ... )

**زبون ٣** : عد بنا الى جابر .

**زبون ٢** : لانريد أن نفارقه خطوة واحدة حتى نهاية القصة .

**زبون ١** : تلذّنا أخباره اكثر من الجميع .

**الحكواتي**: وكان جابر يقطع الفيافي والقفار . يتحسس رأسه ، حيث خطّ الوزير رسالته، فيغمر الفرح جوانحه . كان يهز جواده ، وينطلق مسرعاً .. مسرعاً كالسهم . يغني وهو يقطع الفيافي قاصداً بلاد العجم ..

( يظهر جابر .. يمثل ايمائياً وصف الحكواتي لسفره عبر الفيافي والقفار، يصاحب الايماء صوت خبب الجواد ) .

**جابر** : « الطريق الذاهبة الى بلاد العجم متعرجة وطويلة ..

أما الطريق العائدة من بلاد العجم فهي مستقيمة وقصيرة ..
البراري خضراء وملونة لكنها ساكنة ..
ولا تستطيع أن تهز جوادها مثلي ..
الشمس متوهجة ، تتألق كالعروس ، لكنها مقيدة بدورتها ..
ولا تستطيع أن تهز جوادها مثلي .
إني أقسو على حوافر جوادي لأني مليء بالأشواق ..
كل ما ينتظرني لايحب الصبر ولا الفراق ..
لا الزوجة ، ولا الثروة ، ولا الحرية ..
المرأة ينحني حزام سروالها إن طال انتظارها ..
والثروة تضيع وتتخاطفها الأيدي إن طال انتظارها ..
والحرية تفسد كالجبنة إن طال انتظارها .
إني أقسو على حوافر جوادي لأني مليء بالأشواق ..
كل ماينتظرني لايحب الصبر ولا الفراق ..
الطريق الذاهبة الى بلاد العجم متعرجة وطويلة ..
أما الطريق العائدة من بلاد العجم فهي مستقيمة وقصيرة ..
انطلق ياجوادي .. انطلق كالريح .. أو كالسحاب ..
كل ماينتظرني ..

( ويخرج مختفياً ... )

**الحكواتي:** هذا ما كان من جابر .. أما أهل بغداد ، فلم يكونوا يعرفون مايخرج من مدينتهم ، أو كيف تتطور الأحداث من حولهم .

زبون ٤ : مساكين .. دائماً مثل الأطرش بالزفة .

الحكواتي : يتهاون ، ويبدون خائفين .. صابرين . الخناق يضيق على أعناقهم ، والجوع يعصر أمعاءهم .. وفوق هذا بدأ الحراس يقتحمون البيوت ، لينتزعوا للخليفة ضريبة مقدسة .

( يظهر الرجلان الثاني والثالث من عامة بغداد ، ثم يأتي الرجل الرابع ، فيجلس قريبا هادئاً كعادته .. بطوق الحزن وجهه ، وتعبير الواثق من رؤيته . )

الرجل الثاني : ( بعد لحظة ) طالت هذه المرة .

الرجل الثالث : طالت .. وصارت الحياة عسيرة .

الرجل الثاني : على كل حال .. تنبأ المتجمون بان هذه السنة ستكون صعبة على العباد .

الرجل الثالث : الله أرحم الراحمين .

الرجل الرابع : ( نفس اللهجة الهادئة ) وحق الله .. ما رأيناه أقل بكثير مما سنراه . والأيام تخبيء لنا مفاجآت صعبة .

الرجل الثاني : أتشتغل بالتنجيم أيضاً !

الرجل الرابع : أنا .. لم أصغ في حياتي إلى مايقوله المنجمون .. لكني أحاول بها أستطيع أن أرى وأسمع .. والنذر كثيرة حولنا لمن يريد أن يرى .

الرجل الثالث : ياسيدي .. نرى أو لانرى .. المهم أن تنتهي هذه المحنة ، ونكسب السلامة .

الرجل الرابع : وحق الله .. لن تكون النهاية سهلة كما نتمناها .. الوزير دبّر شيئاً رهيباً فيما يبدو ، وجيوش الولايات ستزحف نحو بغداد ملتهمة في طريقها الأخضر واليابس .. كلاهما يحوك شبكته ليصطاد بها الآخر .. ولا تزال أمامنا مفاجآت قاسية .

الرجل الثالث : ليحوكوا ، وليدبروا مايشاؤون .. هذا شأنهم . أما نحن فلا نطلب إلا الفرج .

الرجل الثاني : الفرج واستقرار الأوضاع على حال ..

الرجل الثالث : أي حال .. أن يتم بينهما الوفاق .. أو ينتصر أحدهما على الآخر .

الرجل الثاني : المهم أن ننتهي . لاهذا أبونا .. ولا ذاك أخونا .

زبون ٢ : ومن يتزوج أمنا نناديه عمنا .

الرجل الرابع : ولكن هل تعلمان أن الشباك تحاك من جاودنا .. إي وحق الله من جلودنا .

الرجل الثاني : ( بغضب ) دع جاودنا بعيداً . لا ينطق لسانك إلا بالشؤم .. يكفي مانحن فيه .

الرجل الثالث : وما أهمية قولك أو قوله .. المقدور مقدور .



الرجل الرابع : لايريد أحد أن يرى .

( تدخل المرأة الأولى وهي تولول فتقطع كل الكلام .. يلتفت اليا الجميع .. )

المرأة الأولى : الله أكبر على الظالمين . ظلم .. والله ظلم . كنسوا البيت ولم يتركوا فيه شيء .. كان لدينا كيل من البرغل ، فأخذوه .. وأخذوا الطنجرة أيضاً . من أين نأكل الآن .. هل نطبخ التراب .. هل نساق الحجارة .. أم روث الماشية .!

الرجل الثالث : ماذا هناك أيتها المرأة .؟

الرجل الثاني : اهدئي .. اهدئي ..

المرأة الأولى : ( لاتزال تولول ) دفعوا الباب ، ودخلوا البيت .. كانت

السيوف تلمع بأيديهم .. قالوا إنهم يريدون ضريبة لمولانا الخليفة .

الرجال الثلاثة : (بأصوات متفاوتة ، ومليئة بالدهشة) ضريبة .
— ضريبة لمولانا الخليفة .
— ضريبة .!

المرأة الأولى : إي نعم .. ضريبة مقدسة لتأييد مولانا الخليفـــة .. هذا ما قالوه .. ومن أين لي أن أدفع ضريبة .. لو كانت روحي وأرواح أطفالي معلقة بثلاثة قروش لما استطعت افتداءها .. لا عمل .. ولا مكسب .. ولا شيء .. كنا نسلق كل يوم قبضة من البرغل ، وننتظر الفرج . أما الآن ... أخذوا كل شيء .. انهم يدورون على البيوت .. يأخذون ما تحت الناس وما فوقهم إن لم يدفعوا ما عليهم ..



الرجل الثالث : شيء لا يصدق .. ضريبة جديدة في هذا الوقت !

الرجل الرابع : وحق الله إنه أمر محتوم في هذا الوقت .

الرجل الثاني : اللهم نجنّا .. بالكاد نجد ما نأكله .. ومن أين ندفع الضريبة .. هل قلت إنهم يدورون على البيوت ..

المرأة الأولى : ( وهي تبكي ) كل البيوت .. يكنسونها بيتاً بيتاً ...

الرجل الثاني : ( يهب ويمضي ) لا بد أنهم وصلوا بيتي .. اللهم نجنا .. اللهم .. ( ويغيب ) .

المرأة الأولى : والآن .؟ ماذا أفعل الآن .؟ كيف أطعم صغاري .؟ من أين أتسول لهم لقمة تسد الرمق (وهي تبكي ) يارب .. ما هذا الذنب العظيم .!

الرجل الثالث : ( وهو يتنهد ، ويمضي بدوره . ) ماذا نفعل .؟ نصبر والله مع الصابرين ..

الرجل الرابع: ماهي إلا البداية .. وحق الله إني أرى جلودنا مسلوخة .. والآتي أدهى وأقسى.

الرجل الثالث : ( بحدة قبل أن يمضي ) سلخت أم لم تسلخ.. ماذا نستطيع أن نفعل .؟

الرجل الرابع: ما أعرفه على الأقل .. هو ان ما نفعله لا يقودنا كما ترى الى الأمان ..

الرجل الثالث : ولكن أيها الرجل الذي يتبجح كثيراً بالكلام .. قل لي هل تستطيع العين أن تقاوم المخرز .؟

الرجل الرابع: وحق الله لابد أن ذلك ممكن ..

الرجل الثالث : نعم .. إذا كان المرء أعمى ( ويمضي )

الرجل الرابع: ( ينظر اليه بحزن ) أهذا ما تقوله !! لامثالك إذن أن الآتي أدهى وأقسى ..



المرأة الأولى : والآن .؟ لم يبق لنا شيء ..

الرجل الرابع: ( وهو ينهض ايضا ) الا البكاء والانتظار كالآخرين .. ( ويمضي ... ثم تتبعه المرأة وهي تبكي ... )

الحكواتي : وبعد طول تعب ومخاطر .. وصل المملوك جابر الى بلاد العجم .. ومن شدة لهفته للإياب ، لم يحس بالتعب ، ولا بمشقة الطريق .. اتجه من فوره الى قصر الملك منكتم ، يطلب المثول بين يديه .. وكان يقول في نفسه .. عندما أخرج من هذا القصر أكون رجلاً حراً والى الأبد . وتناوله حارس من

حارس في دهاليز قصر كالمتاهة .. حتى دخل على ديوان الملك الذي تهتز لسطوته القلوب .. وأقدام أشجع الرجال ..

( يظهر ديوان الملك منكتم بن داوود .. وهو فاخر الرياش وشبيه بديوان كلٍّ من الخليفة والوزير .. الملك منكتم يجلس على العرش .. وإلى جواره ابنه هلاوون . يؤدي الدورين الممثلان اللذان أديا أولاً دوري الوزير وعبد اللطيف ، وثانياً دوري الخليفة وعبد الله . تتسم ملامح الملك منكتم بالغطرسة واللؤم . )

جابر : ( التعب باد عليه .. ينحني بإجلال كبير ) السلام على مولاي .. ملك الملوك وسلطان السلاطين منكتم بن داوود

الملك : من أنت ..؟ وماذا تحمل ..؟

جابر : أنا عبدكم جابر .. وأحمل رسالة من سيدي وزير بغداد محمد العلقمي .



الملك : رسالة من وزير بغداد ! هل انتهى أخيراً من التردد وضرب الأخماس بالأسداس .

جابر : عبدكم لايعرف شيئاً مما هو مخطوط في الرسالة .

الملك : هاتها إذن . ( يتردد جابر ، وهو يراقب هلاوون ) ماذا تنتظر ؟ .

جابر : الرسالة سر خطير .. وأوصاني سيدنا الوزير أن أسلمها لمولاي الملك على انفراد

الملك : ( يغضب ) أتملون علينا شروطاً ! هذا ابني هلاوون ولا أخفي عنه شيئاً ، فهات الرســـالة بالعجل ، قبل أن أجعل رأسك بين قدميك .

جابر : ( مرتعداً ) العفو يا مولاي .. ما أردت إثارة غضبكم ، أو

إساءة الأدب أمامكم . ( ويتقدم مبالغاً في الاتضاع والتأدب .. ) هي ذي رأسي . الرسالة مخطوطة عليها . . وإن حُلق الشعر بانت الكلمات .

**الملك** : (مندهشاً ) الرسالة مخطوطة على رأسك . ! (لهلاوون) فكرة ظريفة والله .. الحذر لا ينقص وزير بغداد . . ولعل وراء حذره ما يسر من الأنبـــاء . . هلاوون . . هات موساً واحلق شعر هذا المملوك لنر ماذا خطَّ لنا وزير بغداد !

**هلاوون** : في الحال يا أبت .

( يتجمد المشهد كله على صوت الحكواتي . يخرج هلاوون .. ثم يعود .. وتتم الحلاقة بحركات قاسية وعبر مشهد إيمائي ، تلاحق الحركات فيه كلمات الحكواتي .. )

**الحكواتي** : وخرج هلاوون وعاد يحمل موساً . وبيد يعجلها الفضول حلق لجابر شعره ، فبانت تحته رسالة الوزير مخطوطة بمداد لا يمحى . وقرأ الملك « متكتم » الرسالة ، ثم أعاد قراءتها ، وجابر مطرق في الأرض حابساً أنفاسه ، وحالمـــاً بالعودة . وهمس الملك لابنه بكلمات لم يسمعها احد ، فخرج هلاوون مرة أخرى من الديوان .

**الملك** : (مبتسماً تعوم لهجته بالخبث )قرأنا الرسالة أيها المملوك . وسننفذ ما يطلبه وزيركم منا . قل لي أما زال يحب النشوق كما أعرفه .

**جابر** : اي والله يا مولاي .. علبة النشوق لا تفارق جيبه . وأفضل هدية ترسلونها مع الجواب هي صندوق من النشوق العجمي . لن ينسى هديتكم ما عاش .

**الملك** : سنرسل له إذن كل ما في بلاد العجم من النشوق .. ولكن هل تستطيع أن تحملها .؟

جابر : من أجل مولاي الملك . وسيدي الوزير مستعد لتحمل كل الصعاب .. لكن أرجو أن يتكرم مولاي فيسمح لي بالعودة سريعاً الى بغداد ..

الملك : أتحبّ بغداد الى هذا الحد !

جابر : هناك من ينتظرني فيها ..

( يدخل هلاوون ، ومعه « لهب » وهو رجل ضخم الجثة ، أقرع الرأس ، له شاربان كثان ، ووجه جامد الملامح مخيف .. )

الملك : (بابتسامته الخبيثة) قده الى بغداد إذن يالهب ..

لهب : ( منحنياً انحناءة خفيفة لاتخفي قسوته ) سمعاً وطاعة يامولاي ..

جابر : ( حائراً ) مولاي .. ولكني ..

( لهب يمسكه من ذراعه بعنف ويجره وراءه .. جابر مشدوه لا يعرف ما يقول . يبقى في الديوان الملك وابنه )

الملك : أصبحت الريح مواتية للسير الى بغداد يا هلاوون

هلاوون : أنتظر هذه الريح منذ وقت طويل .. هل أجهّز الجيش ؟ . .

الملك : تبدو متلهفاً للحرب ؟.

هلاوون : لن أكون قائداً جديراً بجيش الملك منكتم ابن داوود ، قبل أن أدك صروح بغداد ..

الملك : إذن جهّز الجيش ، وأعدّ العدة . . ستكون لك بغداد . . وستنعقد لك لواء القيادة .. إنما أريد ان يتم كل شيء بسرية .. لا ينبغي أن تشيع ابداً أنباء حملتنا .. سيكون هجومنــــا صاعقاً ومباغتاً ، لاينبيء عنه غبار ، ولا حامل أخبار .. وبما أن لدينا من يفتح الأبواب ، فستفقد بغداد هيبتها ، وتنهار تحت حوافر فرساننا ..

هلاوون : معنى هذا أنه ليس امامنا وقت طويل للوداع .

الملك : مع الفجر ينبغي أن يزحف الجيش بكامل عدته ، وعتاده . . جيشنا في تعبئة دائمة ، وتكفي ساعات قليلة لاستكمال كل شيء . . الاسراع يسهل علينــــا القضاء على الامدادات في الطريق ، أو محاصرتها . وعندما تصبح بغـداد قريبة . . ينبغي ان يستريح العسكر مختبئاً في النهار ، ثم يسير في الليل . . هذه هي الطريقة المثلى لكي نضمن المباغتة . .

هلاوون : هل يمكن حقاً الاعتماد على الوزير ورجاله ؟

الملك : سيكونون كالكلاب . . يلعقون أحذيتنا ، ويطلبون مرضاتنا . أسوار بغداد عالية يابني ، واذا لم أضمن هدمها من الداخل ، لاأرمي بجيشنا اليها ، يهلك وهو يناطح حجارتها .

هلاوون : لم يبق إذن إلا أن ننفخ بوق النفير .

الملك : يوم مشهود . . بغداد العظيمة ترتمي ، وتتمدد بكل بهائها امام جيوش ملك العجم . . حلم قديم لمنكتم بن داوود . . ولوالده من قبله . . تعال يابني . . سأنفخ البوق معك في هذا اليوم العظيم .

( يمسك الملك منكتم يد إبنه هلاوون ، ويخرجان معاً . . .

زبون ١ : وجابر !

زبون ٣ : ماذا حدث له ؟.

الحكواتي : ولم يكن جابر يعرف من هو هذا الرجل الذي يمسكه بقبضة من حديد ، ويجرّه وراءه غير عابىء بذهوله او قلقه . . ومن

دهليز الى دهليز .. حتى وصل به الى غرفة بدت غريبة • • تمتلىء بالسياط والسلاسل والبلطات • • وكان « لهب » نفسه تفوح منه رائحة شبيهة برائحة المقابر • • وكلما سرق جابر نظرة الى وجهه المعدني ، أو تطلع في الغرفة حوله ؛ شعر قلبه يغوص في أعماقه . . والصمت ثقيل يزيد الغم غماً ، والخوف خوفاً • . وحاول جابر أن يبدد رهبة الجو ، فراح يتكلم آملا ان يجعل قسوة مرافقه تلين • • أو لعله يفهم ما يحدث له • •

( غرفة «لهب» .. حجرة ضيقة معتمة ، ذات لون قاتم صدىء . . فيها سلاسل وبلطات .. وسياط .. وقاعدة خشبية ثقيلة ملطخة بألوان حمراء وسوداء .. على احد الجدران ؛ ثمة رأس معلقة.. وعلى حائط آخر علق قناع مخيف .. جابر يجول ببصره في ارجاء الغرفة وترتعش ملامحه رعباً . . يبتدىء يتعرق . «لهب» صامت .. جامد .. وجهه معدن بارد ، ويبدو شديد اللامبالاة .. )

جابر : ( يتكلم بلا ضابط .. الخوف والذهول يتوجان في عينيه ويختلجان في صوته ) أعرف .. أعرف .. صحيح أن بلادكم بعيدة . . ولكن سمعت من بعض الرحالة والمسافرين كثيرا عن عاداتكم . لاتتركون زائراً يغادر بلادكم الجميلة ، قبـــل ان تكرموه ، وتعرضوا له مالديكم من تحف ، وأشياء نادرة .. والله اعتقد أني سمعت أيضاً عن هذه الغرفة .. لاشك أن لها قصة هائلة ، يشيب لها الشعر .. ( لهب لايكترث به .. فبعـــد ان يغلق باب الغرفة بالمزلاج ينصرف الى تحضير بعض الأدوات ) كم تروى في بغداد قصص مشوقة وجميلة عن بلاد العجم . ! يتحدث النـاس أيضاً بلعاب يسيل عن لذيذ مآكلكم .. وعاداتكم في الكرم ،

وفي إجبار الزائر على تناول كل مايقدم له ، حتى ولو صارت معدته كبطن الحامل .. والله .. كنت أتمنى لو أبقى هنا وقتاً طويلاً . أتفرج على بلادكم ، وأتعرف على عاداتكم .. لابد أنها عادات لامثيل لها ... ( لهب يسن يهدوء بلطــة كبيرة ) ولكن تنتظرني في بغداد أشياء لاتقبل التأجيل ( يحاول ان يضحك بالفة ، فتأتي ضحكته صفراء .. ) إن امرأة يدوخ المرء بمجرد النظر اليها ، تتزين الآن في بغداد انتظاراً لعودتي .. وأقول لك .. منذ اللحظة التي سلمت فيها الرسالة لم أعد مملوكاً .. أنا الآن معتوق .. لقـــد أجزل الوزير في مكافأتي .. يعتقني ، ويزوجني ، ويعطيني ثروة .. ( يربت على كتفه بتودد ، ويبتسم ) مكافأة مغرية لا يحلم بها رجل . آ . ! ( يهمس وكأنه يتقرب منه ) أنا الذي دبرت الحيلة للخروج بالرسالة من المدينة رغم شدة الحراسة على أبوابها .. كم كان سروره عظيماً .! لو ترى عناقه لي عندما أردت الرحيل .. لقد عانقني .. تصور .. والله الوزير نفسـه عانقني كما أعانقك الآن .. ( ويحاول ان يعانق « لهب » متظاهراً بالمرح ، لكن الآخر يدفعه بقسوة فيرميه جانباً .. ) يا الله .. ما أقوى ذراعك .! ولكن .. لاتبدو مرحاً .. ( ينهض لهـب ، ويجيء القاعدة الخشبية ، كما يحضر السلاسل .. يتابعه جابر جاحظ العينين ) أعرف .. أعرف . كل انسان وله طبعه .. ولكن هل فهمت الآن سر عجلتي .. إني لا استطيع حتى أن ابيت ليلتي هنا .. إنها الآن تتزين وتنتظر .. تعرف ! .. المرأة تضجر بسرعة من الانتظار ... ( بعد ان ينتهي لهب من إعداد كل شيء .. يمسك

جابر من ذراعه .. وبقسوة يربط يديه بالسلاسل ويوثقها خلف ظهره .. يتقع جابر ، يتشتت بصره ، ويتلعثم لسانه بالكلمات )

ولكن .. ماذا تفعل .؟ بالله عليك ماهذا .. لاشك أن مولاي الملك منكتم يريد أن يمازحني .. ( لهب يطرح جابر أرضاً .. يجبره على الركوع .. ويوثق رجليه أيضاً ... جابر يصرخ كما لو أنه يختنق ) يا الله .. ماذا تفعل .؟ أنا الآن رجل حر ، ولي زوجة وثروة .. بلغت الرسالة على أحسن وجه ، وسأعود لأنال المكافأة .. مكافأتي .. الرحمة .. الرحمة .

( يختفي الصوت ، وان كنا لانزال نرى جحوظ عيني جابر .. وحركات فمه وهو يصرخ ، ويستغيث .. يحاول الافلات .. ولكن الأوثقة محكمة .. يستمر المشهد ويتم ايمائياً على صوت الحكواتي ... )

الحكواتي : ولم يعرف جابر أن هذا الرجل الذي ينادونه لهب .. هو بالذات سياف ملك بلاد العجم ... والسيافون يتصفون دائماً بالدقة .. لا يهملون شيئاً ، ولا يحبون الكلام .. وما إن أصبحت كل الأدوات جاهزة ، حتى أمسك لهب بيده المعدنية رأس المملوك جابر .. وضعه على القاعدة الملطخة بالدم اليابس .. وبضربة من بلطته المسنونة فصل رأسه عن جسده ..

( يتم ذلك إيمائياً ، وأمام المتفرجين .. ينتشر اللغط بين الزبائن .. ثم ترتفع الاحتجاجات ) ..



زبون (١) : ماهذا ..؟

زبون (٣) : يقطعون رأسه بعد كل مافعل ..!

زبون (٢) : لايجوز ..

زبون (١) : ماهذا الجزاء ..

زبون (٤) : قلت لكم ، يمكن ان تنتظره أيضاً أسفل المراتب ..

زبون (٢) : إننا لانقبل .

زبون (١) : نهاية غير عادلة .

زبون (٣) : ينبغي أن ينال مايستحقه فطنته ..

الحكواتي : ( يعلو صوته ، ويحاول السيطرة على الضوضاء .. ) وبعد أن تدحرجت رأس المملوك جابر .. حملها السياف «لهب» ، والدم يقطر منها .. وتأملها طويلاً ثم انفجر يقهقه ..

( السياف يتقدم من الزبائن ، حاملاً الرأس المقطوعة .. ينظر اليهم ويقهقه .. )

زبون (٢) : اعوذ بالله من هذه الخلقة .

زبون (١) : هيئة عزرائيل ..

زبون (٣) : قطع الله يدك ..

السياف : ( يتوقف عن القهقهة ، ويتفرس فيهم بعينيه الحجريتين ، فيفرض عليهم الصمت والرهبة ، يضع الرأس بين راحتيه ويقربه منهم .. )

كان موته تحت فروة رأسه
ولم يدر
قطع البراري يحمل قدره على رأسه
ولم يدر
كان يحلم بالعودة رجلاً حراً .
تنتظره زوجه وثروة
لكن بين الموت وهذه العودة
المسافة سؤال

الحكواتي : ولم يسأل السؤال ..

( تنفجر قهقهة السياف كقهقهة عفريت.. ثم يرمي الرأس للحكواتي، فيلتقطه ويضعه بين يديه.. بينا يخرج السياف حاملاً معه الديكور... )

زبون ١ : أعوذ بالله .. هات شاي يا أبو محمد ..

زبون ٣ : وأنا أعطني فنجاناً من القهوة ..

الحكواتي : ( ينظر الى الرأس ويقرأ ما هو مخطوط عليها ) يقول وزير بغداد في رسالته : « من الوزير محمد العلقمي الى بين أيادي الملك منكم .. نعلمكم أن الوقت حان .. وفتح بغـداد صار بالامكان .. فجهزوا جيوشكم حال وصول الرسالة اليكم .. وليكن هجومكم سراً ، وتحت ستر من الكتمان حتى تتم المفاجأة بفتح بغداد .. وان وجدتم في الطريق عساكر تمشي الينا ، فاقضوا عليها لأنها امدادات للخليفة ... ونحن هنا نتكفل بالعون وفتح الأبواب ، ثم يضيف الوزير حاشية صغيرة .. « وكي يظل الأمر سراً بيننا اقتل حامل الرسالة من غير اطالة .. » ( لحظة ، ويكرر الحكواتي ) وكي يظل الأمر سراً بيننا اقتل حامل الرسالة من غير إطالة ..

زبون ٣ : الغدار اللئيم .

زبون ١ : هو الوزير إذن ..

زبون ٢ : لعنة الله عليه . يغدر ولا يحفظ عهداً ..

زبون ٣ : بالله تكدّر مزاجي ..

الحكواتي : وكانت جيوش العجم تزحف كعاصفة هوجاء نحو بغداد، وفي طريقها خربت كل ماهو قائم، وكان الوزير يوالي الاتصال بقواده، ويرتب معهم خططه. وفجر يوم استفاق الناس في بغداد على الهول..

جيوش تهاجم المدينـــة .. وطبول الحرب تدوي .. وهم لا يعرفون ما يجري .. يهرولون مذعورين ، ويطلبون العون من العليّ القدير .. وانفتحت بعض الأبواب .. واقتحمت الجيوش الأسواق .. وأهل بغداد لا يعرفون ما يجري .. وعمل البتار .. وطلع الغبار ، وقصرت الأعمار ، وسالت الدماء كالأنهار . وحسب الناس أنها القيامة .. الجثث تتكدس ، والأعراض تهتك ، والنار تشتعل ، والبيوت تتهدم .. وارتفع الأنين من بغداد كأنه سحابة من الغبار أو الدخان ..

( تتم رواية هذا المقطع ، على صوت خبب الخيول ، وصليل السيوف ، وتقطعه الصرخات ، وبين حين وآخر ، يندفع بعض الذين نعرفهم ممن مثلوا عامة بغداد أو سواهم .. الرجل الأول ، الثاني ، الثالث ، الرابع ، المرأة الأولى ، الثانية ، ياسر ، أحد الحراس .. كلهم يدخلون وهم يصرخون .. ويمثلون إيمائياً تلقي الطعنات .. أو هتك العرض .. المرأة الثانية تمثل عملية الهتك ، وتسقط ممزقة الثياب مفتوحة الساقين .. ويتكومون بعضهم فوق بعض أمام الزبائن .. جثثاً وأجساداً مهتوكة .. الحكواتي وهو يروي هذه المقاطع يغادر كرسيه ويجول بين الأجساد التي تتكدس . )

الحكواتي : كان يوماً مروعاً لم تشهد بغداد مثله .. عم الحزن .. وانتشر الموت كالهواء .. لقي كثيرون حتفهم دون أن يعلموا ما يجري حولهم ، وأصبحت الشوارع تسدها الجثث ، والخرائب ، وبقايا الجرحى .. ذلك اليوم .. هبط الليل على بغداد مبكراً ومثقلاً بالويل والأهوال .. وانتشر الظلام عميقاً ، ثقيلاً كأنه نهاية الزمان .

( ويعم الصمت فترة مديدة ، ثم ينهض الرجل الرابع من بين القتلى

ويقف قرب الحكواتي . بعد قليل تظهر زمرد الطرف الآخر، فيناولها الحكواتي رأس لملوك جابر .. تحضنها ، وتقبلها .. وبحركات بطيئة كالطقوس يتقدم الثلاثة من الزبائن .. تتوسطهم زمرد التي تحمل الرأس بين يديها .. ووراءهم كوم الجثث .. )

الجميع : (معاً الى الزبائن والجمهور ) من ليل بغداد العميق نحدثكم .

من ليل الويل والموت والجثث نحدثكم

تقولون .. فخار يكسّر بعضه .. ومن يتزوج أمنا نناديه عمنا ..

لا أحد يستطيع أن يمنعكم من أن تقولوا ذلك

لكل واحد رأي .. وتقولون هذا رأينا .

لا أحد يستطيع أن يمنعكم من أن تقولوا : هذا رأينا .

لكن إذا التقتم يوماً ، ووجدتم أنفسكم غرباء في بيوتكم .

الرجل الرابع : اذا عضكم الجوع ووجدتم انفسكم بلا بيوت

زمرد : اذا تدحرجت الرؤوس ، واستقبلكم الموت على عتبة صبح كئيب .

المجموعة : إذا هبط عليكم ليل ثقيل ومليء بالويل

لا تنسوا أنكم قلتم يوماً

فخار يكسر بعضه .. ومن يتزوج أمنا نناديه عمنا .

من ليل بغداد العميق نحدثكم

من ليل الموت والويل والجثث نحدثكم

( .. ينهض الممثلون المكدسون على الأرض ، ثم ينسحب الجميع بعد لحظات من الصمت . العم مونس يأخذ كتابه ويتأهب للخروج .. )

الحكواتي : ( وهو ينصرف ) كانت تلك حكايتنا لهذه السهرة .. ونلقاكم غداً بخير مع حكاية اخرى .

زبون ١ : ما هذه الحكاية ؟..

زبون ٣ : إنها قاتمة كحكاية البارحة ؟

زبون ٢ : إذا كانت حكاياتك لن تتغير يا عم مونس ، ستبقى في بيوتنا .

زبون ٣ : يأتي الواحد هنا ليفرّج كربه ويسرّ عن نفسه ، لا ليكتئب ويحزن ...

زبون ٢ : إذا لم تبدأ سيرة الظاهر غــداً فلن أسهر بعد الآن في هذا المقهى .

زبون ٣ : كلنا مثلك .. ( للحكواتي وهو يخرج ) ماذا قلت يا عم مونس .. هل تبدأها غداً . ؟

الحكواتي : لا أدري .. ربما .. الأمر يتعلق بكم .

( ويخرج .. الزبائن يتبادلون النظر بحيرة وكآبة .. )



زبون ١ : يتعلق بنا !

زبون ٣ : أما غريب هذا العم مونس .!

زبون ١ : غداً .. لن نقبل حكاية غير حكاية الظاهر

زبون ٢ : غداً يفرجها الله .. هل نمضي إلى النوم

الزبائن : ( بأصوات متفاوتة ) إي والله .

— حان الوقت ..

إلى النوم .

( وينسحب الزبائن واحداً بعد الآخر ... وهم يحيون « أبو محمد » . لايبقى سواه .. يرتب الطاولات قليلاً .. ثم يقوم بحركة إغلاق المقهى .. )

الخادم : ( وهو يغلق المقهى ، للجمهور ) أنتم أيضاً .. تصبحون على خير وإلى الغد .

# فصل الشحّادين[1]

صوت : اسطوانات سودوا الوطنية ـ السيد محمد الشيخ[2]

( عزف على العود )

عيواظ : أهلاً وسهلاً ومية سلامات باخي كرا كوز[3] ابن الحـــلال عند ذكرو بيان .

كركوز: دقنك كوبسة . خير انشا الله كمان .

عيواظ : والك أخي كركوز . اليوم قمت الك على بكرة عم بقول : يافتاح يا رزاق يا مقسم الأرزاق. أطلّع ألا قبلك أهل ميدان الخيال قاموا علينا في قدم وساق .



كركوز: من أني جهة ؟

عيواظ : من جهة على انو جماعة ختيارية[4]، طول النهار دايرين لاشغلة ولا عملة

---

(١) هذا الفصل معروف في اوساط لاعبي خيال الظل في مختلف البلاد العربية ، وقد قرأت انه موجود في تونس باللهجة التونسية .. طبعاً .

(٢) أقدر ان عمر هذه الاسطوانة يمتد الى اواخر العشرينيات من هذا القرن ـ بعد الثورة السورية الكبرى ( ٢٥ ـ ٢٧ ) بقليل ـ فقد ظهرت وقتئذ بعض شركات الاسطوانات الوطنية بتشجيع وربمـــا بتمويل الفرنسيين . والاسطوانه من النوع المسمى « الزفت »

(٣) كركوز وعيواظ شخصيتان دائمتان في مسرح خيال الظل السوري .

(٤) ختيار : عجوز

ولا روحة ولا جية . بقولوا بالامثال الدايرة : « حرك رطـــال ولا تقعد بطال » اللي مالكم صنعة كأنوا مالكم قلعة .

**كركوز:** روح يحرق دقنك وقبعة !!

**عيواظ :** ..... [1]

**كركوز:** ايش بدنا نساوي كار عيواظ ؟

**عيواظ :** لا كار إلا معزز أهاليه . هيك بدك تقول والك كركوز ؟

**كركوز:** أي لكان بتقول نحوشلنا مسألة نتستر فيها عن عيون الناس .. هات لنشوف حوشلنا مسألة .

**عيواظ :** تعاولك كركوز . بكره لانزل عالسوق . اشتري إلي مخلاية [2] وإلك مخلاية .

**كركوز:** قولك كل واحد مخلايتو جيبتو . أي لايش المخلاية ؟

**عيواظ :** أنت بتاخد مخلاية ، وأنا باخد مخلاية . أنت بتوقف بباب جامع ، وانا بوقف بباب جامع ، ونخلي الناس حتى يدخلوا عالصلاة ، هني بيقولوا « سمع الله لمن حمده » ونحنا منقول « ربنا لك الحمد » بنقلع البوابيج والصرامي والقندرات [3] ، بأربع خمس جُمَعْ منصير صحابين مصرات [4] .

**كركوز:** من أول جمعة بتروحنا قتل .

---

(١) مكان النقاط ...... كلمات غير مفهومة في الاسطوانة

(٢) المخلاية : جيب جلدي او قماشي يعلق بعنق الحصان ليأكل منه

(٣) الاحذية

(٤) المصاري . والمصرات لهجة حلبية لان المصرية عملة قديمة

عيواظ : حوشتك غير كار .

كركوز: شوهوه ؟

عيواظ : تعا لنساوي انا وياك دقاقين دمشاق [1] .

كركوز: أنا داعيك بصير متـل ........ يشرق البندورة م الفليفلة ، وكل ما طلعت شوكة بقوم بقتل البغلة [2] .

عيواظ : إهي إهي . لكان بدك تدق في باطها .

كركوز: قديش بيعطوني عالقنطار ؟

عيواظ : إي بيعطوك عالقنطار قرش سوري

كركوز: العمى أنا بتلات سنين ما بحسن بدق قنطار .

عيواظ : تعا ولك أخي كركوز حوشتك غير كار .

كركوز: شو هوه ؟

عيواظ : تعا الليلة لنساوي أنا وياك كار شحادين .. و كليلاتنا بنشحد من باب أكرم الأكرمين ، ما بيخل في عطاه .

كركوز: شحادين عالبواب ؟

عيواظ : نعم .

كركوز: العمى . إي بتحق الشهادة على المثل حكايتي وحكايتك كل واحـــد اربطو ... [3] .

عيواظ : ليش أنا بدي أدشرك هيك ؟

كركوز: لكان ؟

---

(١) لم استطـع فهم المهنة التي اقترحها عيواظ

(٢) استغلق علي فهم الجملة لرداءة الاسطوانة ولصعوبة اللهجة الحلبية القديمة .

(٣) كلمات غير مفهومة

عيواظ : في عندي بدلة بدي أقلبك رقبتها .

كوكوز: بقلب سحنتك على أبو أهلك .

عيواظ : في عندي بلطـة بكسـرالك اجرلينك [1] .

كوكوز: إي ..

عيواظ : في عندي سكينة بقطعلك إيدتينك [2] .

كوكوز: إي

عيواظ : وعندي مخرز بقلعلك عينيك .

كوكوز: وأنا مابلعن أبو جدينك [3]. العمى . بكون صاغ وبتشر كني.[4]

عيواظ : تعا لنشوف . ليس هالقبيعة براسك .

كوكوز: العمى هي طويلة .

عيواظ : البسها .

كوكوز: البستها .

عيواظ : حط هالجوز الوزري تحت باطك .

كوكوز: ليش ؟

عيواظ : باب الصقاق [5] بالقرنة . الله يساعدك منجره فيك ومنعطيه النار

كوكوز: من أول باب صقاق بتروحني شتق

عيواظ : حط هالشاكوشه بزنارك

---

(١) رجليك

(٢) يديك

(٣) جدبك

(٤) أي تقطعني قطعاً قطعاً ...

(٥) الزقاق

كوكوز: ليش ؟

عيواظ : باب العقاق باين ؟ حلقتو بصدرك وبنخبطو بالقلاعة .

كوكوز: مليح . هم حرامية . هم دشتية . هم شحادين .

عيواظ : دي[1] قوم اطلاع قبلي

— انتهى الوجه الأول من الاسطوانه —

« طرق على الباب »

عيواظ : باللا ولك كوكوز

كوكوز: لأ عيواظ اطلاع أنت

عيوظ : اطلع انا ؟

كوكوز: اي طيب . طيب . بطلع أنا

( موسيقى وغناء بالتركية ، وبتكور لفظ بشباش )

عيواظ : إيش بك ؟ تعلمت ماتاخد إلا النص .

كوكوز: شاون ؟

عيواظ : عجبي لا دنا دنا عجبي لابشباش . [2]

غناء بالتركية [3]

عيواظ : ماشا لله ماشا لله على هالكلام الدر .

كوكوز: إي نعم من تمك يا كر [4] .

---

(١) دي او ده : لفظة يستعملها الحلبيون حتى الان مستهلين بها معظم كلامهم وهي تعني : يللا

(٢) لفظ لم أفهمه ، واعتقد انه لقب يناديان بعضهما بعضاً به .

(٣) الواقع ان الغناء خليط بين العربية والتركيه ولغة غير مفهومة

(٤) الكر : الحمار الصغير

عيواظ : ولك أخي كركوز أنا بقول أحسن منك . اي شحادة بالتركي . شحادة بالعربي . شحـــادة بالفرنساوي . إذا كان بتشحد مثلي لأعطيك النص .

كركوز: اي عيواظ . أنا باشحد مثلك .

موسيقى وغناء بالتركية

كركوز: أنا يحرق قرعتي إذا كني باعطيك ياعيواظ .

عيواظ : أنا حم جم . الله مافتح علي بشباش .

كركوز: أنا ايش ماعطيتك ...

عيواظ : بركات وارسن [1]

كركوز: مابتعرف تقول آمين بالله .

عيواظ : نعم

كركوز: اي طب وقف عندك . اعطوا طلب العبد الفقير من مال الله من كرم الله . اعطوا طلب العبد الفقير من مال الله ، من كرم الله[2].

عيواظ : آمين بالله . هات النص .

كركوز: اي وقف . لسه ماشحدنا شي ، طلب العبد الفقير من مال الله ،من حب الله ، من كرم الله ، مية قطيع غنم من مال الله . طلب العبد الفقير مية مكوك حنطة من مال الله حسنة وليدات [3] .

بحب الله . آمين بالله ، مية ألف ليرة من مال الله . عشرة بيقبضوني خرجية بحب الله .

---

(١) تعبير تركي

(٢) يقولها منغمة

(٣) أولاد

عيواظ : ياه .. ياه .

كركوز: لشو بس بتعلي .

عيواظ : لاشوف الشام وصلت للدليلتا (١) والللا له .

كركوز: ليش ؟

عيواظ : أنا شايف جيبتي وجيبتك بدها تروحنا شتق بحب الله .

كركوز: شلون ؟

عيواظ : الفقير قدما كانت عينو واسعة، يا بيطلب كر صغير يا بيطلب كعكة.

كركوز: إش طلبك ولك أبو قبيعة ؟

عيواظ : وان سكتنا ؟

كركوز: أطلبك كعكة ..

عيواظ : نام عندك نام .

كركوز: اي نعم .

عيواظ : أطلب كعكة بسميسم واللايبانسون ؟

كركوز: لا والله ياعيواظ بسميسم أطيب .

عيواظ : نام عندك نام . وقف لشوف .

« يطرق الباب »

رجل(١): مين عمي ؟

عيواظ : يا أخي .

رجل(١): نعم .

عيواظ : في عندك شي من مال الله

رجل(١): اي روح . كل من تارك صنعتو وعملتو وقبعان .. كار الشحادة .

---

(١) الدلتا

عيواظ : . . . . . . .(١)

كوكوز: بس عيفني ، ليش ضربك العصى على هـاداً الّلي قدامي . تعا ولك عيواظ من غير باب . وقف عندك . وقف لروح لهالبوابة(٢) .

( طرق على الباب )

رجل(٢) : مين عمي ؟

كوكوز: في عندك شي من مال الله .

رجل(٢) : طيب وهي إلك تلات كعكات .

كوكوز: الله بشباش . . بعتلنا تلات كعكات

عيواظ : انت روح من هالبوابة كان .

( طرق على الباب )

رجل(٣) : مين عمي ؟

كوكوز: يا أخي في عندك شي من مال الله .

رجل(٣) : خود وهي إلك صحن رز .

كوكوز: امان عيواظ . الله بعتلي تلات كعكات وصحن رز . بدي أروح من ها لبوابة . .

« طرق على الباب »

رجل (٤) : مين ؟

كوكوز: عمي . في عندك شي من مال الله .

---

(١) كلام غير مفهوم . .

(٢) الباب

رجل (٤) : طيب . أهلاً وسهلاً . تفضـــل . هات لشوف .
ايش شاحد ؟

كوكوز: وحياتك شاحد شوية رز وتلات كعكات .

رجل (٤) : حطهن لهالوليدات خليهن ياكلو . انت إلك عين تطلع تشحد . انا وهالولاد صرلنا تلات ايام ما كسرنا الصفرة [1] . حطهن وطلاع بره .. بره .. بره .

« انتهى »



(١) كسر الصفرة : طعام الفطور .

ذلك كان نص فصل الشحادين المكتشف ، ومن المدهش ان يكون متمتعاً بنضج تكنيكي ملموس ، فالحوار موزع بين الشخصيتين الرئيسيتين خاصة توزيعاً جيداً ، وكل يعبر عن أفكاره بطريقة سليمة ، منسجمة مع تطور النص ، ومع تركيب الشخصية . عيواظ رجل فتن وتحريش وصاحب افكار ، وكركوز ينفذ بروح فكهة لاتخلو من ذكاء ورجولة. الحوار قصير الجمل .. بعيد عن المونولوجات الطويلة ، « وانت واجد فيه الجمل القصيرة غير المنمقة التي تقطعها صرخات التعجب او التأفف ، وفقاً لماجرى عليه استعمالها اليومي ، كما انك واجد نموذجاً مفيداً عن الطرق الرائجة في التعبير عن الفكر وعن المشاعر (١) » عندما مثلت ، أوعلى أوجه الدقة ، عندما سجلت كاسطوانة لأول مرة .

يستبين النص – كغيره من نصوص خيال الظل – بالمكان وبالزمان استهانة كاملة – كما حدث ما في المسرح المعاصر – وهذه جرأة عفوية ، تعتمد على التركيز على الاحداث الهامة في السياق وتنبذ ماعداها ، وتؤمن بالجمهور الذي تطرح النص أمامه . واذا أضفنا الى ذلك ميزات أخرى كاستخدام الاستعمالات الرائجة في الحوار والمترادفات اللفظية التي تقود الى المقامات ، وجدنا أنفسنا أمام لون على من الحوار المسرحي ، لم يكشف النقاب عن ميزاته إلا قليلاً .

أما عن المضمون الاجتماعي .. فالقصة واضحة . كركوز وعيواظ يبحثان عن عمل ، ويختاران اسهل الاعمال واكثرها مكسباً .. وعندما يقومان بالسؤال .. تصفعهما الحقيقة . هناك من لايجد مايأكل ، لكنه يقعد عن التسول .

ان التناول الفكه للموضوع لم يخف قسوة الجوهر ، وارتباط الشخصيات بالأرض والبيئة وبالظروف الاجتماعية التي تتحكم في الجميع ، في الفترة التي قيلت فيها تمثيلية « الشحادين » (٢) ، بل انها تتجاوز الكشف الى

---

(١) عن مقدمة « فصل الحمام » لادمون سوسيه المنشورة في مجلة الدراسات الشرقية عام ١٩٣٧ – ١٩٣٨

(٢) ان مضمون كل فصل يتطور مع شكله على ضوء ظروف البيئة ، وهكذا فان «فصل الشحادين» عندماسجل في العشرينات غيره في أواخر القرن الماضي.. حتماً.

الفضح . فالنص يحارب مدعي التسول ، في حين تمتلىء البلدة بمن لايملكون طعام يوم ، وان كان هذا الفضح مغلفاً بقشرة ساذجة من الوعي الاجتماعي ، لا الوعي الطبقي ، وان كان القصد من فصل الشحادين - على ماأظن - الضربة المسرحية الأخيرة التي تجعل مؤلفاً او لاعباً مسرحياً يطرب لها ، لأنها تحقق فكرة الادهاش والمفاجأة لدى الجمهور . وحتى اذا كان الأمر كذلك .. فان المضمون الذي عبىء في الفصل ، دونما قصد ، قد حقق غايته .

* * *

لست أريد الاستطراد في تحليل نص « فصل الشحادين » الذي اكتشفته ، وها أنذا أقدمه لأول مرة مطبوعاً في مجلة . رغم الأفكار التي شحنتني بها قراءتي للنص بعد استاعي اليه طويلاً - فالاستطراد سيقود الى دراسة مطولة للغاية ، حسبي القول ان هذه الحواريات جزء من ارث مسرحي ، تزخر به صدور لاعبي خيال الظل الذين بدأوا ينطفئون وينتهون واحداً بعد الآخر . فاذا أردنا لنهضتنا المسرحية المعاصرة أن تكون لها جذور مرتبطة بالأرض وبالبيئة ، فلنعد الى هذا الإرث ، وسنجد أن كنوزاً ضخمة متوفرة فيه .







يجري سحب الاصدار الشعبي الثلاثين بتاريخ ٣ تشرين الثاني ١٩٧٠